السنة: ٩ / يليو ٢٠١٨ / العدد: ١٨

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

المنهج وتجلياته الوظيفية

- كيف نفهم النبوات
- تفعيل الإيمان... حلاً لأزمة الإنسان
- ملامح من منهج التدليل والاستقراء في رسائل النور
- منهج الدعوة إلى السلم مع الآخر عند الرومي والنورسي
- مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 9, Number 18 (July 2018)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com

ISSN 1309-4424
9 771309 442006 18

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم
THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛

د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

العدد: ١٨/ يليو ٢٠١٨

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

النور للدراسات الحضارية والفكرية

١- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير- يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.[1]

---

[1] ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد الثامن عشر ..... أ.د. عمار جيدل: ٣

الدراسات والبحوث [1]

- آراء الأستاذ النورسي في أحاديث المهدي وتأويلاته لها
ومتعلّقاتها .....د. أنس محمد رضا القهوجي: ٧
- مقام الإخلاص في النظرات القرآنية لسعيد النورسي..... ذ. عبد العزيز انميرات: ٣٩
- المسلم العثماني كآخر في كتابات لويس برنارد ..... أ. بن سخري زبير: ٥١

ملف العدد : المنهج وتجلياته الوظيفية

- كيف نفهم النبوات..... أ.د. عماد الدين خليل: ٧١
- ملامح من منهج التدليل والاستقراء في رسائل النور ..... أ.د. عشراتي سليمان: ٩٥
- مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء
الحضارة والعمران (دراسة تحليليّة تقويميّة) ..... د. أردوان مصطفى إسماعيل المزوري: ١٢٥
- منهج الدعوة إلى السلم مع الآخر عند الرومي والنورسي
(دراسة مقارنة) ..... د. عارف الزغول / د. عبدالكريم علي جرادات: ١٦١
- تفعيل الإيمان... حلاً لأزمة الإنسان .....أ.د. محمد عبدالله الشرقاوي: ١٧٩

- معلومات عن النشر في المجلة:..... ١٩٢
- Contents: ١٩٣

[1] ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد الثامن عشر

أ.د. عمار جيدل

يصدر العدد الثامن عشر من مجلتكم ''النور للدراسات الفكرية والحضارية'' في جو غارات معرفية مسلّطة على دين الأمة وهويّتها، أوضاع معرفية يريد فيها الغالب الوقتي الراهن التشويش على أمّة الشهادة في إيمانها وأبعادها الوجودية والحياتية، إن استطاع إلى ذلك سبيلا، وهذا يثقل كاهل أهل المجلّة من باحثين وقائمين عليها بمسؤولية تجديد الإيمان وأسسه المعرفية وأبعاده الوظيفية، المتجلية في أثرها البالغ في النظرة للوجود والحياة والفكر والتربية و... والتي ينتظر أثرها في تصرفات الإنسان خدمة الخلق طلبا لمرضاة الحق.

والحق أن تحقيق الشهود بالعلم والعمل بمقتضاه، برنامج علمي وعملي مكثّف لا نبلغ بعض مقاصده إلاّ إذا كانت التنمية والتطلّع إليها؛ ثقافة يتنفّسها المجتمع بجملة أطيافه وطبقاته الاجتماعية على تنوّع رتبهم المعرفية، وإذا كان طلب هذه الرُتَب صعب المنال فلا أقل من أن تنخرط مجلتكم في سياق بناء معرفي ومنهجي يستشرف أفق صناعة هذا الوعي الثقافي، وصناعته تفرض تناول قضايا تخدم هذا الهدف النبيل بشكل صريح أو بالنظر إلى المآل، من هذا المنطلق تضمّن قسم الدراسات ثلاثة بحوث: خصص الأول لبيان آراء الأستاذ النورسي في أحاديث المهدي وتأويلاته لها ومتعلّقاتها، وهو بحث في الدراسات الحديثية رواية ودراية، ولكن بأفق عملي يصنع الأمل ويدفع اليأس، وكتبه د. أنس محمد رضا القهوجي أما البحث الثاني فتناول قضية من صميم المسائل التي اعتنت بها رسائل النور، وفي هذا كتب الأستاذ عبد العزيز انميرات عن مقام الإخلاص في النظرات القرآنية لسعيد النورسي، اجتهد فيه الباحث في بيان مراده من خلال ما بلغه اجتهاده في فهم رسائل النور. أما البحث الثالث فتناول صورة المسلم العثماني كآخَر في كتابات لويس برنارد، للأستاذ بن سخري زبير، وهو موضوع يصب في عرض الصورة النمطية للشرقي في الدراسات ''الأكاديمية'' الغربية، فاختار الكاتب دراسة جعلت العثماني عيّنة في المعالجة من خلال أحد أبرز المستشرقين الذي يجتهد في طمس الهوية الإسلامية بما يقدّمه من نصائح صريحة حينا وخفية حينا آخر لصاحب القرار في الغرب.

أما ملف العدد فخصصناه للمنهج في رسائل النور وتجلياته الوظيفية: استهل الملف ببحث أ.د. عماد الدين خليل الموسوم بـ:كيف نفهم النبوات؟ وهو يعالج روح

المنهج في استيعاب وظيفة النبوات، ثم عرضنا دراسة أ.د. عشراتي سليمان، والتي عنونها بملامح من منهج التدليل والاستقراء في رسائل النور خصّصه لمنهج الرسائل ومزايا خطابها، معرجا على جملة من القضايا ذات صلة برسائل النور، وأفرد البحث الثالث للتعرّف على مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران (دراسة تحليليَّة تقويميَّة) د. أردوان مصطفى إسماعيل المزوري، وتناول فيه عرض مفهوم المقاصد القرآنية وأهميَّتها لافتا النظر إلى مقاصد السور وآليَّات استنباطها، كلّ ذلك لأجل الخلوص إلى دورها في بناء الحضارة والعمران، أما البحث الرابع للأستاذين د. عارف الزغول / د. عبدالكريم علي جرادات، فهو دراسة مقارنة في منهج الدعوة إلى السلم مع الآخر عند الرومي والنورسي، وقد طرق الباحثان التصوف والتربية عندهما، وبيّنا أن مسلك النبوة أولى من الولاية وأن للمسلك الصوفي الصافي فوائد جمّة تؤسس لثقافة الاستيعاب، وختمنا الملف بموضوع كتبه أ.د. محمد عبدالله الشرقاوي واختار له: تفعيل الإيمان... حلاً لأزمة الإنسان عنوانا، حاول فيه الإجابة عن السؤال الآتي: هل يمكن للإيمان أن يقود إنسان هذا العصر إلى التخلص من أزمته وضنك معيشته؟... وكيف ومتى يتحقق ذلك؟ ويتمحور البحث على مبحثين اثنين؛ تفعيل الإيمان، وجدوى الإيمان الحي وآثاره.

ولا يفوتنا في هذا السياق التأكيد على أنّ الاكتفاء بالدراسات والمقالات له مبررات موضوعية وضرورات فنية، رأس تلك المبررات كثرة المقالات التي يرغب أصحابها في نشرها، لهذا عدلنا عن عرض النشاطات والتعريف بالإصدارات، فضلا عن عدم إجراء حوار -الذي كان عادة مستقرة في مجلتنا- مع شخصية علمية ذات صلة برسائل النور.

المجلة لم تستكتب وما استكتبت، وهي على ذلك ثابتة، ولكنها ترى أنّ الباحثين الحريصين على النشر على صفحاتها هم المالكون الفعليون للمجلة، فهي ملكهم ولا ترى إمكان التفكير في الاستغناء عن مساهماتهم العلمية الرصينة كما عهدناهم، ونطمع في النشر لباحثين نشاركهم ثقافة الوعي بمتطلبات رسالة الأمة في العصر الحديث، لعلّنا نقوم بما يبرئ الذمة الشرعية، ويرفع عنّا شيئا من العتاب بالنسبة للمسؤولية الحضارية.

* * *

الدراسات والبحوث

آراء الأستاذ النورسي في أحاديث المهدي وتأويلاته لها ومتعلّقاتها

الملخص

د. أنس محمد رضا القهوجي[1]

يناقش هذا البحث رأي الأستاذ سعيد النورسي في مسألة المهدي، والأحاديث والروايات الأخبار المرتبطة بها من علامات آخر الزمان، مع بيان أسلوب الأستاذ العجيب والدقيق في فهم وتأويل هذه الأحاديث والروايات والأخبار، من خلال تتبع العبارات والإشارات والتأويلات التي كتبها الأستاذ في كتبه ورسائله المختلفة، ثم جمعها وترتيبها لتكوين صورة كاملة للمهدي وأخباره كما يراها الأستاذ.

ويظهر البحث كيف وجه الأستاذ أحاديث المهدي وأخباره في مواجهة النوازل والتحديات والأحداث السياسية والاجتماعية الواقعة في عصره، وكيف استفاد من هذه الأحاديث والأخبار في ترسيخ الإيمان وإحياء الهمم وزرع الأمل في نفوس تلاميذه خاصة، والمسلمين عامة.

وفي البحث رد على بعض الشبهات والإشكالات حول هذا الموضوع، والأستاذ بسبب الظروف الصعبة المحيطة به قد يلجأ إلى الرمزية والتلميح، دون التصريح والتوضيح، للتوجيه إلى معان خفية يريدها، وغالباً ماتكون الإشارة أبلغ من العبارة لأولي الألباب واصحاب العقول النيرة.

كلمات مفتاحية: المهدي، المسيح، الدجال، السفياني، الحقيقة الحسية، الحقيقة المعنوية، علامات الساعة.

* * *

Nursi's Views and Interpretation of Hadiths Concerning the Mahdi

Abstract

Dr. Anas Mohammed Riza Qahwaji

This research study discusses the question of Al-Mahdi according to Nursi's point of view as it is mentioned in the sayings of the prophet or the Hadiths. It focuses on the Hadiths that discuss the signs of the end of time. It also points out

the delicate style and accurate approach of Nursi in understanding and interpreting related Hadiths, and sayings. In order to reach this end of understanding Nursi's views about the subject of Al-Mahdi, the writer of this paper has collected all related writings of Nursi throughout his books and letters, gathered them, and arranged them in order to form a comprehensive understanding of Al-Mahdi and his news according to Nursi In addition, this research study discusses the way in which Nursi employed his understanding of Al-Mahdi and his news to stand up to the calamities and challenges of political and social events in his time, and to strengthen faith, revive spirit and plant hope in the hearts of his students in particular, and Muslims in general. This study also illustrates refutations of some suspicions and allegations about the subject of Al-Mahdi. Nursi, on account of the difficult circumstances around him, may resort to symbolism and giving hints, avoiding direct and clear statements. His symbols guide to hidden meanings and it is known that a word to the wise is sufficient.

Keywords: Mahdi, Christ, Dajjal, Sufiani, Perceptible Truth, Moral Truth, Signs of the Hereafter.

* * *

مقدمة البحث

الحمد لله الأعز الأكرم، الذي خلق الإنسان وعلمه بالقلم مالم يعلم، والصلاة والسلام على الطراز الأفخم وخاتم النبين المكرم محمد رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فهذه وقفات مع آراء الأستاذ، بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، الخاصة بأحاديث المهدي وما يرتبط بها من علامات الساعة كنزول عيسى وظهور السفياني والدجال، وما يتعلق بذلك من تأويلات أو عبارات وإشارات بثها الأستاذ في مختلف مصنفاته المفيدة كومضات ونفحات حسب مقتضى الحال وسياق المقال، وهو بذلك يتتبع الأسلوب القرآني في قصص الأنبياء،[2] وهو أسلوب سلس نسج على منواله الأستاذ، وتميّز بسرعة بديهته وقوة حافظته ودقّة تحليلاته.

أهداف البحث: بيان أسلوب الأستاذ ومنهجه في فهم وتأويل أحاديث المهدي وفك رموزها وإيماءاتها، والكشف عن مسالك توجيهه لها خدمة للإيمان وترسيخه في النفوس إيقاظا للهمم في مواجهة نوازل وتحديات عصره، فضلا عن دفع الشبهات المثارة على الموضوع.

منهج البحث: حققت القول في الأحاديث والآثار التي ذكرها الأستاذ عن المهدي وعزوتها لمصادرها وبيّنت درجتها، وعمدت إلى توظيف المنهج الوصفي التحليلي لبيان مضامين ومرامي عبارات الأستاذ وتأويلاته ورموزه وإشاراته، وأرجو من الله التوفيق في حلها وبيان معانيها.

إشكالية البحث: تتلخّص إشكالية أحاديث المهدي في ثلاث نقاط

١- مال بعض الناس إلى التواكل بناء على فهمهم لهذه الأحاديث، وبنوا عليه أحكاما؛ وخاصة في ظل ضعف الأمة. واعتقدوا أنّ العدل لا يتحقق إلا على يد المهدي، فكرّس فيهم هذا الاعتقاد التواكل والرضا بظلم أعداء الأمّة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما زاد الأمر شناعة انتقال هذا الفهم السقيم إلى النخبة المثقفة والطبقة السياسية، وزعم بعضهم أنّ الظلم والجور يملآن الأرض ويعمانها وفق ما أخبر به رسول الله ﷺ وأنّ محاولة تغيير المنكر أو دفع الظلم أو إقامة حكم الله ستفشل حتى يظهر المهدي، وطبقاً لذلك: انتهوا إلى وجوب تكييف أنفسنا مع الانتظار، فتكون اختياراتهم سببا في فشوا الظلم والجور، ومن ثمَّ قرروا: لا ضير من السكوت عن بعض المنكر، ومهادنة الكفرة، فنحن في زمن الضعف والجور والظلم، وواجبنا هو انتظار المخلص "المهدي"!؟ فتطبّع كثير من أفراد الأمة بالكسل والتخاذل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعلّ هذا الفهم السقيم هو الذي كان سببا في إنكار الشيخ محمد الغزالي للمهدي.[3]

٢- كان التفاعل السلبي مع هذه الأحاديث سببا في ظهور ادعاءات المهدية عبر العصور، ووجدت لها أنصارا ووكلاء مرافعة في مختلف الأصقاع، منها ادّعاء المختار الثقفي المهدية لمحمد ابن الحنفية، مروراً بالنفس الزكية زمن العباسيين إلى البهائية والقاديانية وغيرهم في عصرنا، وصارت كل جماعة أو فئة أو حزب أو طائفة، تنسب المهدي لها، وتدعيه تلبيسا على العوام، كسبا لشرعية لها ولفكرها.[4]

٣- يؤكّد كلّ ما سبقت الإشارة إليه إشكالية ثبوت وفهم هذه النصوص ومثيلاتها، ويعدّ النورسي من أهمّ الشخصيات العلمية التي تناولت هذه الآثار والأخبار بالدرس والتحليل، ويستدعي الوقوف عندها الوقوف عند أسلوب عرضه وفهمه لها، وقد ذكرت متفرقة في مصنفاته مما يسترعي ضرورة جمعها وترتيبها، ثم بيان قاعدته في تأويل الأخبار الغيبية، وهو ما نجتهد في تفصيل القول في شأنه.

• **خطة البحث:** قسمت البحث إلى تمهيد وخمسة مباحث، ذكرت في التمهيد لمحة تاريخية عن المهدي، وبيّنت في المبحث الأوّل قاعدة الأستاذ الإجمالية في

تأويل أخبار المهدي، أما الثاني ضمّنته تأويلات الأستاذ وأراؤوه في المهدي وما يتعلق به من علامات (أحداث الساعة، والسفياني، والدجال)، وخصصت الثالث لأسباب الغلبة الوقتية للدجالين، وحوى الرابع تأويلاته لروايات ظهور الدجال، أما الخامس؛ فبيّنت فيه تأويلاته للعلامات الكبرى المصاحبة لظهور الدجالين، وأنهيت البحث بخاتمة ضمّنتها نتائجه.

تمهيد: المهدي في مدونات الحديث السنية

لمحة تاريخية: الفزع إلى الكتاب والسنة حين وقوع الكوارث ونوائب الدهر من عادة المسلمين على مر العصور، يلتمسوا منهما ما يهديهم ويرشدهم، أو على الأقل يواسيهم ويصبرهم في محنتهم، وبشكل خاص إذا كانت المصيبة أو الكارثة تتعلق باختلال أمر الأمة، أو فقد رُشْدِها، وما يصاحب ذلك من انعدام الأمن والعدل وتفشي الجور والظلم، مع ضعف المسلمين في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

اشتهرت روايات وأحاديث على مر العصور بين مختلف الطوائف المنسوبة للإسلام مفادها: لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويكون هو الإمام الأعظم والخليفة الأوحد للمسلمين قاطبة، ويسمى المهدي، وحاولت كثير من الطوائف الاستئثار به دون غيرها؛ فادّعى كثير من الخلق هذا اللقب أو النسب،[5] وأوّل من ادعيت له (المهدية) هو (أبو القاسم محمد بن علي بن أبى طالب العلوي الهاشمي) رحمه الله، المعروف (بابن الحنفية)، قال الحافظ الذهبي: (كانت الشيعة الكيسانية[6] في زمانه تغالي فيه، وتدعي إمامته، ولقبوه (بالمهدي)،[7] ثم تتابع الأمر على مر الأزمنة، خصوصاً في مراحل ضعف الخلافة والفتن،[8] فادعى المهدوية كثير من الخلق أو نسبت إليهم منهم، البهائية،[9] والقاديانية.[10]

والذي يعنينا في هذا البحث كلام الأستاذ النورسي عن أحاديث المهدي وتأويله لها، وقبل ذلك يحسن الاستهلال بقاعدته في تأويل الأخبار الغيبية.

أولا: قاعدة الأستاذ في تأويل الاخبار الغيبية الإجمالية:

يذكر الأستاذ بديع الزمان آراء وتأويلات في أحاديث المهدي وما يتعلق بها، يستفيد منها كلّ مسلم مُخْلِص مُوَحِّد لا يرى غير الإسلام ديناً ومنهجاً، وقد عرضها

الأستاذ بأسلوب ماتع نافع، ويتوقّف فهم تأويلاته على قاعدة: إن الأمور الغيبية التي علمها الرسول الكريم ﷺ تنقسم إلى قسمين:

قسم علمه بالتفصيل فلا يتصرف ولا يتدخل فيه، وهي النصوص المحكمة التي تضمنت العقائد الإيمانية الضرورية في القرآن والأحاديث القدسية الصحيحة، لأن حكمة التكليف تقتضي تمام تبليغها بوضوح وتفصيل تام لا لبس فيه، ولأجل تأكيدها وترسيخها في النفوس كررت (أركان الإسلام والإيمان)، وقسم آخر علمه إجمالاً وترك أمر تصويره وتفصيله إليه ﷺ، فهو يصورها بما أوتي من جوامع الكلم بما يوافق حكمة التكليف، ويدخل في هذا القسم الحوادث الدنيوية المستقبلية المذكورة على وجه الإجمال، والتي فصل النبي الكريم ﷺ بعضاً منها بأسلوبه، وصورها تشبيهاً وتمثيلاً بما يوافق حكمة التكليف ومنتهى البلاغة في اللغة العربية.

ثانيا: تأويلات الأستاذ وآراؤه في المهدي وما يتعلق به من علامات (أحداث الساعة، والسفياني، والدجال.)

يمكن عرض أراء وتأويلات الأستاذ في النقاط التالية:

١- المهدي حقيقة وظهوره من علامات الساعة، وشاهد ذلك أنّ قسماً من أهل العلم وأهل الولاية حكموا بسبق ظهوره في الماضي[11] للأخبار الكثيرة الواردة وإن كانت متباينة، والآراء في شأنها مختلفة، انتهت بالبعض إلى القول بأنّ الصحيح منها غير صريح، والصريح منها غير صحيح.

٢- المهدي من آل البيت للدلالة على مكانة آل البيت العظيمة عند الله وشرفهم، فكما أنّ معظم المرشدين الهاديين النوريين (الرسل والأنبياء)، وأنّ معظم الأولياء والأقطاب والمجددين والمصلحين في أمة محمد ﷺ هم من آل بيته، وهذه المزية تكشف عن استجابة الله وقبوله بحق آل بيته، هذا الدعاء الذي يردده كل مسلم في صلواته الخمس عند التشهد: ''اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد'' دعوة للمهدي،[12] لذلك أمر الله عز وجل نبيه الكريم أن يطلب من أمته مودّة أهل بيته ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾الشورى:٢٣ لما يؤديه آل البيت من وظيفة خدمة الإسلام العظيمة في شتى طرقها ومسالكها، وحفظ الرسالة المحمدية، واتباع المهدي آخر الزمان يوضح الحديث الشريف: ''إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي''.[13] لذلك كان المهدي من هذه السلالة المنحدرة من النسل النوراني المبارك المتصل بعضها ببعض بالسند الصحيح بأعلى شرف وأرفع نسب

وحسب أصيل، وهم الذين غُذوا بروح الحقيقة القرآنية وارتضعوا من منبعها، وتنوّروا بنور الإيمان وشرف الإسلام فعرجوا الى الكمالات، وأنجبوا مئات الأبطال الأفذاذ وقدموا ألوف القواد المعنويين لقيادة الأمة، فلا عجب أن يحقق الله للدنيا العدالة عبر قائدهم المهدي الأكبر، بعد أن ختم الرسالات بجده النبي الأكرم ﷺ، فكان لزاماً أن يقوم هذا الوارث المحمدي بإحياء شريعة جده وإظهارها لتعم الدنيا وتنشر العدل والسلام، وهذا الأمر في غاية المعقولية فضلا عن أنّه في غاية اللزوم والضرورة، بل هو مقتضى دساتير الحياة الاجتماعية الانسانية.

وفي اهتمام النبي ﷺ بالحسن والحسين[14] وشفقته ورقته وعطفه عليهما بعد أن أطلعه الله على الغيب ورأى الأقطاب العظام وأئمة ورثة النبوة والمهديين المتسلسلين من الحسن والحسين فقبل رأسيهما باسم أولئك جميعاً.[15]

ويجيب الأستاذ عن سؤال مهم يتبادر للذهن وهو: مادام آل البيت هم أهل الاصطفاء والاختصاص والعناية الربانية والأحق بذلك؛ لماذا لم يحكُم آل البيت في كل زمان؟

فيقول: إنّ سلطنة الدنيا خدّاعة، بينما أهل البيت مكلفون بالحفاظ على حقائق الإسلام وأحكام القرآن. وينبغي لمن يتسلم زمام الخلافة أن لا تغره الدنيا، كأن يكون معصوماً كالنبي، أو يكون عظيم التقوى عظيم الزهد كالخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز، فسلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت، إذ تنسيهم وظيفَتهم الأساس؛ وهي المحافظة على الدين وخدمة الإسلام، وبالرغم من أنهم في جملتهم أفضل من غيرهم؛ إلا أنه قد يوجد أفراد يكونون أجدر منهم وأحق في الخلافة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما حيث استحقا الخلافة وكانا أجدر بها من علي بن أبي طالب بإجماع المسلمين، ولا إشكال في ذلك. وأيضاً لكثرة المدعيين زوراً وبهتاناً لآل البيت وهم في حقيقتهم من الفرق الضالة من باطنية حاقدين على الإسلام ولا نجد عبر التاريخ أسرة افتري عليها وتعرضت للنكبات والأذى من الصديق قبل العدو، ومن القريب قبل البعيد مثل هذه الأسرة النورانية آل البيت، وفي الدول التي ظهرت باسم آل البيت وتمحلت الخلافة باسمهم خير شاهد على هذا الكلام؛ كالفاطميين في مصر، والموحدين في إفريقيا، والدولة الصفوية في إيران، كل منها أكّدت أنّ سلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت.

لذلك نجد سيدنا علي بن أبي طالب وهو الممثل للشخص المعنوي لآل البيت في خلافته تعرض لما لم يتعرض له غيره، وحسبنا أن نستعرض خلافة سيدنا علي بن

أبي طالب ومدة تعرضه للفتن الأليمة من شيعته والخوارج، والقتال مع مخالفيه الخوارج وشيعته، وتحمله لكثير من الكذب والافتراء والغلو والادعاء والنقد والتجريح، لندرك هذه الحقيقة وهي: إنّ آل البيت يتعرضون للأذى والافتراء والمشاق مالم يتعرض له غيرهم، لكثرة حسادهم وأعداءهم من أتباع الشياطين.

وعلى النقيض من ذلك نراهم متى ما تركوا السلطنة، سعوا سعياً حثيثاً وبذلوا جهداً منقطع النظير في خدمة الإسلام ورفع راية القرآن، فتأمل إن شئت في الأقطاب الذين أتوا من سلالة الحسن ﷺ، ولا سيما الأقطاب الأربعة، وبخاصة الشيخ الكيلاني. وإن شئت فتأمل في الأئمة الذين جاءوا من سلالة الحسين ﷺ، ولا سيما زين العابدين وجعفر الصادق وأمثالهم، وكلٌ من هؤلاء قد أصبح بمثابة مهدي معنوي، بدّدوا الظلم والظلمات المعنوية بنشرهم أنوار القرآن وحقائق الإيمان، واثبتوا حقاً أنهم وارثو جدهم الأمجد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.[16]

٣- تدل الروايات والأثار الصحيحة المتباينة مع كلام أهل التحقيق أن هناك مهدي (كبير) وظهور مرتبط بعلامات الساعة وله مهمات كثيرة ووظائف عديدة، وأيضاً يوجد في كل عصر مهدي (صغير) يحتاجه أهل ذلك العصر عندما يخيم عليهم اليأس إلى من هو كالمهدي ليشد من قواهم المعنوية، ويذكي في نفوسهم جذوة الأمل إلى ترقب المهدي الكبير وظهوره لإمدادهم ونصرة الدين،[17] لذا ظهر من آل البيت من هو كالمهدي في كل عصر برحمة من الله سبحانه، ليجدد الدين، ويحافظ على شريعة جده الأمجد، وعلى إحياء سنته المطهرة؛ فمثلاً: ظهر المهدي العباسي في عالم السياسة والدولة، وظهر الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشاه النقشبندي وغيرهم في عالم الدين... ولظهور مصلح ومجدد من هؤلاء في كل عصر،[18] وتنفيذهم لبعض مهمات المهدي وأعماله على مر العصور؛ تصور بعض أهل الحقيقة من العلماء أن المهدي ظهر في الماضي.[19]

وبناء على ذلك يمكننا أن نفهم من كلام الأستاذ: إن هناك مهدي حقيقي كبير واحد بشر به النبي، وهناك مهديون صغار كثر على مر العصور أشار إليهم النبي وهم المجددون لشباب الدين في كل عصر.

٤- للمهدي حقيقتان: حقيقة حسية واقعية وحقيقة معنوية رمزية، أما الحقيقة الحسية فتتمثل في الشخص الفرد المبارك، وأما الحقيقة المعنوية الرمزية فتمثل في الجماعة التي تمهد له وتتبعه وتعينه، فإن الزمان الحاضر ليس زمان الشخص الفرد مهما كان ملهما وعبقرياً، فيلزم وجود حقيقة معنوية تتمثل في جماعة المهدي هذه

الجماعة التي ستنصر الرسالة المحمدية. وستنقذ البشرية، وستستخدم أساليب فكرية ومنهجية ودعوية وجهادية جديدة تتوافق مع متطلبات الزمان.[20]

٥- ظهور المهدي الكبير من علامات الساعة[21] ومرتبط بعلامات أخرى كالدجال والسفياني، وهناك أحاديث تربط وجود المهدي مع نزول عيسى وظهور الدجال.[22]

٦- يتأول الأستاذ المسيح الدجال الكبير بشخصيتين؛ شخصية خاصة بالكفار وهو الأعور الدجال، والأخرى خاصة بالمسلمين وهو السفياني،[23] ودجال المسلمين غير دجال الكفار.[24]

٧- كما أن هناك مهدياً كبيراً ومهديين صغاراَ، يكون دجال كبير ويطلق عليه المسيح الدجال أو السفياني، ودجالون أو سفيانيون صغار؛[25] وتكون المواجهة بين المهديين والدجالين على مر العصور لتجسد الصراع بين الحق والباطل، حتى تنتهي بالمواجهة الكبرى بين نبي الله عيسى عليه السلام مع المهدي الكبير مقابل المسيح الدجال الكبير والسفياني.[26]

٨-يمكن توضيح تأويلات الأستاذ بديع الزمان في السفياني (دجال المسلمين) ودجال الكفار (المسيح الدجال) في النقاط التالية:

وجه التوافق في إطلاق لقب المسيح على نبي الله عيسى عليه السلام وعلى الدجال هو: أن عيسى عليه السلام رفع (مَسَحَ) قسماً من التكاليف على بني إسرائيل بأمر إلهي ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾،آل عمران:٥٠ والدجال يرفع التكاليف والأوامر الشرعية ولكن بإغواء الشيطان، وكذلك السفياني (دجال المسلمين) يرفع قسماً من أحكام الشريعة المحمدية الخالدة، وينقض عرى الإسلام، فاستحق الثلاثة لقب المسيح مع اختلاف في الإضافة، فالأول هو المسيح الحقيقي عيسى نبي الله، والآخران مسيحان دجالان يتبعان الطاغوت،[27] فقد ورد أنّ الدجال مسرف منحرف منغمس في اللهو والعبث والمجون، ويهيج الناس ويثير طمعهم في الشهوات[28] والإسراف في الحرام،[29] وعبر إشاعته للاختلاط والفواحش بين الرجال والنساء، ونشره وتشجيعه لوسائل وأدوات اللهو والفجور والفاحشة كالملاهي والمسارح والمراقص وغيرها، ينجذب الناس إليه كانجذاب الفراش إلى النار، فيفتنهم عن دينهم. بل يكون أكبر فتنة للناس منذ خلق الله آدم.[30]

يقوم الدجالان بمحاربة الدين والتوحيد بوسائل كثيرة منها إغلاق المدارس الدينية، والزوايا والتكايا، ومنع الشعائر الدينية أو تبديلها وتحريفها، بادعاء وسائل إصلاح زائفة ومشوهة، وهذا تأويل الجنة والنار الزائفتين مع الدجال، وهما إشارة

للأوضاع المزيّفة، كالمدرسة الإعدادية مع السجن، فالأولى تعكس صورة مشوهة للجنة والأخرى تعكس ضدها من العذاب والنار، وهكذا يستمر الدجالان في التحريف والتشويه ومحاربة الدين للقضاء على الدين وعلى المؤمنين،[31] فلا ''تقوم الساعة إلا على شرار الخلق''، ''وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ''.[32]

كما يسعى الدجال سعيا حثيثاً لتعميم العلم المجرد من الدين وجعله نهجاً رائداً محبباً للعوام، وأن هذا النهج هو الصحيح لتقدم الأمة ونهضتها وهو سبيل سعادة البشر.[33]

الدجال وأمثاله سَيَدَّعُون الألوهية والربوبية في آخر الزمان، ويكرهون الناس على السجود،[34] ومن أوجه تأويلات الأستاذ لها أن كلا الدجالين سيقودان مذهب الطبيعيين الدهريين، والملحدين الماديين، الذين ينكرون وجود الإله، ويتخيلون في أنفسهم نوعا من الربوبية، فَيُسَخِّرُ كل دجال أتباعه لخدمته ورغبته الجامحة، ويخضع رعيته خضوع ذل وعبودية، ومن مظاهر ذلك كثرة التماثيل لشخصه وإجبار الرعية على تمجيد صورته وتمثاله والانحناء لهما.[35]

ينسب لكلا الدجالين أعمالا خارقة، وذكرت الأحاديث أن معه جنة ونار، وتتبعه كنوز الأرض وله خوارق، فتمطر السماء بأمره، والأرض تنبت، وتتبعه كنوز الأرض،[36] وينتشر ذكرها بين الناس مع التهويل والمبالغة لإيقاع الهيبة والتعظيم لهما في أعين الناس، وخاصة العوام تصل درجة التقديس والتأليه، وهذه الأعمال في مجملها أعمال تخريبية، أي ما ينجزاه من تخريب في يوم يفوق ما ينجزه البشر من تخريب في سنة.

ثالثا: أسباب الغلبة الوقتية للدجالين:

إسناد الأعمال الجسيمة إلى شخص الدجال ظلماً وزوراً واستدراجاً، لأن العمل في حقيقته جماعي وليس فرديا، بل قامت به جماعة كبيرة، فمثلاً عندما ينتصر الجيش الشجاع على عدو أو يقتحم قلعة، ينسب النصر لقائد الجيش وكأنه هو فقط من قام بهذا العمل، مع أن حقيقة الفعل هي للجيش بكامله، وهكذا تتم الأمور مع كلا الدجالَين.

كلا الدجالين يحكمان باستبداد مطلق، وإرهاب مريع، وبطش شديد بمنتهى القسوة (الحكم بالحديد والنار)، وهذا الحكم من طبيعته المبالغة في تعظيم الحاكم

ونسبة الخوارق والمعجزات إليه، وأنه يختلف في طبيعته عن البشر ومتفوق عليهم، وقد يصل الأمر غالباً إذا طال حكم الطاغية إلى ادعاء ألوهيته.

١- كلا الدجالين يحصلان على معونة المنظمات السرية الحاقدة على الإسلام (كالماسونية)، ومن طبيعة هذه المنظمات أنها تبقي نفسها مستترة في الظل وخلف الستار، وتركز على شخص تكون مسيطرة عليه ومتحكمة فيه تماماً فتظهره بمظهر البطل الخارق الأسطوري، وتحشد جميع إمكاناتها وطاقاتها وعملائها خلفه، وتنسب له وحده جميع الأعمال التي تقوم بها إطارتها (ولجانها وعملاؤها وأجهزتها المختلفة) بسرية وخفاء، وتسخر له الأذكياء والمتميزين لخدمة شخصه وغاياته، فتظهره وتشهره بمظهر خارق مبهر وقدرة فائقة عجيبة؛ فالدجال يصل للحكم والسلطة والقوة بدهاء منه ومن أعوانه، وباستخدام حيل ووسائل غير تقليدية، كتسخير المخترعات الحديثة، وبدعم ومساعدة المنظمات الماسونية وشركاتها الكبرى، والتي تعمل جاهدة على تسخير العقول العلمية لخدمته والدوران في فلكه، والاستحواذ على كثير من العلماء والعقول خصوصاً في مجال التعليم والإعلام ومع قوته السياسية والعسكرية ومؤسسات دولته يسيطر على العالم سيطرة اقتصادية وسياسية وفكرية.[37]

من حيله أمر السماء أمام العوام أن تمطر -وفق ما أخبرته الأرصاد الجوية- وعن طريق الإذاعة والراديو ووسائل الاتصال الحديثة (الهاتف-الأنترنت..) يعرف الأخبار سريعاً، وتنتشر أخباره فكأنه يرى القارات السبع، وعبر وسائل النقل الحديث (الطائرة، القطار السريع...) ينتقل بسرعة فائقة بين القارات، وهذا تأويل الأخبار: يسيح في الأرض أربعين يوماً،[38] وأن معه جبلاً من خبز ونهراً من ماء،[39] وأن له حماراً (دابة) يَرْكَبُهُ عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا،[40] وأن له جسماً خارقاً ضخماً[41] كعلو المنارة.[42]

٢- يملك الدجالان حواس وقدرات لها تأثير كبير على الناس بما يشبه التنويم المغناطيسي أو السحر (الشخصية الكارزمية)، ولعل كلمة أعور في الحديث الشريف[43] للدلالة على هذا المفهوم، فإحدى عينيه ممسوحة، أي بحكم العوراء بالنسبة للأخرى، فليست له إلا عين واحدة تنحصر رؤيتها في الحياة الدنيا ومتاعها وزينتها، وأما الأخرى التي لها القدرة على رؤية العقبى والآخرة فهي ممسوحة، فهو كافر بالآخرة لا يراها أبداً، وإنما يرى الدنيا ومتاعها ويوجه الناس إلى هذه الرؤية العوراء ذات العين الواحدة التي لا تنظر إلا إلى الدنيا وملذاتها وشهواتها، وهذه طبيعة الحاكم المستبد المتأله على الله الذي لا يسمح لشعبه أن يفكر او يرى الامور إلا من خلال فكره

وتوجيهه، وقد بين الله عز وجل هذه الحقيقة للحاكم المستبد الطاغية على لسان فرعون، قال عز وجل: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾،غافر:٢٩ وهذا ينطبق على كلا الدجالين، وبذلك استحقا حكم الشرع عليهما أنهما كافران مطلقاً، وكما تأول الأستاذ الصفة الأولى للدجال وهي العور (ممسوح العين)، تأول الصفة الثانية: ''مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ''،[44] بأنَّ كلا الدجالين يكون كفره ظاهرا يعرفه كل مؤمن بسبب مجاهرتهما بالكفر العلني أو إظهارهما لشعار الكفار وإكراه الناس عليه كلبس قبعة الأفرنج في زمان الأستاذ بديع الزمان رحمه الله تعالى.[45]

٣- القدرة الخارقة للدجال توازي القدرة الخارقة لأشخاص آخر الزمان، خاصة في التدمير والتخريب، في ظل التقدم العلمي والتقني الهائل، فقنبلة ذرية صغيرة قد تدمر أكبر مدينة في ثوانٍ معدودة.[46]

فتنة السفياني (دجال المسلمين) ستكون في مراكز الخلافة الإسلامية، وكانت في الماضي في المدينة والشام والعراق، وأيضاً لها ارتباط بتركيا (القسطنطينية) بسبب انتقال الخلافة إليها،[47] وهناك كثير من الروايات تشير إلى ذلك.[48]

رابعا: تأويل الأستاذ لروايات ظهور الدجال:

يتأول الأستاذ بديع الزمان الروايات التي تشير إلى ظهور الدجال في خراسان[49] أنها: تشير إلى السفياني (دجال المسلمين) الذي سيظهر بين ظهرانيهم باعتبار أن الشعب التركي أصله من خراسان قبل أن يقطن في الأناضول،[50] وقد انتقل ميراث الخلافة الإسلامية لهذا الشعب عبر الخلفاء العثمانيين، ومعروف عن الشعب التركي شجاعته وبسالته وحميته في الإسلام فيخدعهم بأساليب وشعارات ماكرة ليُحرّف قسماً من شعائر الإسلام، ثم ينقلب هذا الشعب عليه بمساعدة الجيش البطل الذي سيأخذ الزمام من يده، فيتقهقر السفياني وينهزم.[51]

تشير كثير من الروايات والأحاديث الشريفة أن الدجال أصله من اليهود وأنهم أكثر أتباعه،[52] ويؤكد الأستاذ بديع الزمان ذلك، فيشير إلى أن لكلا الدجالين؛ السفياني (دجال المسلمين) والمسيح الدجال لهما جذوراً يهودية، ولهما علاقة وارتباط باليهود وهذا مما لا شك فيه، ويربط الأستاذ تنامي قوة اليهود في روسيا على يد المنظمات الشيوعية التي أسسها تروتسكي وكارل ماركس اليهوديان، ومن بعدهم لينين حيث وصل إلى القيادة واستولوا على الحكم بعد إبادة الألاف في أوربا، وتدمير المدن وحرق المحاصيل وإثارة الاضطرابات والقلاقل وزعزعة الحكومات والدول، كل هذا

يدل على أنهم منظمة من منظمات الدجال الكبير ومن أتباعه وأعوانه ومنفذي أوامره، وأيضاً يربط ذلك بالمنظمات الماسونية والصهيونية وهي القوة الخفية التي تسيطر على العالم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً وتتحكم بالعالم، عبر السيطرة على رؤساء الدول ورجال الأعمال الأثرياء، وأصحاب الشركات العملاقة، وكلها تعمل لصالح اليهود والدجال.[53]

يتأول الأستاذ بديع الزمان مدة مكوث الدجال وزمانه؛ أن اليوم الأول كسنة، والثاني كشهر، والثالث أسبوع، والرابع كسائر الأيام،[54] عبر مسلكين:

المسلك الأول: أنه كناية عن ظهور الدجال في دائرة القطب الشمالي، شمال العالم، لأن شروق الشمس وغروبها في القطب يختلف عن سائر الأماكن، فقد تكون السنة في القطب يوما وليلة أو شهر أو أسبوعاً، فالشمس في الصيف لا تغرب شهرا كاملاً، وفي بعض الأزمان تبقى أسبوعاً، وهكذا، وهذا إخبار معجز من النبي ﷺ أن الدجال الكبير ستدعّمه دول الشمال، أي قوته المادية والمعنوية ستكون مدعومة من الدول العظمى القريبة من القطب الشمالي كروسيا وأمريكا.

المسلك الثاني: إنّ للدجال ثلاثة أدوار استبدادية:

يومه الأول الشبيه بالسنة: يتمثل في دورة حكومته، حيث يقوم بإجراءات عظيمة هدامة مخربة لا تنجز عادة في ثلاثمائة سنة أو أكثر، أي أنه ينجز في حكومته من التخريب والهدم والفساد في يومه ما ينجزه غيره عادةً في ثلاثمائة وستين سنة. واليوم الثاني كشهر: أي أنه يجري من الإجراءات ما لا يجري في ثلاثين سنة. واليوم الثالث كأسبوع: ينفذ من التغييرات في سنة ما لا ينفذ في عشر سنوات. أما اليوم الرابع فيكون عادياً لا يقوم بشيء سوى المحافظة على الأوضاع.[55]

ونحن نرى اليوم سرعة الزمان[56] وتسارع الأحداث، فبفضل التقدّم العلمي والتقني في المواصلات ومختلف الأجهزة والحواسيب أصبحنا ننجز في يوم ما لا يمكن انجازه قديماً في سنة في مختلف المجالات، فكيف بمن تتاح له الوسائل والإمكانات الضخمة الهائلة خصوصاً في الهدم، والمعلوم أن الهدم والتخريب أسهل وأسرع من البناء والتعمير، فقنبلة نووية صغيرة قد تهدم في ساعة مدينة كبيرة فيها ملايين البشر والمساكن والعمارات.

وأحاديثه ﷺ في ذلك تمثل قمة الأداء العلمي الرصين في إخباره عن المغيبات في آخر الزمان.

٥ـ تأويلات الأستاذ للعلامات الكبرى المصاحبة لظهور الدجالين:

١- تتابع العلامات الكبرى للساعة مع ظهور كلا الدجالين والمهدي ونزول عيسى وللأستاذ بديع الزمان تأويلات فيها حسب قاعدته في تأويل متشابه القرآن الإجمالي، ومن ذلك:

- حديث لكل أربعين أو خمسين امرأة قيم واحد،[57] قد يؤوّل بقلة الزواج الشرعي في زمن الدجالين، فيترك الحلال ويتجه الرجل لاتخاذ العشيقات ويرتبط بعدد من النساء قد يجاوز الأربعين، وأيضاً يؤوّل بهلاك أغلب الرجال في الحروب والفتن وتكون أكثر الولادات من الإناث، ثم تظهر المنظمات المشبوهة التابعة للدجال فتستقطب المرأة عبر شعارات براقة خداعة كالدعوة إلى تحريرها من سلطان الرجل، وإعطائها حقوق الحكم والسلطة وتجريدها من قيود الاحتشام وضوابط العفة عبر ادعاء المساواة بين الرجال والنساء في كل شيء،[58] فيتبع الدجال كثير من النساء وهذا يفسر الحديث الوارد في ذلك.[59]

- يأجوج وماجوج[60] هم قبائل المانجور والمغول وغيرهم مع قبائل الصين التابعة لهم، ومثلما أغاروا على العالم في الأزمان القديمة، ودمروا كثيراً من مدن آسيا وأوربا، سيكررون ذلك ولكن بدموية وعنف أشد بسبب اعتناق الفكر الشيوعي والاشتراكي، صحيح أن هذا الفكر نشأ في أوربا، ولكنه ترعرع واشتد عوده وزاد نماؤه بين هذه القبائل وفي موطنها حيث الأماكن المزدحمة بالمظلومين والقبائل البعيدة عن الحضارة والمدنية، فوجد المرتع الخصب للفوضى والانحلال الأخلاقي وانعدام الإنسانية ومظاهر الرحمة والرأفة والشفقة وهذا ما يجسّده الفكر الشيوعي والاشتراكي في هؤلاء القوم عند اكتمال قوتهم لاجتياح العالم.[61]

٢- من سيقتل الدجال الأكبر هو عيسى عليه السلام،[62] وله وجهان من التأويل:

الوجه الأول: إنّ الدجال يأتي بأمور خارقة يستدرج بها الناس، ولا يقدر على قتله وتغيير مسلكه إلا من هو خارق، أي أن المسيح الحقيقي الذي يدعو لتوحيد الله ويحيي الموتى ويشفي المرضى -بإذن الله-، وينبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بإذن الله تعالى؛ سيقتل المسيح الدجال الكذاب الذي يستدرج الناس ويخدعهم ويفتنهم بخوارق مزيفة يساعده فيها الشياطين بإذن من الله، فتتبعه كنوز الأرض وينزل المطر، وتتمثل الشياطين بحضرته بأشكال أموات ليوهم الناس أنه يحيى الموتى؛ فالحقيقي سيقتل المزيف وينهي هذه الفتنة.

الوجه الثاني: بقتل الدجال ستقتل الشخصية المعنوية له أيضاً، والنصارى الذين يدعون المسيحية (الروم) سيكونون هو الأكثرية قوة وعدداً،[63] وأيضا تكون قوة اليهود في ذروتها حيث سيسيطرون على النصارى (الروم) وحكوماتهم ثم على العالم عن طريق الدجال، ونزول عيسى وقتله الدجال بيان لليهود والنصارى ولجميع الناس حقيقته أنه عبد مرسل من الله، وفيه إشارة لأتباعه الروحانيين المخلصين من النصارى لإتباع الإسلام.[64]

٣- إنّ للمهدي مهمات كثيرة ووظائف عديدة، تنتظره في آخر الزمان، وهي ثلاث مهّمات:[65]

الوظيفة الأولى وهي أهمها وأعظمها وأجلها، وهي نشر الايمان التحقيقي وإنقاذ الإيمان من الضلالة... وتحقيق العدالة الإلهية وإظهار الوعد الالهي للمؤمنين، فيعيد الأمل إلى النفوس التي قنطت ويئست من كثرة الظلم وشدته، ويبشر المؤمنين الذين لم ييئسوا من روح الله، الواثقين بنصره، وبظهور النور الحق مهما طاله من دياجير الظلام الغشوم، فالمهدي كما تبين لنا سيقضي على دجال المسلمين السفياني، وسيكون دوره ودور أتباعه كبيرين في القضاء على الدجال الكبير، لأن عيسى عليه السلام عندما يقتل الدجال سيصلي خلفه، أو خلف أتباعه كما جاء في الصحيح: (وإمامكم منكم)،[66] أي يصلي معكم بالجماعة والإمام وهو المهدي غالباً من هذه الأمة تكرمة لها. أو المراد أنه يحكم بينكم بشرعكم المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، وفي ذلك إشارة إلى هيمنة الإسلام على الدين كله،[67] وستكون في زمانه تيارات حاكمة متسلطة قوية، تخدم كلا الدجالين كما تقدم معنا، وتكون مسيطرة اقتصاديا وعسكرياً وسياسياً وفكرياً عبر التعليم كما تقدم معنا، لذلك يرى الأستاذ أن المهدي عندما يظهر في هذا العصر للحفاظ على حركته سيغير أساليبه، ويخفي غايته عن العامة، وإذا كان المجتمع الإسلامي يرتكز على ثلاثة أمور رئيسة هي: الحياة والشريعة والإيمان، سيركز المهدي على الإيمان وترسيخه في النفوس (الدعوة إلى الله)، على الحياة تطبيق الشريعة. إن هذه الوظيفة الأولى أسمى وأعلى من الوظيفتين التاليتين بدرجات، وإن كانت العامة تفضلهما وترجحهما، لأنهما يبدوان في نظر عامة الناس أسطع وأبهر وأوسع منها لما لهما من جاذبية، وآثارهما أوضح وأظهر في المجتمع. وكلتا الوظيفتين الثانية والثالثة؛ يتعلقان بالشريعة والحياة، اللتان يستعجلهما عامة المسلمين المخلصين، ولكنها قد تكون عجلة تلحقها ندامة، وثمرة تعجل قطفها قبل نضجها وأوانها، فتكون العقوبة الحرمان منها، لأن القوة المستبدة الطاغية لكلا

الدجالين لن تسمح بهما وستحاربهما بشدة، لذلك كان التركيز على الإيمان حتى يتمكن من النفوس ومن ثم تهيأ القوة المادية التي تطبق الشريعة، وتحي الإنسان المسلم، فيكون ترتيب المسائل: الإيمان أولاً، ثم تطبيق الشريعة ثانياً، ثم الحياة في رضا الله تعالى ثالثاً.[68]

وتتمثّل وظيفته الثانية في تنفيذ الشريعة الغراء وتطبيقها، وتحتاج هذه الوظيفة إلى قوة مادية عظيمة مرهوبة الجانب وسلطة ذات شأن -بخلاف الوظيفة الأولى التي تحتاج قوة معنوية-، كي يتمكن من تنفيذها، ويكون بهذا قد تحقق للمهدي هذه القوة عبر الشخصية المعنوية المتمثلة في أتباعه، ويسميها الأستاذ: الجمعية النورانية للسيد المهدي (أصحاب السيف المعنوي) التي ستصلح النظام المبتدع الهدام الذي أقامته جماعة السفياني والتي كانت تسعى لهدم الشريعة المحمدية وإنكارها ومسخها، وستقتلها وتشتت شملها.[69]

وتتلخّص وظيفته الثالثة في خدمة الاسلام بإعلان الخلافة الاسلامية مستنداً الى الوحدة الاسلامية (إرجاع حكم الخلافة الراشدة كما في عهد الخلفاء الراشدين)، وهذه الوظيفة يمكن تطبيقها بسلطة عظيمة وقوة هائلة وملايين الفدائيين المضحين، من أتباع المهدي (الجمعية النورانية للمهدي) بالاتفاق مع الروحانيين النصارى وسماهم الأستاذ:''العيسويون المسلمون''، الذين يتبعون عيسى المسيح الحقيقي، فتتحد الجماعتان، وتتكون القوة المادية والعسكرية الحقيقية التي ستقاتل تحت رئاسة المهدي وعيسى جماعة الدجالين السفياني والدجال الأكبر، وستنقذ البشرية من الظلم والاستبداد والاستعباد، وتعيدها إلى الدين الصحيح وربقة التوحيد الخالص، ألا وهو الإسلام وشريعة محمد ﷺ،[70] ويتحقق ذلك حين يأتم عيسى بإمام المسلمين وهو المهدي (وفق ما يستفاد من أغلب الروايات) أو من ينوب عنه.

٤- كل فرد أو جماعة في هذا الزمان تؤدي هذه الوظائف الثلاثة أو إحداها على الأقل، أو قسماً منها، هم من أتباع المهدي حقيقةً أو معنوياً، وخصوصاً ونحن نعيش آخر الزمان ونرى الأحاديث التي وردت عنه تتحقق إما حسياً أو معنوياً وإما حقيقةً أو تأويلاً، ومن هنا يمكن اعتبار الجماعة النورية (طلاب النور) هم من أتباع المهدي أو الممهدين له الذين يحملون لواء التجديد ليعيدوا للإسلام شبابه، ولهم البشرى في ذلك، بشرط الإخلاص والبدء بالوظيفة الأولى للمهدي وهي المهمة الكبرى ألا وهي نشر الإيمان وخدمته، والابتعاد عن السياسة وأهلها وكل ما يعطل هذه الوظيفة، لأنّ إطلاق اسم ''المهدي'' على أيّ شخص في الوقت الحاضر، يورد الى الذهن الوظائف

الثلاث دفعة واحدة، فيحصل الخطأ، وقد يجرح الإخلاص، وتضعف قوة الحقائق لدى العوام شيئاً ما، وتنقلب اليقينيات المدعمة بالبراهين إلى ظن الغالب للقضايا المقبولة، فلا يظهر لدى الحائرين من المؤمنين التغلب المبين على الضلالة العنيدة والزندقة المتمردة. وعندها يبدأ أهل السياسة بإثارة المخاوف والشكوك ويشرع قسم من العلماء بالاعتراض، وتنقلب الأمور إلى ضدها، فيجب عدم التعجل والبدء بالوظيفة الأولى مع الإخلاص والتضحية ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وفي فتوحات الايمان التي تكسبها رسائل النور حتى الآن، وكسرها لصولة الزنادقة وهجوم الضلالة، وإنقاذها إيمان مئات آلاف المنكوبين، وتربيتها مئات بل آلاف المؤمنين الحقيقيين الذين يعدل الواحد منهم مئة ألف من غيرهم، أثبتت إثباتاً قاطعاً بحوادث واقعية – وستثبت بإذن الله في المستقبل – إخبار المخبر الصادق ﷺ وصدّقته تصديقاً فعلياً. وقد ترسّخت في القلوب إلى درجة لا يمكن لأية قوة كانت أن تجتثها باذن الله، حتى يأتي المهدي وأتباعه بإذنه تعالى في آخر الزمان، أصحابها الحقيقيون في الدائرة الواسعة للحياة، فيوسّعون تلك الدائرة وتتسنبل البذور المزروعة، فنشاهد نحن ذلك المشهد من قبورنا ونشكر ربنا، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.يونس:٦٢ [71]

الخاتمة

خَلُص الباحث بعد استعراض آراء الأستاذ تأويلاته إلى النتائج الآتية:

• إن أحاديث المهدي كثيرة، وهي على كثرتها وتعدد طرقها، وورودها في دواوين أهل السنة، يصعب كثيراً القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها، ولكن قد يكون لها تفصيل وتأويل كالمجمل والمتشابه في النصوص القرآنية، يستشف منها أنّ لأحاديث المهدي، والله أعلم، حِكَمٌ وركائز ودلائل أشار إليها الأستاذ بديع الزمان وهي:

١- الإيمان التام بقضاء الله وقدره، وبالمغيبات التي لا يعلمها إلا الله، وخروج المهدي واقعٌ ضمن سنن الله الكونية.

٢- إحياء الأمل والبشرى في نفوس المؤمنين، فعند النظر إلى الزمان التي سيُبعث فيها المهدي، نجدّ أن ذلك الزمان يكون ممتلئاً ظلماً وجوراً، وسيكون المسلم الصادق فيه غريبا كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم؛ عن النبي ﷺ قال: ''بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء''.[72]

٣- إعلام المؤمنين أن هذا الدين متجدد لا يَخْلَقُ ولا يبلى، وثمّة رابطةٌ واضحة بين خروج المهدي المنتظر وبين معنى التجديد العام الذي بشّر به النبي ﷺ في قوله: ''إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها''،[73] وما سيقوم

به المهدي المنتظر في خلافته من إصلاح الأحوال وإقامة الحق هو من هذا الباب بلا شك، وإذا كانت خلافة المهدي خلافةً قائمة على منهاج النبوة –بنصّ الحديث– فمن مقتضيات ذلك أن يصحبها إصلاحات شاملة في جميع الجوانب، العقدية منها والسياسية والاقتصادية والاجتماعيّة، فضلاً عن غيرها من الأمور التي تندرج تحت مظلّة الخلافة الراشدة، وهذا المعنى يتسق مع ما ذكر آنفاً من مقاصد التجديد ومعانيه.

٤- بيان أن الخير في الأمة الإسلامية لا ينتهي، فصحيحٌ أن الحكم العام المجمل على الأجيال أنها في تناقص قدراً وفضلاً، إلا أنه لا يمكن أن يخلو زمانٌ من القائمين بحق الله، المقيمين لشرعه، المتمسكين بهديه، والعاملين على نصرته يقول النبي ﷺ: ''لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ''.[74]

وهذه الثلّة المؤمنة ليست بالقليلة، بل هم من الكثرة والبركة ما يُشبه المطر، إذا مات أحدهم خلفه آخر، في سلسلة لا تنقطع ونهرٍ هادر لا ينضب، فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ''مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره''،[75] ومثل هذا الكلام ينطبق على المهدي المنتظر ويدخل فيه، بسيرته العطرة التي تذكّرنا بالخلفاء الراشدين.

٥- إن الأحاديث الواردة في المهدي هي من النبؤات والمبشرات، وهي أخبار أحاد، لا تبنى عليها أحكام شرعية مستقلة، والدليل على ذلك؛ أنها لم تحدد وقتاً أو زمناً معيناً، وهي كالأحاديث الواردة في أحوال الساعة وعلامتها، ولو كان المراد منها إنشاء حكم شرعي؛ كانتظار المهدي، أو السكوت عن الظلم والمنكر، لبين ذلك الرسول ﷺ طبقاً للقاعدة الأصولية: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.[76]

بل إن هذا الفهم السقيم، يعارض أحاديث كثيرة؛ كحديث (الطائفة الظاهرة على الحق)،[77] وحديث: ''مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ''.[78]

٦- إن خلافة المهدي التي ستقوم آخر الزمان لا تقع على عاتق رجل واحد سيقود الأمّة، فالبعض يظنّ أن المهدي المنتظر يملك عصاً سحريّة قادرةٍ على قلب الأحوال وتبديلها، ولا شكّ أن هذا التصوّر الساذج إنما جاء بسبب النظرة القاصرة في سنن الله ونواميسه، وانعدام الرؤية بأن التغيير منوطٌ بالعمل الجماعي، ويؤكّد القرآن هذا المعنى في قول الباري تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾،[الرعد:١١] فلا بد

من إعداد الجيل الواعي، وهو جيل المهدي الذي ستقوم عليه أعباء الإصلاح والتغيير، ولذلك سيُقاتل المهدي عليه السلام بجيش كامل، فكيف سيُنصر النصر الكامل إن لم يكن في الأمة زهّادٌ وعبّادٌ، وصالحون ومربون، وقائمون بحدود الله؟

وقد ورد في الأحاديث أنّ خيرة أهل الأرض في زمانهم من المؤمنين المخلصين يكونون معه: ''تتبعه أبدال الشام وعصائب أهل العراق''، يهيئون له، ويتمكن بهم بإذن من الله تعالى، فالمهدي هو رمز لنهضة عامة شاملة لجميع الأمة يقيضها الله سبحانه وتعالى برحمته في الوقت الذي اختاره.

• يعتمد الأستاذ بديع الزمان على هذه الحِكَم والدلائل والركائز في أحاديث المهدي ليستنهض همم طلاب النور ويقوي عزائمهم ويبشرهم، فهو لا يستحضر هذه الأحاديث لإثبات قدر معين والتسليم به والدعوة للتواكل، وإنما يستحضرها لاستجماع التوكل على الله واستنهاض الأمة، وإبعادها عن اليأس والقنوط، وإحياء روح الأمل بالله المجدد للنشاط والعمل والإخلاص، وهو في هذا كقائد في ميدان المعركة يستخدم كل ما يمكنه من سلاح مادي ومعنوي وفكري (وهذه الاحاديث منها) في مواجهة أعدائه الأكثر منه عدداً والأضخم قوةً وإمكانات مادية .

• للأستاذ أسلوب مميز، وقلم سيال فريد في كتبه، فهناك رموز وإشارات وتلميحات تبدو كقطع فسيفساء متناثرة تناثرا محكما، لا تفهم في سياقها منفردة، ويحتاج المرء إلى دقة في جمعها وفك رموزها وإشارتها ثم حبكها لتفهم كوحدة واحدة، وتبدو كرسم من الفسيفساء البديع واضحاً وجلياً لمن أراد المعرفة والاعتبار، ولا شك أن الظروف المحيطة به من كثرة الأعداء والمتربصين به ألجأته على الاكتفاء بالإيماء والرمز دون الشرح والتوضيح، فاكتفى بالتلميح دون التصريح، وبالإشارة دون العبارة، وبالإيجاز دون التفصيل، لبث فكره ومراده في طلابه ومحبيه وخصوصاً في المسائل التي تتعلق بالإيمان وإيقاظه في النفوس استنهاضا للهمم لأجل استرجاع مجد الإسلام وعزه التليد، ومن يدرس سيرة الأستاذ يدرك ذلك.

المصادر والمراجع

أ ـ تفسير القرآن الكريم.

– السيوطى، الدر المنثور فى التفسير المأثور، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

– الطبري، ابن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان)، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية: ١٣٧٩هـ-١٩٦٠منعدد الأجزاء:٢٤.

- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، الطبعة: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٦.

ب- المتون الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات

- ابن أبي شيبة، أبو بكر، المصنف(مصنف أبي بكر بن أبي شيبة)، تحقيق : محمد عوامة، دار القبلة، الرياض، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، طباعة: دار قرطبة، بيروت، الطبعة -٢٠٠٦م، عدد الأجزاء:٢٦.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، مجلدان.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود -تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة سعد الراشد، الرياض-١٤١٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- الإمام أحمد بن حنبل، المسند (مسند أحمد بن حنبل)، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٤٥+٥ فهارس.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، تحقيق وترقيم: د مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٥.
- البزار، أبي بكر أحمد بن عمرو العتكي البزار (ت٢٩٢هـ)، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: د محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى:١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م،عدد الأجزاء:٩.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى للبيهقي، مكتبة الرشيد- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، عدد الاجزاء: ١٠.
- البيهقي، السنن الكبرى للبيهقي وبذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد- الهند، الطبعة الأولى: ١٣٤٤ه، عدد الأجزاء: ١٠.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤-١٩٨٣، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، عدد الأجزاء: ٢٠.
- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى (المجتبى من السنن)، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١٢.
- عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١١.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار بنت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٨، أربع مجلدات.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ) صحيح ابن حبان، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير(المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، عدد الأجزاء: ١٦.
- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت٣٠٧هـ)، المسند (مسند أبي يعلى الموصلي)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ١٣.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: احمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٥.
- القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، مسند الشهاب، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، مجلدان.

– عبد بن حميد، مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، مجلد.

ج – كتب التخريج والمجامع والشروحات

– الهيثمي، أبوبكر (٨٠٧-٨٤٩٠هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت: ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م، مجلدان.
– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار مصر للطباعة، مصر، عدد الأجزاء: ١٥.
– البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.
– الجزري، ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان ومكتبة الحلواني والملاح، دمشق، الطبعة الأولى: ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، عدد الأجزاء: ١٢.
– الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، تحقيق: أبو معاذ، طارق بن عوض الله، دار ابن القيم- دار ابن عفان، الرياض، ط١: ١٤٢٦ه -٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١١.
– الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ط١: (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، عدد الأجزاء: ٥.
– الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تهذيب الآثار، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، عدد الأجزاء: ٣.
– الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق من علماء الأزهر الشريف، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.
– العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، عدد المجلدات: ٧.
– المباركفوري، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ١٠.
– النووي، يحي بن شرف، شرح صحيح مسلم (شرح النووي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ،عدد الأجزاء: ١٨.

ط – فقه وكتب عامة

– ابن حزم، المحلى، تحقيق: أحمد شاكر، المطبعة المنيرية، الطبعة الأولى: ١٣٤٧هـ-عدد الأجزاء: ١١.
– ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار المعرفة بإشراف مكتبة نزار الباز، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ٤-مجلدان .
– الدكتور وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، عددالأجزاء: ٨.
– العز بن عبد السلام، الفوائد في اختصار المقاصد الفوائد في اختصار المقاصد، تحقيق إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر دار الفكر، ط: ١٤١٦هـ، دمشق، عدد الأجزاء: ١.
– ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس، منهاج السنة النبوية، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.تحقيق: د. محمد رشاد سالم، عدد الأجزاء: ٨

– الزبيدي، العلامة محمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٩.
– الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية.
–الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
–مجموعة كتب الشيخ مهمد الغزالي

ي– العقيدة والفرق الإسلامية.

– ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ط٢: ١٣٨٥هـ، مكتبة القاهرة.
–لغزالي، أبو حامد، حجة الإسلام، فضائح الباطنية (المستظهري)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، نقلاً عن وزارة الثقافة، مصر، ط١: ١٣٨٣هـ –١٩٦٤م .
– ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٥.
– الشهرستاني، أبو بكر، الملل والنحل: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: ٢.
– الغزالي، فضائح الباطنية (المستظهري)، تحقيق: عبد الرحمن البدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، ط١: ١٩٩٦م.
– عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد على صبيح، القاهرة، بدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١.

ط – السير والتراجم والتاريخ والطبقات.

– ابن العماد، شذرات الذهب، دار ابن كثير، دمشق ١٤١٣هـ/٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١٠.
– ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق: لجنة التراث في مؤسسة الرسالة، دمشق ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١٢.
– ابن خلكان، أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٧.
– السيوطي، العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق: أبي يعلى البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٧ه.

ك – مجموعة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

– كليات رسائل النور: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات...

الهوامش

[1] – أستاذ مساعد. قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية –كليات الإلهيات– جامعة عشاق، عشاق تركيا.
[2] – حيث يقص القرآن القصة في كل موضع بأكثر من وجه، ويتناول في كل مرة جانبا من الجوانب ويركز عليه، مع إضافة بسيطة للشكل العام للقصة.
[3] انظر: محمد الغزالي: الحق المر ص١٧٣، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص١٠٧، تأملات في الدين والحياة، ص ١٠١. الإسلام المفترى عليه، ص ٤٩.
[4] انظر: السيوطي، العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي، تحقيق أبي يعلى البيضاوي، المقدمة، ص٣.
[5] انظر: السيوطي، العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق أبي يعلى البيضاوين دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢٧هـ، ٦/١.

[6] الكيسانية من فرق الرافضة؛ أتباع المختار بن ابى عبيد الثقفي؛ الذي نادى بالثأر للحسين بن على بن أبي طالب. انظر: البغدادي، عبدالقاهر، الفرق بين الفرق، ٢٨/١.

[7] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١١/٤.

[8] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦٢/٥؛ نعيم بن حماد في الفتن (٤٠٥)؛ وأبو نعيم في الحلية (٣٧١/٤).

[9] من هؤلاء المدعين أيضا الميرزا (علي محمد رضا الشيرازي) زعيم طائفة (البهائية)، في إيران، أفتى علماء بلاده بردته لادعائه النبوة، أعدم سنة ١٢٦٥هـ، وادعى في أول أمره أنه (الباب) يعني الحاجب، أو المتحدث باسم (المهدي) الغائب الذي تزعمه الشيعة، ثم ارتقى به الأمر إلى ادعاء (المهدية)، فزعم أن روح (المهدي) حلت فيه، ثم سَوَّل له شيطانه بعد فادعى النبوة والرسالة. انظر: محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة، ص ١٩١، الشيخ إحسان إلهي ظهير، البهائية.

[10] غلام محمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد القادياني الهندي؛ زعيم الطائفة الضالة الكافرة (القاديانية الأحمدية) المتوفى سنة ١٣٢٦م، فقد بدأ أمره بادعاء أنه مجدد للدين، ومُحَدَّث ملهم، ثم ادعى أنه (المهدي)، والمسيح الموعود، ثم ختم سجل دعاويه الأسود بادعاء النبوة والرسالة، وقد أكثر علماء المسلمين في الهند وغيرها من البلدان من التصانيف في بيان ضلال فرقته ونحلته. انظر: القادياني والقاديانية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي طبع في الدار السعودية ١٩٨٣. و (القاديانية دراسات وتحليل) للشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى.

[11] ينظر: الشعاعات، المسألة ١٩-١١٢، ١١٣.

[12] الصلوات الإبراهيمية تستدعي المهدي وتدل عليه دلالة معنوية ويتجلى هذا المفهوم في أن نبي الله إبراهيم كان من ذربته الأنبياء والمرسلين ومنهم داود وسليمان، وفي عهد سليمان تم حكم الحق على الدنيا وظهر العدل وأزيل الباطل، وكذلك من ذرية محمد سيخرج المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا. فالصلوات الإبراهيمية هي دعوة للمهدي لإتمام النعمة التي أتمها الله على آل إبراهيم بإظهار دولة الحق والعدل ومحاربة الطغيان.

[13] من حديث جابر بن عبد الله ﷺ في الحج، سنن الترمذي ٣٧٨٦-٦٢٦/٥، المعجم الكبير للطبراني ٢٦٨٠-٦٦/٣.

وبألفاظ متقاربة عن ابي سعيد الخدري: مسند أحمد ١١٢١١-٣٠٨/١٧ مسند أبي يعلى الموصلى ١١٤٠-٣٧٦/٢، مسند البزار٨٦٤-٨٩/٣. وفي السنن الكبرى للنسائي عن زيد بن أرقم ٨٤١٠-٤٣٧/٧.

[14] يرجح رأي الأستاذ بديع الزمان كلام الإمام السيوطي في شرحه للحديث: عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ'' أن المهدي الكبير من ذرية الحسن والحسين حيث يقول: [٤٠٨٥] الْمهْدي منا أهل الْبَيْت اخْتلف فِي انه من بني الْحسن أَو من بني الْحُسَيْن وَيُمكن ان يكون جَامعا بَين النسبتين الحسنيين والاظهر من جِهَة الْأَب حسني وَمن جِهَة الام حسيني قِيَاسا على مَا وَقع فِي وَلَدي إِبْرَاهِيم وهما إِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق عَلَيْهِم السَّلَام حَيْثُ كَانَ أَنْبيَاء بني إِسْرَائِيل كلهم من بني إِسْحَاق وَنَبِي من ذُرِّيَّة إِسْمَاعِيل نَبينَا عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَقَامَ مقَام الْكل وَنعم الْعِوَض وَصَارَ خَاتم الْأَنْبِيَاء فَكَذَلِك لما ظَهرت أَكثر الْأَئِمَّة واكابر الْأَئِمَّة من أَوْلَاد الْحُسَيْن فَنَاسَبَ ان يتَخَيَّر الْحسن بِأَن أعْطى لَهُ ولد يكون خَاتم الاوبياء وَيقوم مقَام سَائِر الاصفياء. شرح سنن ابن ماجة،٤٠٨٥-٣٠٠/١. سنن ابن ماجة٤٠٨٥-١٣٦٧/٢، مسند احمد٦٤٥-٤٤٤/١. قال المحقق العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح. ياسين العجلي: صالح ليس به بأس، وقال يحيى بن يمان: ''رأيت سفيان الثوري يسأل ياسين عن هذا الحديث''. وقال ابن عدي: ''وهو معروف به''، وترجم له البخاري في التاريخ الكبير ٤٢٩/٢/٤ ولم يذكر فيه جرحا. إبراهيم بن محمد بن الحنفية: وثقه العجلي وابن حبان، وترجمه البخاري ٣١٧/١/١ وذكر هذا الحديث وقال: ''في إسناده نظر''. والحديث رواه ابن ماجة ٢/ ٢٦٩. يصلحه الله في ليلة: في شرح السندي عن ابن كثير: ''أي يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده بعد

أن لم يكن كذلك''. المناوي: فيض القدير ٩٢٤٣-٢٧٨/٦، [حكم الألباني] (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٧٣٥ في صحيح الجامع -١١٤٠/٢.

[15] ينظر: اللمعات اللمعة الرابعة النكتة الثالثة ص٣٠-٣١، الشعاعات، الشعاع الخامس، المسألة: ١٩، ص١١٣. المكتوبات، المكتوب٢٩، القسم السابع، كتاب ذو الفقار، الإشارة الرابعة، السؤال الثاني ص٣٢٨.

[16] ينظر: المكتوبات: المكتوب التاسع عشر، الإشارة الخامسة، ٣٢٧، ذو الفقار. اللمعات: اللمعة الرابعة، النكتة الرابعة، ص٣٢-٣٨.

[17] وأكبر دليل على تعدد المهديين قوله ﷺ: ''عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي''. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة، ٦١١/٢- ٤٦٠٧، والترمذي، كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ٤٤/٥- ٢٦٧٦، وابن ماجة ١٥/١-١٦ المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وغيرهم من طرق عدة: عن العرباض بن سارية قال: (وعظنا رسول الله يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن ولي عليكم عبد حبشي! فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بعدة ضلالة), وقال الترمذي: حديث حسن صحيح, وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ليس له علة. وصححه الذهبي في التلخيص. المستدرك للحاكم ٩٥/١.

وقد عقد الحافظ ابن كثير فصلاً كاملاً في ذلك بعنوان: ''فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين''. ابن كثير الدمشقي: النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٤٩/١.

وقال ابن القيم: ''وعمر بن عبد العزيز كان مهديًا، وقد قال رسول الله ﷺ: ''عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي''، وقد ذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه وغيره إلى أن عمر بن عبد العزيز منهم، ولا ريب أنه كان راشدًا مهديًا، ولكن ليس بالمهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فالمهدي في جانب الخير والرشد كالدجال في جانب الشر والضلال، وكما أن بين يدي الدجال الأكبر صاحب الخوارق دجالين كذابين، فكذلك بين يدي المهدي الأكبر مهديون راشدون''. ابن قيم الجوزية: المنار المنيف بين الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مطبوعات المكتب الإسلامي، حلب، ص١٥٠.

[18] يمكن ربط ذلك بالحديث الشريف: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: ''إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا''. سنن أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في رأس كل مائه ٤٢٩١-١٠٩/٤. وهذا الحديث تلقته الأمة بالقبول ورجاله رجال الصحيح. ينظر الألباني السلسلة الصحيحة ٥٩٩-١٤٨/٢. وأغلب المجددين كانوا من آل البيت أو من الأولياء الموالين لآل البيت المحبين لهم، فيدخلون في دائرة آل البيت مجازاً وتأويلاً، كما ورد في الحديث الشريف: ''آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ تَقِيٍّ''. قال الإمام السخاوي: أَسَانِيدُهَا ضَعِيفَةٌ، وَلَكِنَّ شَوَاهِدَهُ كَثِيرَةٌ. مِنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ قَوْلُهُ ﷺ: ''إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ''. ينظر: السخاوي: المقاصد الحسنة ٤٠/٣. وينظر: اللمعات: اللمعة التاسعة، النسب المعنوي النوراني، ص٥١.

[19] الشعاعات الشعاع الخامس، مسألة ١٩، ص ١١٣. المكتوبات: المكتوب ٢٩، القسم السابع، الإشارة الرابعة، السؤال الثاني ص٣٢٧، الكلمات: الكلمة ٢٤، ص٣٩٢.

[20] المكتوبات: المكتوب ٢٩، القسم الرابع، ص٣٢٩. ينظر الأحاديث السابقة.

[21] عن حُذَيفة بن أسيد الغفاري، قال: كنا قُعوداً نتحدَّثُ في ظِلِّ غُرفةٍ لرسولِ الله ﷺ فذكرنا السَّاعة، فارتفعت أصواتُنا، فقال رسولُ الله ﷺ: ''لن تكون -أو لن تقوم- حتى يكونَ قبلَهَا عَشْرُ آياتٍ: طلوعُ الشَّمسِ من مغربها، وخروجُ الدابَّة، وخروج يأجوجَ ومأجوجَ، والدجالُ، وعيسى ابن مريم، والدخان، وثلاثةُ خُسوف: خسفٌ بالمغربِ، وخسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بجزيرة العربِ، وآخِرُ ذلك تخرج نارٌ من اليمنِ من قعرِ عَدَنٍ،

تسوقُ النّاسَ إلى المحشَرِ''. سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة، ٤٣١١-٣٦٩/٦. وإسناده صحيح وله شواهد في مسلم (٢٩٠١)، وابن ماجه (٤٠٤١) و (٤٠٥٥)، والترمذي (٢٣٢٤ - ٢٣٢٨) والنسائي في ''الكبرى'' (١١٣١٦) و (١١٤١٨) من طرق عن فرات بن أبي عبد الرحمن القزاز، به. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[22] هناك أحاديث تشير إلى معاصرة المهدي للمسيح والدجال، وأن المسيح يجتمع مع المهدي ويقتل الدجال في بيت المقدس ويقدم المهدي للصلاة، كما في الحديث الذي رواه الشيخان وقد تقدم ذكره: ''كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟'' وقد أقر كثير من العلماء أن الأمام المقصود هنا هو المهدي، لأن الواو فيه حاليةٌ (وإمامكم)، والمُتَبَادَرُ منه الإمام المهدي، فَسُمِّي إمامًا، وعيسى ﷺ حكمًا وعَدْلًا. ينظر: ملا علي القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، لبنان، ط١: ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م، ٥٥٠٧-٣٤٩٥/٨. محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ): فيض الباري على صحيح البخاري، حقق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ٣٤٤٩-٤٠٥/٤.

وهناك حديث شارح لهذا الحديث يصرح بالمهدي، ذكره الحارث عن وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله: ''يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ تَعَالَ صَلِّ بِنَا فَيَقُولُ لا إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرُ بَعْضٍ تَكْرِمَةُ اللهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ''. ابن القيم: المنار المنيف رقم ٣٣٨-ص٩٤. وقال ابن القيم: إسناده جيد. وينظر: الألباني: السلسلة الصحيحة، باب نزول عيسى واجتماعه بالمهدي -٢٢٣٦-٢٧٦/٥.

ونبه الإمام ملا علي قاري أن اجتماع عيسى بالمهدي في بيت المقدس وتقديم عيسى ﷺ للمهدي ليؤم الناس بالصلاة إشارة إلى متابعة عيسى لدين محمد ﷺ وإظهار شريعة الإسلام على الدين كله. ينظر: ملا علي القاري: منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٣٢٤-٣٢٥.

[23] السفياني شخصية جدلية، ذكر كثيرا في روايات الشيعة وأغلبها لا يصح إسناده، وذكر في بعض كتب الحديث عند أهل السنة ككتاب الفتن لنعيم بن حماد ومعظم هذه الاخبار لا يخلو من علة قادحة عند علماء الحديث، فنعيم نفسه متهم عند علماء الجرح والتعديل. ينظر: الفتن لنعيم بن حماد، باب صفة السفياني ونسبه ٢٧٨/١.

ولعل أصح الروايات الحديث الذي ذكره الحاكم في المستدرك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''يَخْرُجُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: السُّفْيَانِيُّ فِي عُمْقِ دِمَشْقَ، وَعَامَّةُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ كَلْبٍ، فَيَقْتُلُ حَتَّى يَبْقَرَ بُطُونَ النِّسَاءِ، وَيَقْتُلُ الصِّبْيَانَ، فَتَجْمَعُ لَهُمْ قَيْسٌ فَيَقْتُلُهَا حَتَّى لَا يُمْنَعُ ذَنَبُ تَلْعَةٍ، وَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي الْحَرَّةِ فَيَبْلُغُ السُّفْيَانِيَّ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنْ جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا صَارَ بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ، فَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلَّا الْمُخْبِرُ عَنْهُمْ. قال الحاكم: ''هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ''. ووافقه الذهبي في التلخيص. الحاكم: المستدرك ٨٥٨٦-٥٦٥/٤.

وكثير من المفسرين يجزم بأن السفياني هو صاحب الجيش الذي سيغزو الكعبة ويخسف بهم، وقد يكون بقيادته أو بأمر منه، والحديث مشهور صحيح، متفق عليه، رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وهذا الجيش أصله من المسلمين، ورواية مسلم تؤكد على ذلك. ينظر: صحيح البخاري ٢١١٨-٦٥/٣، صحيح مسلم ٤-٢٨٨٢-٢٢٠٨/٤. تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾، سبأ:٥١ تفسير مقاتل بن سليمان ٥٣٩/٣، تفسير الطبري٤٢٢/٢٠، تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تفسير القرطبي ٣١٥/١٤، أبو حيان التوحيدي: البحر المحيط ٩٥/٨، السيوطي: الدر المنثور ٧١٢/٦، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢١١/٧.

والسفياني كما تشير الروايات يكون في اول أمره مسلماً صالحاً يقود الجيوش لنصرة المسلمين ويهزم أعداء الإسلام بعد خوضه عدة معارك، ثم يغتر بنفسه وقوته ويدخل الغرور قلبه فيختم له بسوء. السنن الواردة في

الفتن للداني ١٠٢١/٥ وما بعدها. ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ٢١٦/٢. السيوطي: العرف الوردي في أخبار المهدي ص٩٢ وما بعدها.

وحال السفياني في التكرار عبر التاريخ كحال المهدي، فقد ظهر أكثر من شخص ادعى أنه السفياني، أو نسب إليه، وأشهرهم: علي بن عبد الله بن خالد ين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو العَمَيْطَر، الذي ظهر في خلافة الأمين بن هارون الرشيد سنة ١٩٦هـ. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣: ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، السفياني -٨٠-٩/٢٨٤.

وذهب بعض العلماء إلى أن المهدي وعيسى والسفياني والدجال يكونون جميعا في وقت، وأن الدجال والسفياني سيقاتلان المهدي وجيشه فيخسف بجيش السفياني عندما يغزو الكعبة المتحصن بها، ثم ينزل عيسى عليه السلام فينصر المهدي ويقتل الدجال في بيت المقدس، وقد أشار السيوطي في شرحه لسنن ابن ماجه لذلك: ''يكون فِي أمتِي الْمهْدِي قَالَ النَّوَوِيّ الْمهْدي من هداه الله الى الْحق وغلبت عَلَيْهِ الاسمية وَمِنْه مهْدي اخر الزَّمَان وَقَالَ الزَّرْكَشِيّ أَي الَّذِي فِي زمن عِيسَى عليه السلام وَيُصلي مَعَه ويقتلان الدَّجَّال وَيفتح الْقُسْطَنْطِينِيَّة وَيملك الْعَرَب والعجم ويملأ الأَرْض عدلا وقسطا ويولد بِالْمَدِينَةِ وَيكون بيعَته بَين الرُّكْن وَالْمقَام كرها عَلَيْهِ وَيُقَاتل السفياني''. شرح السيوطي لسنن ابن ماجه ٤٠٨٣-١/٣٠٠.

وقال ابن حجر الهيتمي: السفياني: أَي وَهُوَ من ذُرِّيَّة أبي سُفْيَان، يخرج بِالشَّام وَعَامة من يتبعهُ من كلب فيبقر بطُون النِّسَاء وَيقتل الصّبيان، ثمَّ يبْعَث الْمهْدي وَقد خرج للْحرَّة جَيْشًا فيهزمهم الْمهْدي، فيسير إِلَيْهِ السفياني هُوَ وَمن مَعَه حَتَّى إِذا صَار ببيداء من الأَرْض حسف بهم فَلَا ينجو مِنْهُم إِلَّا الْمخبر عَنْهُم... الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي٢٩/١. السنن الواردة في الفتن للداني١٠٨٩/٥. العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي ١٤٦ وما بعدها.

وهذا يتماهى مع تفصيل الأستاذ بديع الزمان أن دجال الكفار غير دجال المسلمين وأنهما شخصان مختلفان، وأعتقد أن الأستاذ بديع الزمان يتعامل مع هذه النصوص بالتأويل والرمزية وفق التنبيه الذي ذكره في الشعاع الخامس.

[24] ينظر: الشعاعات: الشعاع الخامس، المسالة الثامنة، ص١٠٦.

[25] من الروايات التي اعتمد عليها الأستاذ في هذا التأويل وهو تعدد الدجالون والسفيانيون حديث عمر الذي ذكره الشيخان عندما اشتبه الرسول ﷺ في أحد أبناء اليهود ويدعى ابن صائد أو ابن صياد واسمه صافٍ أن يكون هو الأعور الدجال، وهو: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِابْنِ صَيَّادٍ: ''أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟'' فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: ''آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ'' ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''مَاذَا تَرَى؟'' قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ'' ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا'' فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ'' فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ذَرْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ''. صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، ٣٠٥٥-٧٠/٤. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد -٩٥- (٢٩٣٠)-٢٢٤٤/٤.

وأيضاً هناك حديث آخر يدل على سعة اطلاع الأستاذ على الأحاديث والآثار النبوية وهو حديث الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي أُمِّهِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ عِنْدِي لَحَدِيثًا لَوْ أَرَدْتُ أَنْ آكُلَ بِهِ الدُّنْيَا لَأَكَلْتُهَا، وَلَكِنْ لَا يَسْأَلُنِي اللهُ عَنْ حَدِيثٍ أَرْفَعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ، قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ: لَمَّا خَرَجَ زَيْدٌ أَتَيْتُ خَالَتِي الْغَدَ فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّهُ قَدْ خَرَجَ زَيْدٌ، فَقَالَتْ: الْمِسْكِينُ يُقْتَلُ كَمَا قُتِلَ آبَاؤُهُ، فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ ذَوُو الْحِجَى، فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَذَاكَرُوا الْخِلَافَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

فَتَذَاكَرُوا الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ فَقَالُوا: وَلَدُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''لَنْ يَصِلُوا إِلَيْهَا أَبَدًا وَلَكِنَّهَا فِي وَلَدِ عَمِّي صِنْوِ أَبِي حَتَّى يُسْلِمُوهَا إِلَى الدَّجَّالِ''. الطبراني: المعجم الكبير ١٠١٦-٤٢٠/٢٣، الديلمي: الفردوس بمأثور الخطاب ٥٣٧١-٤٤٧/٣، وقال الهيثمي في الزوائد: فيه جماعة لم أعرفهم. الهيثمي: مجمع الزوائد١٨٧/٥. وخروج زيد يعني خروج الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عندما خرج على هشام بن عبد الملك سنة ١١٠هـ تقريبا.

وفي هذا الحديث يقول الأستاذ بديع الزمان بعدما ساقه: إنه يدل دلالة صريحة على أن الخلافة العباسية ستظهر وتستمر مدة طويلة بما يقرب من خمسمائة سنة، ثم تدمر على يد دجال من الدجالين الثلاثة من امثال جنكيز أو هولاكو ويتولى حكومة دجالية العالم الإسلامي. الشعاعات، رد على من اعترض على الشعاع الخامس، ص٥٢٦.

وأيضاً الحديث الصحيح: ''لَيَكُونَنَّ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَكَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ أَوْ أَكْثَرُ''. صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، ٧١٢١-٥٩/٩. مسند أحمد ٥٨٠٨-٧٠/١٠. وفي رواية عن أَبِي بَكْرَةَ الثقفي ﷺ: ''أَكْثَرَ النَّاسِ فِي شَأْنِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا''، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ، ''فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ، قَالَ: ''أَمَّا بَعْدُ فِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي شَأْنِهِ'' فَإِنَّهُ كَذَّابٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا يَخْرُجُونَ قَبْلَ الدَّجَّالِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بَلَدٌ إِلَّا يَدْخُلُهُ رُعْبُ الْمَسِيحِ، إِلَّا الْمَدِينَةَ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكَانِ يَذُبَّانِ عَنْهَا رُعْبَ الْمَسِيحِ''. صحيح ابن حبان٦٦٥٢-٢٩/١٥. مسند احمد ٢٠٤٦٤-١١٤/٣٤. عَوْنُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: ''إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ مِنْهُمْ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيُّ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ حِمْيَرَ، وَمِنْهُمُ الدَّجَّالُ وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً''. قَالَ: ''هُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا''. صحيح ابن حبان ٦٦٥٠-٢٥/١٥.

[26] ينظر: الشعاعات: تتمة المسائل العشرين، المسالة الثالثة الصغيرة، ص١١٩. والرد على الاعتراض في الشعاع الخامس، ص٥٢٦.

[27] الشعاعات: تتمة المسائل العشرين، المسألة الاولى ١١٦.

[28] يتيح الدجال لأتباعه الملذات من الشهوات من النساء والمال بعد ادعائه الألوهية ويعذب كل من خالفه، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ''. وقد وردت أحاديث كثيرة تصف مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجَمِيعِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ أنه شَخْصٌ بِعَيْنِهِ ابْتَلَى اللهُ بِهِ عِبَادَهُ وَأَقْدَرَهُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْ مَقْدُورَاتِ اللهِ تَعَالَى مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ الَّذِي يَقْتُلُهُ وَمِنْ ظُهُورِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالْخِصْبِ مَعَهُ وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ وَنَهَرَيْهِ وَاتِّبَاعِ كُنُوزِ الْأَرْضِ لَهُ وَأَمْرِهِ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ وَالْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ فَيَقَعُ كُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ ثُمَّ يُعْجِزُهُ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره وَيُبْطِلُ أَمْرَهُ وَيَقْتُلُهُ عِيسَى عليه السلام وَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا هَذَا. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر الدجال وصفته ١٠٤-(٢٩٣٤)-٢٢٤٨/٤. وينظر: ابن حجر: فتح الباري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، ١٠٣/١٣. شرح النووي على صحيح مسلم، باب ذكر الدجال، ٥٨/١٨.

[29] الشعاعات: الشعاع الخامس، المقام الثاني: مسائل الشعاع الخامس، المسألة الأولى ١٠٣.

[30] المصدر نفسه: المسألة السادسة، ص١٠٥.

[31] المصدر نفسه: المسألة الثالثة والرابعة، ص١٠٤.

[32] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب لا تقوم الساعة، ١٧٦-(١٩٢٤)-١٥٤٢/٣، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان،٢٣٤-(١٤٨)-١٣١/١. وعن عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرٍو: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي...، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: ''فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ''. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال -١١٧-(٢٩٤٠)-٢٢٦٠/٤.

[33] الشعاعات: الشعاع الخامس، المسالة السابعة، ص١٠٦. المكتوبات: المكتوب الخامس عشر، ص٦١.

[34] ينظر الاحاديث: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال ٥٩/٩، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب صفة الدجال ٢٢٥٦/٤، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال ١١٥/٤، سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في صفة الدجال ٨٤/٤. وهناك حديث جامع عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ، وَحَذَّرَنَاهُ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: ''إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ، فَيَعِيثُ يَمِينًا وَيَعِيثُ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا، فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ، فَلْيَسْتَغِثْ بِاللهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ، اتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقْتُلَهَا، وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولَ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ اللهُ، وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللهِ، أَنْتَ الدَّجَّالُ، وَاللهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ ''، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ'' ...ثم قَالَ: ''وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُونَهُ، فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ، مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمَهُ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا، وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ...'' سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال -٤٠٧٧-٢/١٣٥٩.

[35] الشعاعات: الشعاع الخامس، المقام الثاني، المسألة الخامسة ١٠٥.

[36] ينظر مراجع الأحاديث السابقة.

[37] الشعاعات: الشعاع الخامس، المسألة السابعة ١٠٦.

[38] عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا...) ينظر: صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة -١١٩-(٢٩٤٢)-٤/٢٢٦١.

[39] هذا للدلالة على السيطرة الاقتصادية وموارد المياه. ينظر: صحيح البخاري ٧١٢٢-٩/٥٩.

[40] ينظر: مسند أحمد ١٤٩٥٤-٢٣/٢١٠. دابة الدجال أو حماره يتأولها الأستاذ بالطائرة أو القطار السريع.

[41] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ''الدَّجَّالُ أَحْمَرُ هِجَانٌ، ضَخْمٌ فَيْلَمِيٌّ، كَأَنَّ شَعْرَ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ، كَأَنَّ عَيْنَهُ كَوْكَبُ الصُّبْحِ...'' الطبراني: المعجم الأوسط ١٦٤٨-٢/١٨٠، الضياء المقدسي: المختارة ٢٧٠-١٢/٢٤٠. والفَيْلَم: عظيم الجثة.

[42] الشعاعات: الشعاع الخامس، المقام الثاني: المسألة السادسة عشرة والسابعة عشرة، ص ١١١.

[43] تواترت الأحاديث على صفتين أساسيتين للدجال وهما: أنه أعور ممسوح العين، وأنه مكتوب على جبينه كلمة الكفر. فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ''أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ، كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ، أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، أَعْوَرِ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: المَسِيحُ الدَّجَّالُ ''. صحيح

البخاري-كتاب اللباس، باب الجعد٥٩٠٢-١٦١/٧. صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب ذكر المسيح ٢٧٣-(١٦٩)-١٥٤/١.

وعن أَنَسٍ ﷺ (وأبي هريرة)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ''مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ». صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال -٧١٣١-٦٠/٩. صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته -١٠٠- (١٦٩)-٢٢٧٢/٤.

[44] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر الدجال -١٠٣-(٢٩٣٣)-٢٢٤٨/٤. عن أنس بن مالك ﷺ.

[45] الشعاعات: تتمة المسائل العشرين، المسألة الثانية ١١٧-١١٩، الشعاع الخامس، المقام الثاني، مسائل الشعاع الخامس، المسألة الثانية، ص١٠٤.

[46] المصدر ذاته: المسألة العاشرة، ص١٠٧.

[47] المصدر ذاته: المسألة التاسعة، ص١٠٧.

[48] يرتكز الأستاذ بديع الزمان على روايات كثيرة صحيحة تربط ظهور الدجال (سواء أكان دجال المسلمين السفياني أم دجال الكفار) بأحداث جسيمة عظيمة تقع في مراكز الخلافة القديمة؛ المدينة، دمشق، بغداد، أم الجديدة القسطنطينية، وتشير إلى أن دجال المسلمين السفياني قد يستولي على القسطنطينية ثم تفتح القسطنطينة مرة أخرى على يد المؤمنين الصادقين من جماعة المهدي أو الممهدين لظهوره، وهذه الأحداث العظيمة هي حروب كبيرة تسمى الملاحم، وظهور الملاحم هو بداية لظهور علامات الساعة السبع الكبرى وهي الدجال ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج وخروج الدابة، والملحمة الكبرى تكون بعد صلح أمن بين المسلمين والروم لقتال عدو مشترك ثم يغدر الروم، ومن هذه الروايات: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا -وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ- فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً -إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا- حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيِّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ'' صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم، ٣٧-(٢٨٩٩)-٢٢٢٣/٤.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ''لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ''. صحيح مسلم ٣٤-(٢٨٩٧)-٢٢٢١/٤. وهو في مسند احمد

والترمذي وابن ماجه وابن حبان وأبي يعلى الموصلي وغيرهم. الأعماق ودابق موضعان في بلاد سورية قرب حلب.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ''سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟'' قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ''لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا -قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ- الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ''. صحيح مسلم ٧٨-(٢٩٢٠)-٤/٢٢٣٨.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ''المَلْحَمَةُ العُظْمَى، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ''. سنن الترمذي، كتاب أبواب الفتن، علامات خروج الدجال، ٢٢٣٨-٤/٥٠٩. سنن أبي داود ٤٢٩٤-٤/١١٠. وغيرهما.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ ''ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى فَخِذِهِ أَوْ عَلَى مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: ''إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ ''مسند أحمد بن حنبل ٢٢٠٢٣-٣٦/٣٥٢. سنن أبي داود ٤٢٤٩، وابن ماجه (٤٠٩٢)، ويعقوب بن سفيان في ''المعرفة والتاريخ'' ٣١٣/٢-٣١٤، والترمذي (٢٢٣٨)، والطبراني في ''الكبير'' (١٧٣) و (١٧٤) و (١٧٥)، وفي ''الشاميين'' (١٥٠١) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، بهذا الإسناد. وإسناده ضعيف لضعف أبي بكر -وهو ابن عبد الله بن أبي مريم- والوليد بن سفيان بن أبي مريم، ولجهالة حال يزيد بن قطيب. أبو المغيرة: هو عبد القدوس بن حجاج الخولاني، وأبو اليمان: هو الحكم بن نافع.

ولكن يقويه سند أبو داود وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَثَّقَهُ بَعْضُهُمْ وَتَكَلَّمَ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ. ينظر: العظيم آبادي: عون المعبود مع حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٥:١هـ، ١١/٢٧٠.

[49] عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ''. مسند احمد ١٢-١/١٩٠. وذكره ابن ماجه والترمذي والبزار والطبراني والضياء في المختارة وغيرهم.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنَ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَيُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِيِّ'' يَعْنِي: سُلْطَانَهُ. سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب خروج المهدي ٤٠٨٨-٢/١٣٦٨، قال الهيثمي في الزوائد: في إسناده عمرو بن جابر الحضرمي وعبد الله بن لهيعة وهما ضعيفان.

[50] عَنِ ابن أرطاة قَالَ: ''يَدْخُلُ السفياني الْكُوفَةَ، فَيَسْتَلُّهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيَقْتُلُ مِنْ أَهْلِهَا سِتِّينَ أَلْفًا، ثُمَّ يَمْكُثُ فِيهَا ثَمَانِ عَشْرَةَ لَيْلَةً، يُقَسِّمُ أَمْوَالَهَا، وَدُخُولُ الْكُوفَةِ بَعْدَمَا يُقَاتِلُ التُّرْكُ وَالرُّومُ بِقَدْفِسِيَا، ثُمَّ يُبْعَثُ عَلَيْهِمْ خَلْفَهُمْ فِتَنٌ، فَتَرْجِعُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى خُرَاسَانَ، فَيَقْتُلُ السفياني...'' السيوطي: العرف الوردي ٤٠/١، والحديث ذكره الحاكم في المستدرك ونعيم بن حماد في الفتن، وقال الذهبي في التلخيص: واه. ينظر: الحاكم: المستدرك ٨٥٣٠-٤/٥٤٧. الذهبي: التلخيص ١١٢٧-٧/٣٣٨٧.

[51] الشعاعات، الشعاع الخامس، تتمة المسائل العشرين، المسألة الثالثة، ص١٢٠.

[52] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: ''مَا يُبْكِيكِ؟'' قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ، قَالَ: ''فَلَا تَبْكِينَ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ أَكْفِيكُمُوهُ، وَإِنْ مُتُّ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مَعَهُ الْيَهُودُ، فَيَسِيرُ حَتَّى يَنْزِلَ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا، فَيَنْطَلِقُ حَتَّى يَأْتِيَ لُدَّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَلْبَثُ عِيسَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، أَوْ قَرِيبًا مِنْ

أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا''. صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب إخباره عما يكون في أمته، ٦٨٢٢-٢٣٤/١٥.

وعن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ''. مسند احمد ١٣٣٤٤-٥٥/٢١، والسّيجان: جمع ساج: وهو الطيلسان، والطيلسان: ضرب من الأوشحة يُلبَس على الكتف، أو يحيط بالبدن. قال المحققون: حديث حسن، وأخرجه أبو يعلى (٣٦٣٩)، والطبراني في ''الأوسط'' (٤٩٢٧) من طريق محمد بن مصعب، بهذا الإسناد. وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي عن ربيعة إلا محمد بن مصعب.

وأخرجه مختصراً مسلم (٢٩٤٤)، وأبو عمرو الداني في ''الفتن وغوائلها'' (٦٣١) من طريق إسحاق بن عبد الله عن أنس، ولفظه: ''يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة''.

وأخرجه أبو عمرو الداني (٦٣٠) من طريق إسحاق بن عبد الله عن أنس موقوفاً باللفظ السابق.

والدليل على أن الدجال من اليهود اشتباه الرسول في ابن صائد الذي ولد في زمانه، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''يَمْكُثُ أَبَوَا الدَّجَّالِ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَغْوَرُ، أَضَرُّ شَيْءٍ وَأَقَلُّهُ نَفْعًا، تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ''، ثُمَّ نَعَتَ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: ''أَبُوهُ رَجُلٌ طُوَالٌ، مُضْطَرِبُ اللَّحْمِ، طَوِيلُ الْأَنْفِ، كَأَنَّ أَنْفَهُ مِنْقَارٌ، وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ فِرْضَاخِيَّةٌ، عَظِيمَةُ الثَّدْيَيْنِ'' قَالَ: ''فَبَلَغَنَا أَنَّ مَوْلُودًا مِنَ الْيَهُودِ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ''، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَبَوَيْهِ، فَرَأَيْنَا فِيهِمَا نَعْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِذَا هُوَ مُنْجَدِلٌ فِي الشَّمْسِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ هَمْهَمَةٌ، فَسَأَلْنَا أَبَوَيْهِ، فَقَالَا: مَكَثْنَا ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَنَا، ثُمَّ وُلِدَ لَنَا غُلَامٌ أَغْوَرُ، أَضَرُّ شَيْءٍ وَأَقَلُّهُ نَفْعًا، فَلَمَّا خَرَجْنَا مَرَرْنَا بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُمَا فِيهِ؟ قُلْنَا: وَسَمِعْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنَّهُ تَنَامُ عَيْنَايَ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي، فَإِذَا هُوَ ابْنُ صَيَّادٍ. مسند أحمد ٢٠٤١٨-٦٠/٣٤، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣٩/١٥ عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي (٨٦٥)، وأخرجه الترمذي (٢٢٤٨)، والبزار في ''مسنده'' (٣٦٢٨) من طريق عبد الله بن معاوية الجمحي. وقال الترمذي: حسن غريب.

وينظر أخبار ابن صياد، الأحاديث في صحيح البخاري ٦٦١٧، ٧٣٥٥. صحيح مسلم، كتاب القتن، باب ذكر ابن صياد ٢٢٤٠/٤. سنن أبي داود، كتاب الملاحم، خبر ابن صائد ١٢٠/٤.

[53] ينظر: الشعاعات، الشعاع الخامس، المسألة الرابعة عشرة، ص١٠٩وما بعدها. وتتمة المسائل العشرين، المسألة الثانية، الجهة الثالثة والسبب الثالث، ص١١٨.

[54] وردت عدة روايات عن رسول الله ﷺ في مدة مكوث الدجال في الدنيا منها ما ورد في صحيح مسلم: ''يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ-لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ...، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ...''

وأيضاً: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''يَمْكُثُ الدَّجَّالُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَاضْطِرَامِ السَّعْفَةِ فِي النَّارِ''. مسند أحمد٢٧٥٧١-٥٥٢/٤٥. وهو في ''مصنف'' عبد الرزاق (٢٠٨٢٢)، وأخرجه من طريقه عبد بن حميد (١٥٨٢)، والبغوي في ''شرح السنة'' (٤٢٦٤). وأخرجه الطبراني في ''الكبير'' ٢٤/ (٤٣٠) من طريق يحيى بن سليم، وهو سيىء الحفظ. وأورده الهيثمي في ''مجمع الزوائد'' ٣٤٧/٧ مطولاً، ونسبه إلى الطبراني، وأعلّه بشهر، وقال: ولا يحتمل مخالفته للأحاديث الصحيحة أنه يلبث في الأرض أربعين يوماً، وفي هذا أربعين سنة.

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الكِلاَبِيِّ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ...: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ اليَوْمَ الَّذِي كَالسَّنَةِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ اقْدُرُوا لَهُ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا سُرْعَتُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيُكَذِّبُونَهُ وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَتَتْبَعُهُ أَمْوَالُهُمْ وَيُصْبِحُونَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ،...'' صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال -١١٠-(٢٩٣٧)-٢٢٥٠/٤.

سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الدجال -٢٢٤٠/٤-٨٠. وقال أبو عيسى الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ.

55 الشعاعات: الشعاع الخامس، المسالة الثانية عشرة، ص١٠٨.

56 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ. مسند البزار -٦٢١٦-٣٣٨/١٢.

57 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُهُ مِنْهُ: ''إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُوَ الزِّنَا، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَيَبْقَى النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ''. صحيح مسلم ٩-(٢٦٧١)-٢٠٥٦/٤. مسند أحمد ١١٩٤٤-١١/١٩. سنن ابن ماجة ٤٠٤٥-١٣٤٣/٢. وفي رواية: أربعين امرأة، ولا تضاد في الروايتين لأنه كناية عن الكثرة أو يحتمل اختلاف الزمان في ذلك. (قيم واحد) هو من يقوم بأمرهن لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾النساء:٣٤ ويحتمل القيام بأمور الدنيا عليهن ويحتمل بالنكاح حرامًا وحلالًا. ينظر: الامير الصنعاني: التنوير شرح الجامع الصغير -٢٤٥٩-١٢٢/٤.

58 الشعاعات: الشعاع الخامس، المسألة الحادية عشرة، ص ١٠٧ وما بعدها.

59 عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ''يَنْزِلُ الدَّجَّالُ بِهَذِهِ السَّبَخَةِ فَيَكُونُ آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى أُمِّهِ، وَأُخْتِهِ، وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ يَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرِ أَوِ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ''. الطبراني، المعجم الكبير ١٣١٩٧-٣٠٧/١٢. مسند احمد ٥٣٥٣-٢٥٥/٩. وله شواهد كثير ة تقويه، والسبخة: أرض مالحة خارج المدينة.

60 ينظر: حديث النواس بن سمعان ﷺ، صحيح مسلم -١١٠-(٢٩٣٧)-٢٢٥٠/٤. وحديث عبد الله بن مسعود ﷺ، قَالَ: ''لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ، فَبَدَءُوا بِإِبْرَاهِيمَ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْهَا، فَسَأَلُوا مُوسَى فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ، فَرَدُّوا الْحَدِيثَ إِلَى عِيسَى فَقَالَ: عَهِدَ اللهُ إِلَيَّ فِيمَا دُونَ وَجْبَتِهَا، فَأَمَّا وَجْبَتُهَا فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ ; فَذَكَرَ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ فَأَهْبِطُ فَأَقْتُلُهُ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ (ص:٤٩٩) وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، لَا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ; وَلَا شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ، فَيَجِيئُونَ إِلَيَّ فَأَدْعُو اللهَ فَيُرْسِلُ السَّمَاءَ بِالْمَاءِ فَتَحْمِلُ أَجْسَادَهُمْ فَتَقْذِفُهَا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ، ثُمَّ يُعْهَدُ إِلَيَّ إِذَا كَانَ ذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا''، قَالَ الْعَوَّامُ: فَوَجَدْتُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾''.الأنبياء:٩٦ مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٥٢٥-٤٩٨/٧.

61 الشعاعات: الشعاع الخامس، المسالة الخامسة عشرة، ص١١٠. اللمعات: اللمعة السادسة عشرة ١٦٢-١٦٦.

62 تواترت الأحاديث أن المسيح عليه السلام بعد نزوله في دمشق سيذهب إلى بيت المقدس ويقتل الدجال عند باب لد. ينظر: حديث النواس بن سمعان: ''...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ...'' صحيح مسلم ١١٠-(٢٩٣٧)-٢٢٥٠/٤. وينظر الاحاديث المذكورة في الدجال في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم.

63 عن الْمُسْتَوْرِدِ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ''تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ'' قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُذْكَرُ عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ عَمْرٌو: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَجْبَرُ النَّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، وَخَيْرُ النَّاسِ لِمَسَاكِينِهِمْ وَضُعَفَائِهِمْ، صحيح مسلم، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب تقوم

الساعة والروم أكثر الناس -36-(٢٨٩٨)-٢٢٢٢/٤. وفي رواية أحمد: "أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمُ الرُّومُ، وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ". مسند أحمد ١٨٠٢٣-٥٥١/٢٩.

64 الشعاعات، الشعاع الخامس، المسألة الثالثة عشرة، ص١٠٩. المكتوبات: المكتوب الخامس عشر، ص٦٢.

65 ينظر: الملاحق، ملحق القسطموني، ص١٢٨-ص١٨٤.

66 عَنْ نَافِعٍ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ". صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم -٣٤٤٩-١٦٨/٤. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا -244-(١٥٥)-١٣٦/١.

67 المكتوبات: المكتوب الخامس عشر، ص٦١، المكتوب التاسع والعشرون، ص٣٢٨ وما بعدها.

68 سكة التصديق الغيبي، القطعة الثانية، المكتوب السادس عشر.

69 المكتوبات، المكتوب التاسع والعشرون، الإشارة السادسة، ص٣٢٩.

70 المصدر ذاته.

71 المصدر ذاته، المكتوبات: المكتوب الثامن والعشرون، السبب الخامس، ص٢٣٩ وما بعدها. والقصيدة النورانية، وتلميحات المثنوي ٢٩-١٨٨-٣٠٢-٣٧٨.

72 عن سهل بن سعد: أخرجه الطبرانى: المعجم الكبير ٥٨٦٧- ١٦٤/٦ وأخرجه أيضًا: فى الأوسط: ٣٠٥٦-٢٥٠/٣، والقضاعي: الشهاب، ١٠٥٥-٢/،١٣٩ قال الهيثمى في مجمع الزوائد (٢٧٨/٧): رجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة.

73 أخرجه البيهقى فى المعرفة (٢٠٨/١، رقم ٤٢٢) عن أبى هريرة. وأخرجه أيضًا: أبو داود (١٠٩/٤، رقم ٤٢٩١)، والطبرانى فى الأوسط (٣٢٣/٦، رقم ٦٥٢٧)، والحاكم (٥٦٧/٤، رقم ٨٥٩٢)، والخطيب (٦١/٢، ترجمة ٤٥٤)، والديلمى (١٤٨/١، رقم ٥٣٢). قال المناوى (٢٨٢/٢): قال الزين العراقى وغيره: سنده صحيح.

74 متفق عليه واللفظ لمسلم، كتاب الامارة، باب لا تزال طائفة -٥٠٥٩-٥٢/٦.

75 أخرجه أحمد في مسنده، عن عمار بن ياسر -١٨٩٠١-٣١٩/٤؛ وأخرجه أيضًا: البزار في مسنده، ١٤١٢-٢٤٤/٤؛ وابن حبان -٧٢٢٦-٢٠٩/١٦؛ وقال الهيثمى في الزوائد: رجال البزار رجال الصحيح غير الحسن بن قزعة، وعبيد بن سليمان الأغر، وهما ثقتان، وفى عبيد خلاف لا يضر، (٦٨/١٠). وأخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك -١٢٣٤٩-١٣٠/٣؛ والترمذى في سننه، ٢٨٦٩-١٥٢/٥، وقال: غريب من هذا الوجه؛ وأبو يعلى -٣٨٠/٣٧١٧،٦.

76 انظر: الشوكاني، إرشاد الفحول تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢، الفصل السادس، تأخير البيان عن وقت الحاجة -٣٧/٣.

77 تقدم تخريجه.

78 متفق عليه، واللفظ لمسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف -١٨٦-٥٠/١.

مقام الإخلاص في النظرات القرآنية لسعيد النورسي

الملخص

ذ. عبد العزيز انميرات[1]

قضية الإخلاص رأس القضايا التي يتعيّن العناية بها في رسائل النور، لما له من أهمية وفوائد، وبيّن إجرائيا مسالك تحصيله وتنميته، منبها إلى أهم موانعه وعوامل إعاقة تحصيله، ذلك أنّه يمثّل مدخلا رئيسا لضبط العلاقة بالله، هذه العلاقة تعدّ رأس ما تستجلب به الآدمية الحقيقية التي يعيش فيها الإنسان داخل دائرة التكريم، وكلّ تلك المعاني مستحلبة من القرآن الكريم كما تفاعل معه النورسي في رسائله.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإخلاص، الإنسان، النورسي

* * *

The Place of Sincerity in the Qur'an-Based Views of Said Nursi

ABSTRACT

Dr. Abdul Aziz Inmirat

Sincerity is a basic factor and most important issue that must be taken care when studying Risale-i Nur. It is a principal concept that blossoms great benefits. Nursi, in the Risale-i Nur, illustrates practical methods to gain sincerity. He also warns against obstacles that might hinder its achievement. Sincerity is the main key to be in a good relationship with God. This relationship is what brings man back to his real humanity to live within the state of honor granted to him by God.

Keywords : Quran, Sincerity, Human, Nursi

* * *

توطئة

إذا كان من المعروف عادة عند الذين يكتبون في الرجال وسيرهم وآثارهم الفكرية أنهم يبدءون بالبحث عن النشأة والبيئة الأسرية والاجتماعية ومختلف المراحل التي يقطعها الرجل في حياته، ناهيك عن البحث عن شيوخه وتلامذته ومصادر تكوينه الفكري والمعرفي؛ فإن البعض الآخر -ونحسب أنفسنا منهم- لا يهتم كثيرا بهذا الضرب من الكتابة بقدر ما ينصب اهتمامهم الكبير بالرجل والفكرة أو الأفكار التي آمن بها وجاهد من أجل إشاعتها، في محاولة لقراءة الشخصية والعصر من خلال هذه الفكرة، خاصة إذا كان هذا النوع من الرجال ينتمي إلى عصر الأزمات الحضارية التي لا يقتصر أثرها السلبي على معاش الناس بقدر ما يمتد -بشكل سرطاني- إلى الجوانب الأساسية المكونة لهويتهم وشخصيتهم الحضارية، ومنها على وجه الخصوص الجانب المرتبط بالاعتقاد وأساليب التدين.

وإلى جانب ما سلف لا يهتم هذا القسم من المؤلفين والباحثين بهذا الضرب من المعطيات فقط، بقدر ما يمتد بحثهم إلى أثر هذا النوع من الرجال في عصرهم بل وفي الأجيال اللاحقة، بما يكفي لأن يشكل توجها مذهبيا يحمل فكرة محددة، وينهج أسلوبا خاصا في التفكير والتعبير والتدبير، يجعله -في نهاية المطاف- مدرسة في الفكر والمنهج، قائمة بذاتها تحتاج من الدارسين إلى الوقوف على نموذجها، لا لتقويمها أو تقييمها مضمونا وأسلوبا فقط- وإنما للاستفادة من عوامل تكونها ونجاحها في التأثير في واقع الناس، ومن ثم تجاوز أسباب فشلها في مواقع محددة من هذا الواقع، خاصة إذا تعلق الأمر بالفكرة التي تنتمي-قلبا وقالبا- إلى اتجاهات الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي.

وقد لا نجانب الصواب إن أكدنا -في هذا السياق- على أن القيام بتغيير واقع المسلمين، وخاصة منذ تعرض العالم الإسلامي لغلبة الثقافة العلمانية الغربية، فعل ليس بالأمر الهين كما يعتقد البعض؛ ذلك أن الواقع يفرض سطوته على قطاع عريض من الناس بما يكفي لتثبيت دعائم السكون والجمود والثبات في حياتهم بالشكل الذي صوره القرآن الكريم في أكثر من موضع من مثل: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[الزخرف:٢٢] ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾،[البقرة:١٧٠] وهو الشكل الاجتماعي الذي جاهد من أجل تغييره الأنبياء والرسل ومن سار على نهجهم من الصالحين والعلماء عبر التاريخ.

وقد لا نختلف مع الكثيرين إن قلنا إن هذه المشكلة تزداد حدة كلما فشلت حركات الإصلاح في العالم الإسلامي في تحقيق مرحلة تنزيل الواقع الجديد، وإقناع الناس-الذين ألفوا العيش بداخل دائرة الواقع الجامد والساكن- بأن الضرورة التاريخية تقتضي تبديل الحال بما يكفي لنقل الشخصية المسلمة من حال الغثائية الحضارية والخبال الثقافي إلى حال الخيرية والشهادة على الناس. ولعل في استحضار مسار الحركات الإصلاحية بالعالم الإسلامي، قديمها وحديثها، والقيام بقراءة متفقهة لتجارب المصلحين، ما يسمح -على الأقل- بتكوين صورة عامة عن صيرورة المنهج في تجارب الإصلاح، وصياغة استراتيجية مستوعبة ومتجددة لفقه المنهج الإصلاحي، حتى نستفيد من تجارب السابقين، مكملين ومجددين بحسب تغير الأحوال وتبدل الظروف.

من هنا يأتي اهتمامنا بالعلامة بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله)، من جهة فهم الرجل من خلال الفكرة التي كان يحملها، وعاش يدافع عن شرعيتها، ويؤصل لمنهج انتشارها بين طلاب النور، خاصة وقد عاش في زمن مليء بالمكاره والابتلاءات التي أعطت لرسائله وتجربته أهمية كبيرة في دائرة العمل الإصلاحي ذي الوجه التربوي الذي يرتكز على مبدإ تصفية النفوس وتجديد الرؤية باتجاه ماهية الإنسان من داخل خطاب القرآن الكريم.

١ - النورسي: مكانة الرجل من خلال الفكرة

ينتمي العلامة النورسي رحمه الله إلى الجيل الذي تفتح وعيه الديني والفكري على الأزمة العامة التي اجتازها العالم الإسلامي، سياسيا واقتصاديا وتربويا وفكريا... الشيء الذي أعطى لفكره التربوي حضورا متميزا وقوة خاصة مكنته من الإسهام في مسار التصحيح الذي عرفه العالم الإسلامي منذ تعرفه، عن قرب، على النموذج الثقافي العلماني الحامل لمشعل تقويض الأسس العامة لكيان الأمة الإسلامية. وقد اشتهر النورسي بضرب متميز من التأليف والكلام عكس في مجموعه الوجه القاتم لعصره الذي كان يتسم بالقلق الحضاري والاضطراب السياسي والتفكك العام الذي بدأ يعرفه النظام السياسي للدولة العثمانية. كما عكس-إلى جانب ذلك- الهم الدعوي الذي كان يحمله ويعاني من أجله الكثير من المحن والتضييق.

وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل يؤلف رسائله في إثبات وجود الله وتصحيح مفهوم التدين في أفهام الناس، ويسهم في مقاومة الانحراف الذي نخر أبناء الأمة من جراء سيطرة الفكر المادي وشيوعه. وقد استطاعت هذه الرسائل تحقيق قفزة مهمة في باب

التذكير بحقيقة الإسلام وضرورته لحياة الإنسان، والتأكيد على أهمية القرآن الكريم في صفاء النفس ومعرفة الحقائق وتحقيق التوازن الحضاري المطلوب، الشيء الذي يفرض على العاملين في حقل الثقافة الإسلامية المعاصرة ضرورة التعرف عن كتب على هذا النموذج الفكري من جهة، والتعريف به في أوساط الجيل الحالي من أبناء هذه الأمة الذين استهلكت الثقافة المادية والإلحادية حيزا كبيرا من تفكيرهم، بل وشوهت رؤيتهم تجاه هويتهم وحقيقة انتمائهم لعقيدة الإسلام، من جهة أخرى.

لقد شارك الإمام النورسي (رحمه الله) في حلقات سلسلة الإصلاح وتجديد العهد بالله جل جلاله، وذلك من خلال رسائل النور الموجهة -ابتداء- لطلاب النور وخدام القرآن الكريم في كل بقاع العالم الإسلامي، مرشدا ومنبها وواعظا وبانيا بفكر تأسس على فقه خطاب القرآن الكريم وسيرة الرسولﷺ.

من هنا جاءت هذه المداخلة، إسهاما منا في إلقاء نظرة موجزة على فكر هذا الداعية، وذلك من خلال محور الإخلاص الذي تحدث عنه في رسائله، بل وأفرد له بابا خاصا في مجموعة اللمعات، لما له من أهمية في صناعة حياة طلاب النور وخادمي القرآن الكريم. وقد اخترنا هذا المحور بالذات من سلسلة ما ألفه من رسائل لما للإخلاص من أثر تربوي في تصويب علاقة الإنسان بالله تعالى وقبول مختلف الأعمال، بل ولما له من أهمية بالغة في حياة العاملين في حقل الدعوة إلى الله جل جلاله، لأنه يحقق الأخوة في الله من جهة، ويسهم في إتباع الحق والدفاع عنه، وينجي من الحسد والرياء ومختلف معيقات العمل الصالح، وهي المحاور التي بنى النورسي عليها رسالته التربوية، من جهة أخرى.

كما يعود اختيارنا للحديث عن هذا المحور بالذات -دون غيره- إلى رغبتنا في التنبيه على أهمية الإخلاص في حياة المسلم المعاصر وأثره في صناعة جيل القدوة والقيادة وأمة التمكين، المحاصرة -من كل جهة- بكل أشكال الفتن والأهواء الشيطانية.

فانتشار سلوك الحسد والرياء والبغض والنفاق... من شأنه التأثير في عمل المسلم، لا من جهة عدم قبول الله تعالى لعمله فقط، ولكن من جهة تدني قيمته وتسببه في انحطاط المسلمين كذلك؛ إذ كلما انتفى الإخلاص عن العمل تعرض صاحبه للإحباط والبطلان المؤدي إلى الانسلاخ عن الدين الصحيح.

فما أحوج المسلمين إلى التخلق بالإخلاص، بمعرفة أهميته وسبل تحقيقه وبواعثه وموانعه، ليصل المرء -في نهاية المطاف- بالتربية والمجاهدة الدائمة للنفس والهوى

والشيطان، إلى منزلة السائرين إلى الله جل جلاله، أولئك الذين يقولون ما قاله الرسول ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.الأنعام:١٦٢

٢ - أهمية فقه القرآن في أدبيات النورسي

على هذا الأساس تكلم النورسي، كما تكلم غيره من السابقين والمحدثين، عن أهمية الإخلاص في حياة أصحاب الخدمة القرآنية، وذلك ضمن نظراته الدقيقة التي ضمنها سلسلة (رسائل النور)، المؤسسة -ابتداء وانتهاء- على أرضية الفهم العميق إلى القرآن الكريم الذي يتميز بحكمة ربانية عالية، تلقن الإنسان منهج التربية في حياته الشخصية والاجتماعية، فضلا عن رجحان القرآن الكريم على سائر الكلام وسموه على الأقوال قاطبة؛[2] وبذلك يعتبره منبع الإصلاح وخطواته على مستوى النفس والمجتمع. فهو منهل السبل الصائبة التي لخصها النورسي في طريق العجز والفقر والشفقة والتفكر.[3]

يستقي النورسي نظراته التربوية لجيل الصالحين وقدوة الدعاة في عالم الغلبة فيه لغير المسلمين، من خطاب القرآن الكريم، الذي عليه مدار الأمور كلها، لأنه كتاب الإنسان، المتضمن للمعرفة الحضورية التي يعيشها المؤمن على وجه الخصوص، قلبا وقالبا، روحا وعقلا، بل ويترجمها إلى مجموعة من المواقف الحياتية، ومن هذا يفهم لماذا لخص النورسي، رحمة الله تعالى عليه، هذه الصلة الوثيقة الموجودة بين الإنسان المؤمن والقرآن بقول جامع: ''المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم.''[4] كما أنها هي التي ''تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة، حتى يحكم كل من يمعن النظر فيها بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء''.[5]

يتبين مما سلف أن النورسي كان دائم التركيز على ضرورة الانطلاق من الفهم القرآني للإنسان حتى يصح فهم هذا الأخير للقرآن، فتصح من بعد ذلك صلة الإنسان بالله جل جلاله، خاصة في عصر اشتدت فيه قيم الإلحاد والفوضى والعبثية، فيكون من الضروري إعادة توجيه أنظار الناس -على الدوام- إلى القرآن الكريم الذي لا يقتصر خطابه فقط على تحقيق توحيد الخالق، وإنما يصل -إذا صحت الصلة به وتوطدت- إلى تحقيق الوحدة الثقافية للمسلمين، ولا يتحقق هذا المبتغى إلا إذا قمنا -وكما يقول- بتوجيه حاجات المسلمين الدينية كافة شطر القرآن الكريم مباشرة، لينال الكتاب المبين من الرغبة والتوجه الناشئة من الحاجة إليه أضعاف أضعاف ما هو

مشتت الآن من الرغبات نحو الألوف من الكتب، بل لكان القرآن الكريم مهيمنا هيمنة واضحة على النفوس، ولكانت أوامره الجليلة مطبقة منفذة كليا، وما كان يظل كتابا مباركا يتبرك بتلاوته فحسب.[6]

هكذا إذن كان النورسي رحمه الله يراوح الخطو بين القرآن والحياة التي عاصرها بكل أثقالها ومشاكلها وتحدياتها التي دفعته إلى اختيار منهج في التأليف الدعوي مؤسس على ما يمكن أن نسميه بفقه الحضارة، وذلك من خلال الدعوة إلى تجديد صلة المسلمين بالقرآن بما يكفي لتحقيق نهضة الإنسان نهضة حقيقية تبلغ به درجة السيادة والكمال. وبهذا، فمدار رسائل النور على القرآن، وما يستفاد منها هو في أصله المستفاد من فيض هذا القرآن، ولذلك جاهد وناضل برسائله التي هي خلاصة جهاده في الحياة، من أجل هذا القرآن، فكان جهاده معركة للمرابطة عن القرآن وأسراره وحقائقه في زمن انشغل فيه الناس بالعديد من المعارك الهامشية،[7] عن حماية الأصل الذي هو القرآن، وفي هذا يقول: ''ما دامت خدمة الإيمان والقرآن أسمى من أية خدمة في هذا العصر، وأن النوعية تفضل الكمية، وأن التيارات السياسية المتحولة المتغيرة وأحداثها المؤقتة الزائلة لا أهمية لها أمام خدمات الإيمان الثابتة الدائمة، بل لا ترقى لمقارنتها ولا يمكن أن تكون محورا لها، فينبغي الاطمئنان بما منحنا ربنا، سبحانه وتعالى، من مرتبة نورانية مفاضة علينا من نور القرآن المبين''.[8]

لقد أسس النورسي رسائله الإيمانية على قاعدة صلبة، سلف ذكرها، وهي تصحيح فهم الإنسان لعلاقته بالله جل جلاله، وذلك من خلال فقه القرآن الذي يبين له ماهيته[9] وطبيعة وجوده،[10] بل وحريته من خلال عبوديته الخالصة لله عز وجل؛[11] على اعتبار أن هذا الضرب من فقه الإنسان هو الذي يجعل حياته وأعماله وكل نياته خالصة لله عز وجل، بما يكفي لأن يحقق التحرر من كل معوقات فعل الخير والعدل والإحسان؛ إذ الإنسان ''الذي ينتسب إلى سلطان الكون برابطة الإيمان، ويكون عبدا له، تتنزه شفقته الإيمانية عن التجاوز على حرية الآخرين وحقوقهم، مثلما ترتفع شهامته الإيمانية وعزته عن التنازل بالتذلل للآخرين والانقياد لسيطرتهم وإكراههم... إن خادما صادقا مخلصا للسلطان لا يتذلل لتحكم راع وسيطرته، كما لا يتنازل أن يفرض سيطرته على مسكين ضعيف. فبمقدار قوة الإيمان، إذن، تتلألأ الحرية وتسطع. فدونكم خير القرون، العصر السعيد، عصر النبوة والصحابة الكرام''.[12]

يستفاد مما سلف ذكره أن النورسي -رحمه الله- كان رجل القرآن حتى النخاع، وقد ترك لطلاب النور تراثا مهما إسهاما منه في مسيرة تقويم اعوجاج فهم الإنسان

وإدراكه، وتصويب صلته بالله عز وجل، وذلك من خلال القرآن الكريم الذي قال الله عز وجل واصفا إحدى خصائصه ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. الإسراء:٩

وقد تعلم النورسي من هذا القرآن ما خلصه من فتن الحياة الدنيا وزخرفها، وهو في كل ذلك ككل الذين أسسوا فهمهم لماهية الوجود البشري من خلال آيات القرآن الكريم، فتخلصت حياتهم وأعمالهم بل ونياتهم، من فتن الدنيا واعوجاج الثقافات المادية، وجعلوا حياتهم -برمتها- خالصة لوجه الله تعالى؛ إذ لا يمكن أن يخلص لله إلا من عرف حقيقته وطبيعة صلته به جل جلاله.

٣ – مقام الإخلاص عند النورسي

من هنا جاءت اللمعة الحادية والعشرون من كتاب اللمعات للنورسي التي خصصها لقضية الإخلاص، منبها -من خلال ما جاء فيها- طلاب النور وخدمة القرآن الكريم إلى أهميته، وخاصة فيما يتعلق بالأعمال الأخروية. يقول في بداية حديثه عن هذه اللمعة: ''يا إخوة الآخرة، ويا أصحابي في خدمة القرآن، اعلموا -وأنتم تعلمون- أن الإخلاص في الأعمال، ولا سيما الأخروية منها، هو أساس وأعظم قوة، وأرجى شفيع، وأثبت مرتكز، وأقصر طريق للحقيقة، وأبر دعاء معنوي، وأكرم وسيلة للمقاصد، وأسمى خصلة، وأصفى عبودية''.[13]

إن من يقرأ هذه اللمعة من اللمعات النورانية للنورسي، سيقف على الدعوة المتواصلة إلى ضرورة بذل الطاقة والجهد للظفر بالإخلاص الذي سيخلص الإنسان، العابد لله وحده، من السقوط في الدوامة اللامتناهية من المطامع الدنيوية الدنيئة والمضرة، والتي لا طائل من ورائها، ولذلك -وكما يقول- ''نحن مضطرون إليه، بل مكلفون به تكليفا، وأحوج ما نكون إلى ترسيخ سر الإخلاص في ذواتنا، إذ لو لم نفز به لضاع منا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسية لحد الآن، ولما دامت واستمرت خدمتنا، ثم نحاسب عليها حسابا عسيرا، حيث نكون ممن يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ البقرة:٤١ بما أخللنا بالإخلاص فأفسدنا السعادة الأبدية، لأجل مطامع دنيوية دنيئة، مقيتة، مضرة، مكدرة، لا طائل من ورائها ولا فائدة، إرضاء لمنافع شخصية جزئية تافهة أمثال الإعجاب بالنفس والرياء، ونكون أيضا من المتجاوزين حقوق إخواننا في هذه الخدمة، ومن المعتدين على نهج الخدمة القرآنية، ومن الذين أساءوا الأدب فلم يقدروا قدسية الحقائق الإيمانية وسموها حق قدرها''.[14]

هكذا يعالج النورسي المسألة الأساسية في علاقة الإنسان العابد بالله المعبود، وذلك من خلال التركيز على التربية القرآنية للإنسان على الدوام؛ إذ يراقب الإسلام بدقة عالية السلوك الباطني والظاهري للإنسان، وخاصة منها ذلك المتعلق بشطر النيات وما يلابسها من عواطف وانفعالات وميولات، وما يتصل بها من بواعث.

لهذا يذكر النورسي أهل القرآن الكريم بأنه لا وثوق بالنفس الأمارة بالسوء التي يسيطر عليها الشيطان الرجيم، بل والحرص على دفع موانع الإخلاص واجتناب كل ما يعكر صفو الروح الإيمانية للإنسان العابد المتصل بالله تعالى على الدوام حتى لا يحبط عمله.

ولأجل تحقيق هذه الخطوة المهمة في حياة خادم القرآن، وزع النورسي حديثه إلى ثلاثة محاور متكاملة، تطرق في أولاها إلى سبل الظفر بالإخلاص والحفاظ عليه ودفع موانعه وإزالتها، وتحدث في ثانيها عن أهم أسباب كسب الإخلاص، في حين خصص ثالثها لبيان أهم موانع الإخلاص وأسباب الإخلال به.

أولا: في أهم شروط الظفر بالإخلاص والحفاظ عليه

لقد سمى النورسي هذه الشروط بالدساتير التي ينبغي الأخذ بها، وهي أربعة:

الدستور الأول : ابتغاء مرضاة الله في العمل.[15]

الدستور الثاني: عدم انتقاد الإخوان العاملين في الخدمة القرآنية، وعدم إثارة نوازع الغبطة بالتفاخر والاستعلاء، إذ طلاب رسائل النور وخدام القرآن أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها الإنسان الكامل، ونحن جميعا بمثابة تروس ودواليب معمل ينسج السعادة الأبدية في حياة خالدة. فنحن خدام عاملون في سفينة ربانية تسير بالأمة المحمدية إلى شاطئ السلامة، وهى دار السلام.[16]

الدستور الثالث: معرفة أن القوة جميعا هي في الإخلاص لله واتباع الحق، ذلك أن الخدمة في سبيل الإيمان والقرآن هي دليل بذاتها، على أن القوة في الحق والإخلاص؛ فشيء يسير من الإخلاص في سبيل هذه الخدمة يثبت هذه الدعوة، ويكون دليلا عليها.

الدستور الرابع: الافتخار بالإخوان والفناء فيهم بما يكفي لأن ينسى كل أخ حساسياته النفسانية، ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم، حيث أن أساس المسلك والمنهج هو الأخوة في الله. يقول: ''وما دام مسلكنا هو الخليلية، فمشربنا إذا الخلة، والخلة تقتضي صديقا صدوقا، ورفيقا مضحيا، وأخا شهما غيورا. وأس

الأساس لهذه الخلة هو الإخلاص التام... فالذين دخلوا ميدان خدمة القرآن الكريم المقدسة بوساطة رسائل النور لا يهوون بإذن الله في مثل تلك الهاوية، بل سيمدون النور والإخلاص والإيمان قوة".[17]

ثانيا : في أهم أسباب كسب الإخلاص والمحافظة عليه

إذا كان ما سبق أهم الشروط التي ينبغي لخدام القرآن الكريم الأخذ بها؛ فإن النورسي وضع -إلى جانب ذلك- أهم سبب -في نظره- لكسب الإخلاص، وأعظم وسيلة مؤثرة للمحافظة عليه، والمقصود بذلك رابطة الموت؛ إذ طول الأمل يثلم الإخلاص ويفسده ويسوق الناس إلى حب الدنيا والرياء؛ في حين تنفر رابطة الموت من الرياء، وتجعل المرابط معه يحرز الإخلاص؛ وذلك بتخليصه من دسائس النفس الأمارة بالسوء، عن طريق تذكر الموت وملاحظة الفناء الدنيوي. وقد استطاع الكثير من العابدين، ومنهم الصوفية، إزالة توهم البقاء وحلم الأبدية الذي يولد طول الأمل، وذلك عن طريق الاستحضار الدائم لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.[آل عمران:١٨٥]

غير أن النورسي يبين أن المسلك الذي يسلكه طلاب النور يختلف عن مسلك الصوفية، فلا يرى هؤلاء الطلاب أنفسهم "مضطرين مثلهم إلى مباشرة تلك الرابطة بالافتراض والخيال، فضلا عن أن هذا الأسلوب لا يلائم منهج الحقيقة. إذ التفكر بالعقبى ليس هو بجلب المستقبل إلى الحاضر خيالا، بل الذهاب فكرا من الحاضر إلى المستقبل، ومشاهدة المستقبل من خلال الحاضر الواقع كما هو في الحقيقة؛ فلا حاجة إلى الخيال، ولا يلزم الافتراض؛ إذ الإنسان يمكنه مشاهدة جنازته وهي ثمرة محمولة على شجرة عمره القصير، وإذا ما حول نظره قليلا لا يرى موته وحده، بل يرى أيضا موت عصره، حتى إذا جال بنظره أكثر يرى موت الدنيا ودمارها، وعندها ينفتح أمامه الطريق إلى الإخلاص التام".[18]

والسبب الثاني في إحراز الإخلاص -عند النورسي- يكمن في ضرورة أن يكسب المرء حضورا وسكينة بالإيمان التحقيقي، وباللمعات الواردة عن التفكر الإيماني في المخلوقات؛ إذ بهذا الضرب من الأمل يستطيع المرء الوصول إلى معرفة الله تعالى، فتكون النتيجة النهائية لهذه المعرفة حصول الطمأنينة والسكينة في القلب؛ وهو بهذا النوع من الحضور والسكينة ينجو من الرياء،فيظفر بالإخلاص.[19]

ثالثا : في أهم موانع حصول الإخلاص

وفي السياق ذاته، ولتأطير حديثه عن قضية الإخلاص وأهميته في حياة المرء العابد، وبعد أن تحدث عن أهم الشروط وأسباب الاحتراز والكسب؛ ينتقل النورسي بطلاب النور إلى نقطة نحسبها مهمة جدا في هذا المقام، ويتعلق الأمر بالكلام عن أهم موانع الوصول إلى الدرجة المطلوبة من الإخلاص؛ وقد لخصها النورسي في ثلاثة موانع، حدد أولاها في الحسد الناشئ من المنافع المادية، والذي لا يقتصر على إفساد الإخلاص فقط، بقدر ما يعمل على تشويه نتائج العمل،ويفوت حتى تلك المنافع المادية أيضا؛ ذلك أن الرغبة في تحصيل هذه المنافع وترقبها بدافع من أثرة النفس الأمارة بالسوء، بل وحرصها على كسب المنافع ذاتها، تثير في المرء عرق الحسد، وتحرك نوازعه تجاه أخيه وصاحبه في الخدمة القرآنية والإيمانية، فتكون النتيجة فساد الإخلاص وفقدان قدسية الدعوة إلى الله تعالى.

وأما ثاني هذه الموانع، فإعطاء ما يداعب أنانية النفس الأمارة بالسوء وما تستشرفه من منزلة ومكانة تتوجه إليها الأنظار، وحب إقبال الناس وطلب توجههم بدافع من حب الشهرة وذياع الصيت الناشئ من التطلع إلى الجاه وحبه.

وأما ثالث الموانع فجعله النورسي في الخوف والطمع.[20]

خاتمة

هكذا تحدث النورسي رحمه الله عن قضية الإخلاص، وهكذا حاول بيان أهميته وفوائده وأسباب تحصيله وكسبه وتنميته، بل وبين أهم الموانع التي تعيق حصوله؛ وهو بكل هذا الحديث يوجه أنظار طلاب النور وخدام القرآن الكريم وأصحاب الدعوة إلى الله تعالى عامة، إلى أهمية هذا المسلك التربوي الإيماني الذي يدفع بالسائر فيه لا إلى تصويب علاقته بخالقه فقط، وإنما لتحقيق الحياة الآدمية الحقيقية التي يعيش فيها الإنسان داخل دائرة التكريم المسيج بواجب التكليف ،بما يجعله قادرا على فهم وإدراك مقاصد عمارة الأرض واستعمارها بما يحقق -في نهاية المطاف- أسمى مقصد من أجله خلق الإنسان، ألا وهو عبادة الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:٥٦.

لقد أسهم النورسي -رحمه الله- بنظراته وكلماته في حلقات تغيير فكر الإنسان من خلال فقه القرآن الكريم في علاقته بفقه واقع الإنسان،الذي يظل محتاجا ومفتقرا على الدوام -مهما بلغ من العلم والتقدم المادي- إلى القرآن ليرشده ويذكره ويعلمه ويقوم

سلوكه كلما اعوج وزاغ عن الطريق القويم: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. الملك:٢٢

فما أحوج أبناء هذه الأمة إلى التعرف على النورسي وأمثاله، أولئك الذين عاشوا بالقرآن من أجل القرآن، يفكرون -بكل جدية- في سبل إصلاح حال الأمة وعودتها إلى ما كانت عليه من حال التمكين والخيرية والشهادة على الناس. كما أننا بحاجة ماسة إلى المزيد من التعرف والتعريف بهؤلاء الرجال داخل ثقافتنا العربية الإسلامية، إذ كثيرا ما نبخس هؤلاء حقهم في حديثنا وكتاباتنا وبحوثنا، خاصة وقد استطاعت الثقافة الاستعمارية غزو عقول العديد من أبناء هذه الأمة بما يكفي لتفريغ الذاكرة الجماعية، وتحقيق القطيعة مع تاريخ الأمة، وينشئ -من تم- خبالا ثقافيا خطيرا يسهم في توسيع مساحة القابلية للاستعمار الثقافي في حياتنا اليومية؛ الشيء الذي يجعل من نظراته القرآنية -التي ضمنها رسائله النورانية- واحدة من أهم تجارب التربية الدعوية في العالم الإسلامي الحديث؛ تلك التي نجحت في عزل الفساد عن وعي الكثيرين، وتركت بصماتها واضحة في العمق التاريخي لهذه الأمة التي قامت أول مرة بالقرآن.

إننا -بهذه الكلمات- لا نزكي على الله أحدا، ولكننا نعترف بأن النورسي-رحمه الله- وأمثاله من السابقين واللاحقين، يشكلون جميعا بوصلة هذه الأمة، بحيث تشكل كلماتهم ونظراتهم وتجاربهم ومواقفهم محطات مهمة لا بد من الوقوف عندها مليا لاستخلاص العبر من سير الرجال الذين تربوا بداخل المدرسة القرآنية، ففقهوا أن صلاح الأمة بعد فسادها، وقوتها بعد استضعافها، رهين بالأخذ بمنهاج القرآن، وأن البعث والإحياء لا يكونا إلا بتوفر الرجال الذين يرثون منهاج النبوة الصحيح، الذين يفقهون قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. الْجُمُعَة:٢

* * *

الهوامش

[1] جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس فاس المغرب.

[2] ينظر بتفصيل الكلمة الثانية عشرة التي خصصها النورسي لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا﴾ - الكلمات ص: ١٤١

[3] ينظر بتفصيل: المكتوبات ص: ٥٩٤-٥٩٥

[4] المكتوبات ص: ٤٢٥.

[5] الملاحق ص: ١٠٥

[6] صيقل الإسلام ص: ٣٤٩.

[7] من مثل: الدفاع عن اللغة العربية والمحاكم الشرعية والعلوم الشرعية...

[8] الملاحق ص: ١٣٥.

[9] ينظر بخصوص هذه النقطة: اللمعات ص: ٢١-٢٢.

[10] ينظر كذلك: الكلمات ص: ٦٤ و ١٣٨ / إشارات الإعجاز ص: ٢٣١ وما بعدها.

[11] ينظر الكلمات ص: ٣١-٣٧ و ٦٣.

[12] صيقل الإسلام ص: ٣٩٥.

[13] اللمعات ص: ٢٤١.

[14] اللمعات ص: ٢٤١-٢٤٢.

[15] اللمعات ص: ٢٤٢.

[16] نفسه ص: ٢٤٣.

[17] نفسه ص: ٢٤٦.

[18] اللمعات ص: ٢٤٦-٢٤٧.

[19] اللمعات ص: ٢٤٧.

[20] ينظر بتفصيل المرجع نفسه ص٢٤٧ وما بعدها. ويراجع للمزيد من التفصيل بخصوص هذا القسم من الموانع ما أشار إليه من دسائس أعداء الإسلام وأثرها في إحباط الإخلاص وكيفية التغلب عليها - المكتوبات- ص: ٥٣٣-٥٥٧.

المسلم العثماني كآخر في كتابات لويس برنارد

الملخص

أ. بن سخري زبير[1]

ظهر التركي أو العثماني في كتابات لويس برنارد كممثل للمسلم الشرقي، حيث بدأت تتشكل ملامح ثنائية الإسلام والغرب منذ القرن السابع الميلادي واحلاله محل المسيحية في الشام والبيت المقدس، إلا أن وجود المسلم العثماني كقوة عسكرية متاخمة لأوروبا هو الذي جعل منه موضوعا استشراقيا نصيا بتميز. تتبع لويس برنارد المسلم العثماني في ارشيف نصي يمتد من المراسلات ونصوص التاريخ الى الرحلة كاشفا عن نظام تمثيله كآخر.

كلمات مفتاحية: لويس برنارد، المسلم العثماني، الإسلام، الاستشراق، الآخر.

* * *

The Ottoman Muslim as the Other in the Writings of Louis Bernard

ABSTRACT

Prof. Ben Sakhri Zubair

The Turkish or the Ottoman has been presented in the writings of Louis Bernard as a representative of Eastern Muslim. The features of dualism of Islam and the West began to take shape in the seventh century A.D. replacing Christianity in the Levant and Jerusalem. However, the main reason for which the Ottoman was a distinctive subject of Orientalism is that Muslim Ottomans existed as military power at the borders of Europe. Louis Bernard tracks texts referred to the Ottoman Muslim, in the archive of correspondences, texts of history and writings about travels, revealing the methodology of representing him as "the other".

Keywords : Louis Bernard, Ottoman Muslim, Islam, Orientalism, the Other .

* * *

استهلال

يعد برنارد لويس؛ الأستاذ المتقاعد للدراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون الشهيرة في الولايات المتحدة، والأستاذ السابق في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية

بجامعة لندن، والمؤرخ المثير للجدل في العالم العربي منذ الستينات من أكثر المستشرقين إثارة للسؤال؛ لما أولاه من أهمية في دراسة المسألة الشرقية وعلاقتها بنشوء القوميات العربية، و ''تميز برنارد لويس بقدرة هائلة على تحليل بنية المجتمع الإسلامي ثقافيا وفكريا من خلال الاطلاع على أرشيف الإمبراطورية العثمانية، ودرس أسباب قوة وضعف هذه الإمبراطورية والقوانين المحركة للمجتمع الإسلامي في ظل النموذج العثماني''،[2] هو من جيل الأكاديميين الذين درسوا العالمين العربي والإسلامي، وألف كثيرا من الكتب التي لقيت حفاوة وأصداء نقدية كبيرة، من بين أشهر مؤلفاته كتابان تصدرا كلا في حينه قائمة ''نيويورك تايمز'' هما: ''ما الذي حدث خطأ ?What Went Wrong'' و ''أزمة الإسلام Crisis of Islam''، أما كتابه ''الشرق الأوسط'': ملخص مختصر للألفي سنة الأخيرة. فقد تصدر قائمة ''فورن أفيرز'' الأميركية لأكثر من عام، وكان الأول في التقدير النهائي لدائرة النقاد الذين درسوا هذا الكتاب، ولكن يبقى كتاباه ''انبثاق تركيا الحديثة'' و ''الحشاشون'' أبرز عملين في تاريخه الأكاديمي.

اعترف لبرناردد لويس منذ أمد بعيد، بأنّه أهم مؤرخ للشرق الأوسط، وهو حاصل على خمس عشرة دكتوراه شرفية، وترجمت كتبه إلى أكثر من عشرين لغة، وبرز أخيرا كأهم مستشار في البيت الأبيض الأمريكي، لموافقة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط لتوجهاته وآرائه.

مقدمة:

كثيرا ما نشعر بالصراع والصدام مع ما يحيطنا، ولكننا نتجاوز هذا الصراع في شكله العلني إلى شكله الرمزي؛ لأنه حسم وبقي فقط أثره النفسي الذي تتشبع به اللغة المتداولة يوميا، فمن العادات الموروثة في المجتمع الجزائري فطور الصباح على الطريقة الفرنسية، قهوة وحليب مع قطعة خبز على شكل هلال (Croissant)، فهذا الشكل ليس خبزا في جوهره بقدر ما هو رمز ''ليس للرمز وحده فقط معنيان، الأول محسوس، خاص، والآخر تلميحي، مجازي، ولكن يظهر لنا تصنيف الرموز أيضا الأنظمة المتعارضة التي ترتب على أساسها الصور...''،[3] فالهلال الذي اعتمده المسلمون أداة للحساب أصبح رمزا لهم في رايات الحرب -حتى ليعلق لويس برنارد على فتح القسطنطينية '' وكانت النتيجة أن قتل القسطنطين الأخير مقاتلا مع جنوده، ورفع الهلال فوق قبة آيا صوفيا، واتخذ سلطان الروم الإقامة في مدينة الإمبراطورية ''-[4] ويعلو المساجد في أبهى الأشكال ومن أصلب المواد، أضحى من العجين ويأكل

كل صباح انتقاما من الإمبراطورية التي شارفت أسوار فيينا، يا له من صراع شديد لم تكفه ساحات المعارك والقتلة فيمتد إلى الرموز والخيال، وإن كان هذا رمزا للمنتصر، فبالمقابل ستحمل الهزيمة في الرموز والخيال ولا أقرب للخيال من اللغة، فما زلنا حتى الآن نردد في المساجد والمدارس وأحاديثنا اليومية العبارة التالية ''إن هذه الدنيا هي جنة الكافرين وجحيم المؤمنين '' فيما يفصل لويس برنارد سياقها الثقافي الذي نشأت فيه إبان القرن الثامن عشر حيث بدأ المسلمون يشعرون بوضع جديد؛ وما نقل لهم عن أوضاع أوروبا الداخلية وأنهم لم يعودوا قادرين على تلبية واجبهم الديني في ظل تَوَسُّع رقعة انتشار الإسلام أمام الزحف النمساوي والزحف الروسي،[5] لقد شكل صدام وصراع الغرب مع الإسلام مادة ثرية لبحث تمظهر الأنا والآخر في مختلف الأبعاد والتجليات.

شكل الآخر موضوعا مهما في الدراسات الأدبية والثقافية والاستشراقية، وكثيرا ما ربط بمفهوم الصورة والتمثل الواعي واللاواعي، غير أن مفهوم الآخر عند برنارد لويس لا يتجسد في سلوكات وصور جماعية وفردية، نفسية واجتماعية، بل آخر لويس برنارد هو مكون أنطولوجي(وجودي) يمثل مرآة عاكسة للأنا من خلال سيرورتها، استطاع تشخيص وتعميق تفسير الصراع الغربي الإسلامي ، الذي تعد الذات أولى ساحات معاركه في تجليات الثقافة والقيمة متجاوزة الفرد وغارقة في مفاهيم الذات الجمعية والحضارة والوطن والدين، لن نجد مع لويس برنارد صور المتحضر والبربري والنبيل والمتوحش بل جملة من العلاقات والوسائل التاريخية التي أمكنت للأنا أن تقرأ الآخر في صورة أوضح وتتمثله في علاقات دنيوية تاريخية حقيقية بعيدة عن الخيال والأسطرة، فكون الإصرار على الصراع من الطرفين أجج الصدام وعدد وسائله واختلفت نتائجه أيما اختلاف، فقوة الإمبراطورية العثمانية التقليدية مكنتها من الوقوف أمام جدران فيينا مرتين والبقاء في جزء معتبر من أوروبا الشرقية، وقوة المعرفة الحديثة الأوروبية والاستشراق مكنتا أوروبا من استرداد أراضيها وتفتيت العالم الإسلامي بالكامل؛ وهذا لأن أوروبا لم تهمل الآخر الوجودي في تكوين أناها وتغافل عنه العثماني ظانا أنه لن تقوم له قائمة بعد في التاريخ، حولته أوروبا من عدو يربض على الحدود إلى مادة للتأريخ والسرد من أخبار الرحالة ورسائل السفراء يسهل التأريخ لها والعودة إليها ''التأريخ هو أحد العناصر الأولى في قوة الهيمنة الأيديولوجية للأمة أو الطبقة، سواء كان التأريخ للذات، أو لبناء تاريخ الآخر وصورته لصالح الذات، والتأريخ الإمبراطوري أكثر من غيره صاغ أدبه الإمبراطوري من تصورات وتواريخ وصياغات للأوضاع الاجتماعية بتيسير من 'غياب الآخر' غالبا''،[6]

لم يول لويس برنارد أهمية لصورة وتمثل الآخر اجتماعيا وثقافيا عند العامة أو الخاصة بل أولى حضور العثماني أهمية في المدونات السياسية والفكرية والأدبية وحضوره كعلاقة وجودية مساهمة في تشكيل تاريخ أوروبا والعالم .

١. تحولات المركز والهامش في القرون الوسطى:

شكل ظهور الإسلام وانتشاره حدثا تاريخيا مهما إذ قلب الموازين السياسية في خريطة العالم القديم (إفريقيا، وآسيا، وأوروبا) وغيّر الحدود الثقافية والإثنية في الدائرة الحضارية الكبرى (مصر، وبلاد الرافدين، واليونان، وبيزنطة، وبلاد الفينيق...)، وأضحت الدولة العربية الاسلامية في شبه الجزيرة العربية وامتدادها شرقا وغربا كيانا يصنع التاريخ ويبدع الحضارة ويخلق الهويات، فأضحى التسامح والصراع عناوين لضبط علاقات الدولة العربية الاسلامية مع غيرها من الامبراطوريات القائمة والفاعلة في حركة التاريخ والثقافة والتجارة، ''عاش الإسلام لأكثر من ١٤٠٠ عام، أي منذ ظهوره في شبه الجزيرة العربية والاندماج في الامبراطورية الإسلامية والحضارة المسيحية السابقة التي قامت على شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية جنبا إلى جنب مع المسيحية متجاورين دائما، ومتنافسين غالبا، وعدوين أحيانا، ويعرّف كل منهما الآخر بمعنى ما ويحدده''،[7] لم يكن من السهل قبول الإسلام كحضور آخر بين الإمبراطوريات القديمة القائمة في أصلها على وجود القوة كشكل واحد للوجود، فيما جاء الإسلام بشكل جديد للوجود وهو الإنسان، ولكن سرعان ما دبّ الفشل في المفهوم الحضاري للإسلام لتأثره بأنظمة الحضارات القديمة الفارسية والبيزنطية والرومانية ومارس أيضا لعبتهم التاريخية في جميع تجلياتها، فقد حسم الصراع مع الفرس والأقباط البربر وبقية الشعوب الأخرى والإثنيات التي كانت جلها وثنية، وما توقف يوما الصراع والصدام مع ورثة المسيحية -بيزنطة وروما- ولازال مستمرا من القرون الوسطى إلى الوقت الحالي بعنوان صراع الإسلام والغرب، مع تبدل مركزي الصراع من فترة زمنية إلى أخرى ''ويبدوا الإسلام والمسيحية بالمقارنة مع الأديان والثقافات القديمة في آسيا وافريقيا، ديانتان شقيقتان تتقاسمان موروثا عظيما وتتشاطران -وغالبا ما- تتنازعان السيادة، وترى كل منهما أنها حاملة آخر تنزيل إلهي للناس وأنها المسؤولة عن نشر هذا التنزيل في بقية أنحاء المعمورة. فقد رأى كل دين في الآخر غريمه، ومنافسه الوحيد حقا في هذا الميدان وهذا العمل. وكانت النتيجة سلسلة طويلة من الصراعات، ابتدأت بالحروب المقدسة الأولى -الجهاد والحملات الصليبية، والفتح والاسترداد- واستمرت مع مد الإمبراطورية الإسلامية في أوروبا

والإمبراطوريات الأوروبية في بلاد الإسلام. في هذا الصراع الطويل الذي لا ينتهي- للأسف- افترقت هاتان الحضارتان بما تشابهتا به أكثر مما اختلفتا فيه''،[8] تغافل لويس برنارد عن طبيعة الإسلام المختلفة عن المسيحية المُرَوْمَنَة[9] التي أضحت سلطة رهبنة وتدجين فيما كان الإسلام أكثر انفتاحا على الدنيا والحياة من هنا استشعرت الحضارات القديمة خطره الكبير؛ كونه دين تَحَرُر وليس دينا لتكريس أشكال السلطات القديمة والمحافظة على أنظمة الحكم العائلية والاستبدادية ''وحتى بعد انحطاط سلطة الخلافة المركزية، وانبثاق ملكيات إقليمية داخل دنيا الإسلام[10] الشاسعة، كانت الدولة الإسلامية الواحدة من القوة بمكان تمكنت معه، حتى أوقات حديثة نسبيا من الحيلولة دون ظهور قوى إقليمية أو عائلية حاكمة أو قومية، كتلك التي بدأت بالظهور في أوروبا حتى في القرون الوسطى''،[11] من ثَمَّ كان ظهور الإسلام بمثابة ظهور حقيقي لمفهوم الآخر المختلف أنطولوجيا عن مفهوم الأنا القروسطية، واستحق أن يوصف عهده في فتراته الأولى بالفتح الحضاري والإنساني الحقيقي.

انتهى الصراع الطويل بين المسلمين والمسيحيين في جنوب أوروبا على إيطاليا وإسبانيا والبرتغال بانهزام المسلمين، وفي غضون ذلك شب صراع جديد في الشرق، من قوة جديدة صاعدة لكنها مسلمة، هم الأتراك، فزاعة أوروبا.

يختم لويس برنارد مقدمة كتابه ''إستنبول وحضارة الخلافة الاسلامية'' بقول أحد القساوسة في عصر اليزابيث معلقا عن سقوط المسيحية وتأسيس قوة جديدة جنوب شرقي أوروبا ''إمبراطورية الأتراك المجيدة وإرهاب العالم الحالي''.

ففي القرن الحادي عشر ظفرت الجيوش التركية بجزء كبير من هضبة الأناضول من البيزنطيين، محولين ما كان يونانيا مسيحيا إلى بلاد تركية إسلامية '' وفي موضوع نشأة قوة الأتراك وانتشار الشعوب التركية وتقاليدها في أراضي الإسلام تتميز فترتان بصفة خاصة، الأولى: فترة سلاطين السلاجقة الذين حكموا الشرق الأوسط حوالي قرن من الزمن، منذ فتحهم لبغداد في ١٠٥٥م إلى موت السلطان سنجر ١١٥٧م، والثانية: فترة الفتح المغولي في القرن الثالث العشر الميلادي وغلبة المغول ونفوذهم الذي تبع ذلك الفتح ''،[12] وما إن سقطت القسطنطينية كآخر حجر في البناء، حتى أطلقت من عاصمتهم الجديدة استانبول سلسلة من الحملات المتلاحقة التي أوصلتهم سهول هنغاريا ومرتين ١٥٢٩، ١٦٨٣ جدران فيينا، واستمر هذا الرعب على أوروبا مدة قرن ونصف أنساها تهديد العرب في إسبانيا.

تعد المرحلة العثمانية من المراحل الفاصلة في تاريخ المسيحية، ليس فقط بالنسبة للشرق بل بالنسبة للتاريخ العالمي، حيث أصبحت الأراضي المقدسة المسيحية والبطريركيات الثلاث؛ أنطاكية، الإسكندرية وأورشليم تحت السيطرة العثمانية إضافة إلى بطريركية القسطنطينية وذلك لمدة طويلة تجاوزت ٤٠٠ سنة (١٥١٦-١٩١٨)،[13] فأضحت مقومات الآخر أكثر جلاء بالنسبة للغربيين المسيحيين حين قرعت جيوش وثقافة هذا المسلم الوافد الجديد عقر ديارهم، لتغير حدودهم وتشطر أراضيهم وتفرض الضرائب وتنشر الدين الجديد "في النصف الأول من القرن السادس عشر شملت الفتوحات العثمانية معظم العالم العربي فأصبح العثمانيون القوة العظمى في العالم الإسلامي، وحماة الأراضي المقدسة المسيحية والإسلامية... وفي الوقت الذي كانت فيه السلطة العثمانية تزداد سيطرة واتساعا، كانت أوروبا المسيحية تعاني من الانقسامات الدينية والسياسية. ففي السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول مصر (١٥١٧) كان لوثر يعلق بنوده الاعتراضية على باب كنيسة ويتنبرغ مهاجما البابا والعقيدة الكاثوليكة، فأدى ذلك إلى نشأة البروتستانتية وقيام الحروب الدينية بين المسيحيين في أوروبا"،[14] بقدر ما تدل موازين القوى؛ من قوة البحرية والمشاة والسلاح والرقعة الجغرافية والسيطرة التجارية والطرق البرية والبحرية على قوة الإمبراطورية بقدر ما تدل مواصفات ووضعية الأقليات في غير موطنها الحضاري على طبيعة العلاقة الحقيقية بين الإمبراطوريات، وهذا ما دلت عليه وضعية المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية، ووضعية المسلمين في أوروبا المسيحية.

إن مثّل الرق القادم من افريقيا نظاما اقتصاديا مهما في المجتمعات المسلمة والشرقية، فقد مثّل الرق القادم من شرق أوروبا مظهرا جماليا كماليا "غالبا ما حاربت القوات التترية تحت إمرة القيادة العثمانية ضد أعداء أوروبيين، في الوقت الذي وفرت فيه غارات التتار على القرى الروسية والأوكرانية والبولندية والليتوانية البضاعة لأسواق العبيد في إستانبول لعدة قرون"،[15] لقد شكلت أوروبا الشرقية معينا لا ينضب لعالم الحريم العثماني الذي أعطى خصوصية لنظام الحكم العثماني دون بقية الأنظمة الاستبدادية الأخرى، فإن استرق القدماء السود لامتهانهم، فقد استرقت الأوروبيات لجمالهن ولاختلافهن عن المشرقيات، ولرؤية السلطان العثماني أحقيته في وروث بيزنطة حتى أنه كان يسمى "سلطان الروم"، فهذا الاسترقاق ما هو إلا تأكيد سلطة نفسية على شعوب مسيحية مختلفة ترفض الخضوع لهذا العثماني المسلم الشرقي، وقد استشعر البابا والملك هذه الإهانة فحظروا هذه التجارة وما كانت إلا لتتأكد في تسمية الأوروبيين الشرقيين بـ "السلاف" أي العبيد، ولكم عانت انكلترا وإيرلندا من

غارات القراصنة البربر الذين كانوا يحملون الأسرى لأسواق العبيد في الجزائر، وقد عبر لويس برنارد عن تذمره أن شبه فعل الأتراك والتتار بتجارة العبيد الأوروبيين ما كان قد فعله فاسكودي غاما بتجارة التوابل الشرقية، فقد ذهبوا إلى المصادر وحصلوا على ما يريدون.[16]

شملت الإمبراطورية العثمانية القارات الثلاث وحكمت العديد من الشعوب والإثنيات؛ الروم، الأرثوذكس، السريان، اليعاقبة، الأرمن، الموارنة، الكلدان ،البروتستانت... ولم تكن الطوائف المسيحية تتمتع بالمساواة التامة مع المسلمين، ولكنهم تمتعوا ببعض الحريات الدينية في ممارسة شعائرهم الدينية، وحافظت الدولة على أرواحهم وممتلكاتهم، فقد اعتمد السلاطين العثمانيون نظام أهل الذمة على المسيحيين واليهود، مميزين بين ''دار الحرب'' و ''دار السلام''؛ التي ضمت أهل الذمة ''دار العهد'' وفق معايير وشروط خاصة كرسها الفقه الإسلامي،[17] وطبقها العثمانيون في الأراضي التي احتلوها، فلم يكن للمسيحيين أن يلبسوا لباس المسلمين، ولا أن يركبوا الخيل، ولا أن يتقلدوا السلاح مثلهم، وما كانت شهادتهم لا تقبل في المحاكم، وإن أرادوا بناء كنيسة او ترميمها استصدروا فرمانا سلطانيا،[18] وحين انقلبت الموازين وأصبحت الإمبراطورية العثمانية تعرف بالمسألة الشرقية أو الرجل المريض نال المسيحيون حظوة وحماية من قوة خلفياتهم الحضارية الروس والفرنسيس والإنجليز. كما يشير لويس برنارد في كتابه أزمة الإسلام إلى أنّ هذا التقسيم يرسم حدوداً بين المسلمين وغيرهم، ويجعل دواعي الاندماج وقبول الآخر أمرا مستحيلا خاصة في ظل "ثقة المسلمين بالنفس وشعورهم بالقوة" واعتزازهم بدينهم وتمسكهم بأمجاد تاريخهم وموروثهم في هذا التاريخ.

٢. الأنا العثماني والآخر الأوروبي:

ركزنا في بحثنا هذا على كتاب لويس برنارد ''الإسلام والغرب''، لأنّه غني بإظهار العثماني كآخر لأوروبا دون منازع، ولمشروطية العلاقة بين الأنا والآخر، فكلٌّ صناعةٌ لحده الثاني، لا تنطبق على علاقة العثماني بالأوروبي، لأن الأخير انفلت من الأول وتفوق عليه، وما سر هذا التفوق إلا غياب الآخر الأوروبي من أنا العثماني، فإهمال العثماني الأوربي من حيز اهتمامه ''تعكس الكتابات العربية صورة قفار بعيدة، غير مكتشفة، يقطنها أناس غريبو الأطوار، مثيرون، وإلى حد ما بدائيون، لم يكن لديهم ما يخيف أو ما يمكن تعلمه. غامر عدد قليل من المستكشفين الجريئين من اسبانيا المسلمة وشمال افريقيا بالولوج إلى داخل أوروبا المظلمة، وتركوا وصفا لرحلاتهم،

وهي رحلات نسمع منها النغمة نفسها، لشيء يثير الازدراء... وبالفعل لم يكن هناك أي سبب يجعلهم يكنون أي احترام لأوروبا الوسطى والغربية اللتين كانتا في القرون الوسطى على درجة متدنية جدا من الحضارة، أخلاقيا وماديا، إذا ما قورنت بالبلاد التي تشكل قلب الإسلام''،[19] لم يكن اهتمام العثمانيين بأوروبا إلا كدار حرب يستوجب فتحها عسكريا وإخضاعها ثقافيا وسياسيا للامتداد العثماني، ولم يبحثوا يوما ما في سر مقاومة أوروبا العنيد للزحف العثماني وعدم خضوعها، رغم أن الإمبراطورية العثمانية كانت هي الأقوى، إلا أن شعور أوروبا بالندية والمساواة مع غريمها، ومحافظة المسيحية على دعوتها السماوية مكنا أوروبا من الصمود والمقاومة أكثر ''ومع أن المسيحية والإسلام كانا ندين، بل متنافسين فعلا، من أجل دور الدين العالمي ...لم يرغب أي منهما الاعتراف بالآخر على أنه بديل قابل للتطبيق. جرى التعبير عن عدم الرغبة هذه بعدة طرق ...وأبدى الأوربيون في أجزاء متعددة من القارة ترددا غريبا في تسمية المسلمين بأي اسم يحمل مدلولا دينيا ، مفضلين نعتهم بأسماء عرقية، وهادفين من خلال هذا إلى إضعاف اعتبارهم وأهميتهم، وتقليص دورهم في نطاق محلي أو حتى عشائري، وقد اعتاد الأوربيون في أوقات مختلفة وأماكن مختلفة، أن يسموا المسلمين بالعرب (Saracens)، أو المغاربة (Moors)، أو الأتراك (Turks)، أو (Tatars)، تبعا للشعوب الإسلامية التي صادفوها. فالترك إلى حد كبير هو اسم أكثر دول المسلمين قوة وأهمية، فقد أصبح مرادفا حتى لكلمة ''مسلم''، وكان يقال عن معتنق الإسلام إنه (أصبح تركيا)، أنى كان مكان الاعتناق''،[20] ومما يدل على شيوع ارتباط اسم المسلم بالتركي انتشار التسمية في أمريكا اللاتينية حتى ليشير الأديب غابريال غارسيا ماركيز في رواية ''قصة موت معلن'' إلى نعت الأهالي للعرب المهاجرين لأمريكا اللاتينية بالأتراك؛ حيث كان الإسلام ممثلا في الإمبراطورية العثمانية كمركز في ظل بداية ظهور العوالم الجديدة أمريكا وأستراليا.

من الأسئلة الملحة التي كان يطرحها المفكر الفرنسي من أصول جزائرية محمد أركون، ما هو سر تزامن صعود الغرب وتقهقر الشرق، الأول ممثلا في أوروبا الغربية والثاني ممثلا في الإمبراطورية العثمانية.

حيث تغيرت موازين القوى بين المنتصر والمهزوم وإننا لنجد لويس برنارد يشخص تغير اهتمامات أوروبا بالإمبراطورية العثمانية من فترة إلى أخرى، فيما تغط الأخيرة في نوم عميق وتغفل عما يحضر لها في أوروبا ''وفي المواجهة الكبرى الثانية، هذه المرة بين أوروبا عصر النهضة والاسلام العثماني، أغري قلة من الناس بتغيير

دينهم، وهؤلاء الذين تحولوا أتراكا هم في الأغلب مغامرون يبحثون عن حياة ناجحة في بلاد الفرص العثمانية، وبقي المسلمون، كما هم دائما، لا يعيرون أذانا صاغية لمزاعم ما يعدونه دينا قديما وباطلا، وكان المجهود التبشيري المتزايد لأوروبا المسيحية موجها بالدرجة الأولى إلى الأمريكيتين والشعوب الأبعد في آسيا وأفريقيا وشرق وجنوب البلاد الإسلامية، فالتهديد الإسلامي لأوروبا، بشكله العثماني، كان عسكريا وسياسيا في المقام الأول واجتماعيا إلى حد ما. إن التحدي والفرصة التي طرحها المشروع الأوروبي لم يكمنا في هداية الوثنيين ولكن في استثمار الأسواق الواسعة في الممالك العثمانية الممتدة في أوروبا وآسيا وأفريقيا''،[21] فإن كان تقوقع العثمانيين على معتقداتهم القديمة قد نشأ من بين ظهرانيهم ما يسيل لعاب أوروبا، إنه السوق بمفهومه الموركانتلي البورجوازي، الامتداد الحديث والحقيقي للحضارة الجديدة القائمة على مفهوم العرض والطلب، لم يكن التفوق الأوروبي ماديا بل مفهوميا في رؤيته للعالم، ''وفي الجامعات التي كانت تظهر في كل أوروبا الغربية، كان الباحثون الذين تشربوا حب الاطلاع وحماسة عصر النهضة والتزموا طريقة فقه اللغة في الإنسانيات، قد نذروا أنفسهم لدراسة النصوص العربية الكلاسيكية، ما كان منها دينيا وغير ذلك، لقد سعى رجال الشؤون العمليون، المهتمون بالدبلوماسية والحرب والتجارة إلى الأخبار القادمة من تركيا وبذلوا جهودا جبارة لجمع التقارير وترجمتها، وخصوصا تلك المتعلقة بالموقف الحالي والماضي القريب لهذا الجار المرعب، بل المغري أيضا ...فعندما نشر ريتشارد نوليس، قس دير ساندويش عام ١٦٠٣، وعلى الرغم من أنه لم يعرف التركية، ولم تطأ قدمه أبدا أرضا خارج انكلترا، فقد كان قادرا على أن يعكف على قدر كبير معتبر من الأدبيات التاريخية بلغات أوروبية عديدة بما فيها ترجمات لكتابات تاريخية تركية، ليصف وبتفصيل كبير وبعمق تاريخي ملحوظ ''إمبراطورية '' الأتراك العظيمة المصدر الحالي لرعب العالم''،[22] لقد تغيرت لغة التحاور بين العالمين، وشكل ظهور الجامعة كمؤسسة معرفية في المجتمع الغربي نهضة حقيقية في كيفية التعامل مع الأخبار الواردة من تركيا، ربما ما زال نفس الخطر والتهديد قائمين لكن الرؤية مع المعرفة أضحت أوضح مما كانت عليه، فهي بداية نشوء الاستشراق والمعرفة بالشرق، فيما تزحزحت القرون الوسطى قليلا من أوروبا لتشمل الإمبراطورية العثمانية التي حافظت كثيرا على بقاء نظامها في شكله القديم وأهملت سنة التغير في الحياة، كونها غفلت عن الآخر ومتغيرات حياته، ويتوافق الباحث المغربي علي أومليل مع لويس برنارد أن سر الانهزام يكمن في إهمال الآخر كشرط في بناء الأنا المستمر ''ففي حين كان العرب والمسلمون أقوياء في الماضي

كان الاختلاف الداخلي مقبولا؛ ولم يكن هناك حرج في بسط معتقدات الشعوب الأخرى، بل كان تناولها يتسم بالعرض الذي يتوخى الحياد على النحو الذي لا يصدر إلا عن ثقة بالنفس''،[23] ثم يمضي لويس برنارد في تعميق تحليلاته لانقلاب الموازين، وكيف تحولت الإمبراطورية إلى خطاب معرفي في كل تمظهراتها اللغوية والحضارية والمادية، فيما اقتصر اهتمام الضباط العثمانيين بما هو عسكري فقط، مهملين أثر المعرفة في معرفة الآخر ''لم يكن خلال وقت طويل لريتشارد نوليس وأسلافه الأوروبيين الكثر والرواة نظراء بين العرب الأتراك الذين أظهروا عموما القدر نفسه من قلة الاهتمام كما في العصور الوسطى، وهناك بينة على أن الموظفين والضباط العثمانيين كانوا من وقت إلى آخر مهتمين بالتطور فيما وراء الحدود، ولكن قلما انعكس هذا الاهتمام في الأبحاث والكتابات الأدبية. ولم تكن ثمة محاولة لتعلم اللغات غير الإسلامية، وعندما تطلب الأمر معرفة اللغات أو الظروف الأوروبية، كان الحكام المسلمون قانعين بالاعتماد على رعاياهم من غير المسلمين أو على اللاجئين الأوروبيين الآخرين الذين يعملون في خدمتهم ...قد تلقى السبق الأوروبي في مجالات الوسائط الحربية والبحرية بعض العناية، وجرى تبنيه - إلى حد ما- في بعض الأحيان، لكن الآداب والعلوم حتى السياسة والاقتصاد في أوروبا، كان ينظر إليها على أنها لا صلة لها بالحياة أو باهتمامات الإسلام، وبذلك جرى تجاهلها. يمكن فهم موقف كهذا في العصور الأولى، أو يمكن تبريره، غير أنه في أواخر القرن السابع عشر وعلى الرغم من أن الباشوات الأتراك ظلوا يحكمون في بلغراد وبودا وأن الجيوش التركية ظلت تهدد فيينا فقد أصبح هذا التجاهل عتيق الطراز وعلى نحو خطير''،[24] إلى أن يصف لويس برنارد الوضع في الإمبراطورية العثمانية بالخطير، فقد انزاحت كلية العصور الوسطى الظلامية عن أوروبا لتعلو سماء الإمبراطورية العثمانية، ثم يمضي لوصف الاستفاقة المتأخرة للعثمانيين في مختلف أشكالها، مثلت معاهدة كارلوفيتس للسلام بتاريخ ٢٦ كانون الثاني عام ١٦٩٩م آخر خطوة للتقدم والتفوق العثماني على أوروبا ومنعطفا حاسما في علاقة أوروبا بالإسلام، فالتقدم من أوروبا الشرقية عبر السهوب ومن غرب أوروبا عبر المحيطات، هدد بتطويق قلب الأراضي الإسلامية، وأظهرت الحرب في وسط المعارك أن الجيوش العثمانية تخلفت عن أعدائها الأوروبيين في التسلح والعلوم العسكرية، حتى إنه لأمر يدعو إلى التساؤل المحير كيف كان للأسلحة أن تكون أولى صادرات أوروبا في فترة الحروب الصليبية وحتى العصور الحديثة، وبينما رفض العثمانيون انتهاك قدسية كتابهم الديني عن طريق طباعته، فقد نسخوا كتبهم الدينية وكتبوا قراراتهم الإمبراطورية على أوراق مطبوعة

بالعلامة المائية صنعت في أوروبا، ويمضي لويس برنارد في تشخيص تداعيات غفلة الإمبراطورية العثمانية عن رؤية العالم الجديدة في ربط الحياة السياسية بالاقتصاد، حتى يقر بأن المستفيدين من التغير الاقتصادي البورجوازي هم الغرباء والأقليات الدينية حيث مثلوا الوسطاء مع الاقتصاد العثماني فيما كانوا يعدونا هامشا في الحياة اليومية لأنهم يهود ومسيحيون ويونانيون وأرمن، ففي عام ١٩٢١ سجل أربعون مصرفيا من القطاع الخاص في استانبول، لم يكن أي منهم تركيا مسلما،[25] يحاول برنارد أن يبين عجز العثمانيين عن مجاراة الرؤية الجديدة للعالم، وهي حقيقة استفاق عليها العالم الإسلامي متأخرا، وذلك بعد نضوب كمونه الحضاري، فلم يعد قادرا على مجاراة مشروطية التاريخ والإنسان، وحتى تبنيهم لمكتسبات الحضارة الجديدة كان محصورا في أشياء ذات فائدة واضحة كالأسلحة وبناء السفن وممارسة الطب، ولكن هذه الوسائل جردت قدر الإمكان من الرموز الثقافية المصاحبة لها، فتحولت إلى نتاج حضاري ميت،[26] توهما من العثماني المسلم أن الصراع لازال قائما كما كان وعليه أن يحسم في رفض الاعتراف بالهزيمة ولو من باب المكابرة على مستوى الفرد والذات.

أورد لويس برنارد العديد من الشهادات في وثائق العثمانيين التي تنبه للخطر القادم من أوروبا، فقد حذّر لطفي باشا أكبر وزراء السلطان سليمان الكبير ''تحت حكم السلاطين السابقين وجد العديد ممن حكموا الأرض، ولكن الذين حكموا البحر كانوا قلة، وفي قيادة المعارك البحرية كان الكفار متقدمين علينا، علينا أن نتغلب عليهم'' وفي عام ١٥٨٠ تقريبا تلقى العثمانيون أخبار العالم الجديد بقلق وريبة حيث حذر جغرافي عثماني مراد الثالث من خطر الجغرافيا الجديدة الناشئة حول الإمبراطورية وأثرها على التجارة العالمية.[27]

أفضت الأزمات الجديدة الناتجة عن التحوّلات الطارئة السعي إلى البحث عن الأسباب الحقيقية، لكن الحلول كانت ترقيعية عتيقة، وبدأ الأتراك المسلمون؛ رجال الدولة، والجنود والباحثون بمواجهة الحقيقة المرة لضعفهم، مقارنين مجتمعهم بمجتمع أوروبا، آملين أن الأخير يمكن أن يقدم بعض الحلول.

٣. أوروبا مركز جديد لعالم جديد بسلطة جديدة

ما كان لأوروبا أن تنسى جدران فيينا المحاصرة مرتين، ولا أن تنسى إقامة العرب طيلة ثمانية قرون في إسبانيا، ولاضياع وأسلمة روما الثانية -بيزنطة- فكيف لها أن سَيَّجَت مفهوم الآخر المسلم -العثماني التركي في وقت مضى- في مفهوم وصورة

وعلاقة لا ينفلت منها أبدا لأنه لم يعد العدو المرعب، بل العدو الذي رافق تشكل الأنا، فحتى تفهم أوروبا أناها لا بد لها من العودة دائما لتاريخ العثماني المسلم، فهل ترتكب هي أيضا نفس الحماقة وتهمله كآخر من وجودها، أم هي في حاجة دائمة إليه لترى صورتها في وجهه؟

لقد تباينت مواقف أوروبا من العثماني المسلم من فترة إلى أخرى، تحكمها أبعاد وخلفيات متعددة من السياسة إلى الأدب إلى المصلحة والذوق وانتهاء بحركة الاستعمار والإمبريالية، في البداية كان العداء المطلق لأنّه محصلة تاريخية لصراع طويل؛ فاحتاجت أوروبا للحظات الانتقام في أبسط الصور إلى أعقدها '' فليس هناك مكان للمسلمين في أراضي العالم المسيحي التي فقدت سابقا والتي استردت ثانية الآن، وحتى جمهورية البندقية venice التي عاشت من تجارة المشرق كانت تواجه أكبر صعوبة في تحمل وجود أي خان ولو كان صغيرا ينزل فيه التجار الأتراك الزائرون''،[28] لقد أضحى وضع الأتراك في المجتمع الغربي كالعاهرات والجذام والمجانين، حتى لا يليق بمدينة كالبندقية رائدة التجارة في الشرق أن يكون بها خان متواضع لهم.

ما كان لأوروبا أن تعيد التاريخ ولا أن تهمله، لم يعد العثماني المسلم يستحق أن يكون آخر أوروبا الوحيد فقط في ظل العالم الجديد الذي امتد شرقا وامتد غربا، وما كان لها أن تهمل جوهره التاريخي ألا وهو الإسلام القادر على الانبعاث الحضاري ما توفرت له الظروف لذلك، لكن هذا الإهمال أو لفت النظر لم يكن مطلقا بل مرحليا لأنها أوكلته لمن سيسيجه في خطاب النسق العتيق ''لقد أصبح الإسلام الآن بالنسبة إلى المفكرين الأوروبيين هدفا للدراسة البحثية، وشيئا ينظر إليه بفضول علمي، أكثر من أن يكون عدوا خطرا يجب أن يجابه ويدحض''،[29] إن كان العثمانيون قد استعانوا بالبارود والمدافع والسيوف في مقارعة أسوار فيينا، فقد أوجدت الجامعات الأوروبية حقل الاستشراق الذي يفت ويفكك الظواهر الانسانية ويقدم نتائجه المعرفية لمن هو أولى بها، ألا وهي السياسة. لقد نشأت في أوروبا مفاهيم جديدة وسلطات جديدة، إنها سلطة المعرفة.

١,٣. تشكيل الاستشراق

يعد الاسشتراق فرعا معرفيا، تحكمه بنية ابستمولوجية كغيره من المعارف والعلوم. له مصطلحاته الخاصة، وأدواته المنهجية، وموضوعه، وتُخصّص له الكراسي الجامعية والبعثات العلمية، وكلّ ذلك يجعل منه فرعا أكاديميا.

فالاستشراق بنية، ''والأبنية States تشكيلات تاريخية، وضعيات، أو اختباريات، 'إنهّا طبقات رسوبية' مترسبة، تتكون من أشياء وكلمات، من رؤية وكلام، من مرئي وملفوظ، من رحاب رؤية، وحقول قراءة مضامين وتعبيرات''،[30] فظهور الاستشراق كثقافة نصية في كتابات الأوروبيين المختلفة، وتداول رموز الشرق كثقافة بين الناس العاديين؛ حكمته تراكمات تاريخية، وجدليات مادية معرفية؛ انتهت به إلى فرع معرفي أكاديمي يعرف بالاستشراق (Orientalism)، ''فأيّ نظام من الأفكار قادر بعد كل حساب، على أن يبقى دون تغير كحكمة قابلة للتدريس (في المجامع، والكتب، والمؤتمرات، والجامعات، ومعاهد السلك الخارجي) من زمن أرنست رينان في أواخر ١٨٤٠م إلى الوقت الحاضر في الولايات المتحدة. لا بد أن يكون شيئا أكثر صلابة ومتانة من مجرد مجموعة من الأكاذيب''.[31] فالاستشراق تظافر عدد من الأشياء وتفاعلها؛ من ظروف اقتصادية، واجتماعية، وسياسية؛ وروائيين، وفلاسفة، ومنظرين، وإداريين استعماريين؛ وملاحم ، وروايات، وأوصاف اجتماعية، وعادات، وتقاليد... إلاّ أنّ الدلالة الأكثر تقبلا هي دلالة جامعية أكاديمية، حكمها نوع من التبادل المستمر بين المعنى الجامعي والمعنى التخيلي، في مجتمع غربي جديد تنظم جميع مظاهره المعرفة، فأضحى العثماني المسلم بحثا أكاديميا ليس له وجود مادي بالضرورة، تتشكل صوره وتمثلاته بعيدا عن تهديداته.

يقر إدوارد سعيد بما وفرته علاقة الشرق بالغرب من إمكانية واسعة وضخمة لظهور الاستشراق كخطاب؛ أي ما جعل تلك التجربة الفرنسية والبريطانية ممكنة وشخصية ونوعية من خلفيات تاريخية وفكرية، والبؤرة في هذا القسم كما يقول بيل أشكروفت ''هي النظر إلى التمثيل من أجل توضيح التشابهات في الأفكار مثل الطغيان الشرقي، والحساسية الشرقية، الصيغ الشرقية في الإنتاج، والإشراق الشرقي''،[32] ثم مرحلة عرض التراكيب الاستشراقية وإعدادات التركيب، ويخص المادة البريطانية والفرنسية وكيفية سير الكتاب الفيلولوجين، والمؤرخين، والمبدعين الكبار، في القرن التاسع عشر معتمدين على تراث من المعرفة المتشكلة مسبقا ببناء شرق نصي والتحكم فيه؛ حيث أمكن للاستشراق أن ينضج في شكل حقل معرفي تأثرا بالحقول الأخرى. وليس من قبيل الصدفة أن تكون الدول المنافسة للإمبراطورية العثمانية أكثر المساهمين في حقل الاستشراق؛ روسيا، النمسا، بريطانيا، فرنسا.

٢,٣.سلطة الاستشراق:

ارتبط مفهوم السلطة بعالم السياسة، وعلاقات الدول، والحكومات، وأضحى مفهومها الاجتماعي- السياسي أكثر انتشارا وتداولا من أيّ تعريف آخر؛ تبعا لطبيعة العلاقات المادية الصدامية بين الإمبراطورية العثمانية وأوروبا. لكنّ هذا الفهم الشائع لا يعكس طبيعة السلطة في علاقتها بالمعرفة.

السلطة نتاج اجتماعي، يتمظهر في سلوك الإنسان كفرد، أو ما ينتج عنه من تنظيمات ومؤسسات في مختلف الميادين، والغاية في كلا المظهرين هي التحكم في توجيه الأشياء المختلفة، وحتّى المتنافرة في اتجاه واحد، يطمس، ويغيّب كلّ الذوات المتفاعلة؛ لأجل مصلحة واحدة، تقف من ورائها ماهية جوهرية، تحرسها عادةً ميتافيزيقا مقدسة، تمنع السؤال وتجيب بقدرٍ. فسلطة المجتمع تقف وراءها طبقة ترعى مصالحها باسم حماية الأخلاق، وقداسة الدين، فالأخلاق والدين مفهومان ميتافيزيقيان، يصلحان كشعارات عمومية، تختفي وراءها كثير من الممارسات السلطوية الاستلابية؛ هذا جوهر ما استخلصه الدرس الاستشراقي من العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات الشرقية، فنظام الأسرة وعالم الحريم من مظاهر السلطة التي تأسس عليها حكم العثمانيين.[33]

السلطة في الخطاب الاستشراقي؛ كونه خطاباً، وعلاقاته بالمعرفة، وإرادة الحقيقة؛ كونه خطابا متمظهرا ماديا في مؤسساته المعرفية، والجامعية، ونظم النشر، والتدوين، كذلك؛ كونه يندرج في أنماط كتابة معينة تشكلّت في ظل مركزية معرفية أوروبية، وصدارة اقتصادية، وعسكرية عالمية، دون أن ننسى الانتماء العام لعلم الاستشراق لدائرة العلوم الإنسانية، وما اكتنف تشكلّها، ونضجها من أيديولوجيا، ومركزية، تحتجب تحت مسميات الموضوعية، والعقلية.

فالخطاب الاستشراقي ليس مجرد موضوع سياسي، ينعكس بصورة سلبية في الثقافة، والبحث، والمؤسسات، كما أنّه ليس مجموعة نصوص يجمعها الشرق كموضوع، بل هو توزيع، وإعادة توزيع للوعي الجيوسياسي إلى نصوص جمالية، وبحثية، واقتصادية، واجتماعية، وتاريخية، وفقه لغوية، تخلق فيما بينها سلسلة مصالح، وتحافظ عليها بوسائل خاصة؛ كالاكتشاف البحثي، والاستبناء الفقه لغوي، والتحليل النفسي، والوصف الطبيعي، والاجتماعي. فلويس برنارد يصف لنا مفهوم الوطن في الإمبراطورية العثمانية وكيف شابه التحول، بعيدا عن واقع حقيقي مقابل للنص ''كان الوطن بالنسبة إلى المسلمين الأتراك العثمانيين هو الإمبراطورية التركية العثمانية التي تضم معظم أراضي الإسلام المركزية في الشرق الأوسط، ومن بين

حكامها السابقين عرب وسلاطين عثمانيون ... وكان الولاء الوطني مكنونا للوطن ويقدم للسلطان العثماني"،[34] فالحقيقة أضحت نصية أكثر منها دنيوية، فالإمبراطورية العثمانية عرفت من الولاء والتمرد تجارب كثيرة تجعلنا لا نجزم بحقيقة واحدة لمفهوم الوطن؛ الذي هو في جوهره مفهوم سياسي حديث لم تعرفه الحضارات القديمة.

الخطاب الاستشراقي إرادة معينة لفهم عالم مختلف، والسيطرة عليه أحياناً؛ إنشاءٌ في وضع تفاعل غير متكافئ مع مختلف أنماط القوة، مكتسباً شكله إلى حدّ ما من تفاعله مع القوة السياسية، والقوة الفكرية، والقوة الثقافية؛ من شرائع الذوق، والنصوص، والقيم، والقوة الأخلاقية.

فهذا الإرث المعرفي الاستشراقي وهو يحبو، ثمّ يخطو، ثمّ يقف على رجلين كفرع معرفي حقيقي متميّز بخلفية خطابية، تستثمره فيما يناقضها، وفي صدامها مع الشرق أصبح يدّعي تمثيل الحقيقة وتمثّلها؛ حين اقترن بالتجربة المادية الناجحة الّتي تثبت صحة ما ادعته المعرفة الاستشراقية.

فالمعرفة العلمية المضبوطة أصبحت تساهم في تشكيل الحقائق، وتأكيدها، لا من حيث هي معارف صحيحة، بل من حيث هي من اكتسبت سلطة قول الحقيقة دائماً، حتّى أضحت قناة تمرير معارف غير علمية بعنوان الموضوعية، يحتاجها الخطاب في حربه ضد الخطابات المنافسة له، فالتاريخ والجغرافيا حقّقا إنجازات ضخمة في أوروبا والولايات المتحدة. والباحثون الآن يمتلكون بحق قدرا أكبر من المعرفة بالعالم، ماضيه، وحاضره. من ثمّ كان موضوع الجغرافيا غير التّام، يفسح المجال أمّام المعرفة التخيّلية؛ جغرافية، وتاريخية، لتتداول كحقائق مثلها مثل حقائق الفرع المعرفي المضبوط وذاك ما طال بالضبط عالم الحريم في الإمبراطورية العثمانية، حيث عملت الإيروتيكية الغربية عملها في تخيل عالم الحريم وألف ليلة وليلة.

فالحركة الاستعمارية نتاج رحلات البحث الجغرافي الّتي أظهرت للوجود أراضي كانت مجهولة، وغير مكتشفة -خارج حركة التوثيق الجغرافي العالمي في العالم القديم- وقد تدّعم هذا النشاط الكشفي بعلم الخرائط الّذي حوّل أمّاكن الآخرين الحقيقية إلى نصوص عن طريق التسمية، وفي أغلب الأحيان تعاد تسمية الأمّاكن بأسماء رمزية، وعلامات حرفية تدل على السيطرة والمراقبة.

ولقد جسّدت الخرائط إيديولوجيا أوروبية على الأقاليم في أرقام الطرقات، عدا أسماء الأمّاكن. وقد كانت الأمكنة الفارغة على الخرائط الأولى، تعني الانفتاح

والإغراء والعذريّة، حيث أمكن للخيال الأوروبي أن يعكس نفسه بحريّة، وحيث أمكن للمكتشف الأوروبي (خاصة الذكر)، أن ينفذ، ويسيطر. فالأمكنة الفارغة هي ذاتها دعت التصورات الثقافية الأخرى -الغريبة عن المكان- إلى إبداع تصورات حول الوحوش، وأنصاف البشر، والرجل البري المتوحش. وقد انتقلت هذه المفاتيح من خرائط أستراليا إلى خرائط إفريقيا، وأضحى الكنبالي (الأسترالي المتوحش) مرادفا للإفريقي الأسود. ولم يكن بالإمكان سماع صوت الأهالي، أو أي شكل من أشكال الحضور، في هذا الخطاب العلمي القياسي الجديد، أو في النصوص المكتوبة الّتي تضمّنها علم رسم الخرائط.

كانت صور الأهالي في كلّ الأحوال صورا توضيحية للمتوحشين، والكنبال، أو الوحوش.[35] لقد امتزج الخيالي بالمعرفة في صورة حقيقة مسلم بها، اتجّاه عالم اسمه الشرق، في شكلّ خطاب اسمه الاستشراق، لقد أضحى صدى المعرفة الّتي هي من قبيل الجغرافيا التخيلية، يتردد في جسم كامل الخطاب الاستشراقي، ولم يسلم أيّ موضوع من موضوعاته، وخاصة بعدما تمّ تسليم الواقع الشرقي كعالم حقيقي إلى كتلة من النصوص، تفوق التصوّر، ذاتية التولد، والانتشار، بعيدا عن كلّ موضوعية، مع تقزيم الشرق، ومعانيه، وإحالته إلى عالم عتيق رومانسي يقابله تطور العلوم الغربية.

لم يُسلِّم لويس برنارد باتهامات الاستشراق ودافع عليه وعلى نتائجه المعرفية، و"يطرح انتقاد الاستشراق عدة أسئلة حقيقية، وقد قال العديد من النقاد إنّ المبدأ الموجه لهذه الدراسات يعبّر عنه هذا القول "المعرفة قوة" وإن المستشرقين كانوا ينشدون معرفة الشعوب الشرقية بهدف السيطرة عليها ...ولاشك أن هناك بعض المستشرقين الذين خدموا الإمبريالية أو استفادوا موضوعيا أو ذاتيا من الهيمنة الإمبريالية. ولكن أن نعد ذلك تفسيرا للمشروع الاستشراقي ككل فذلك إنما يمثل قصورا عبثيا ..."،[36] استفادت أوروبا أيما استفادة من علاقتها بالإمبراطورية العثمانية لا في رد وإعادة رسم الصورة والتحكم في التمثل، بل في اكتشاف مفهوم جديد للآخر يقوم على طبيعة الوسيلة التي يمكن من خلالها أن تقرأ الآخر قراءة جديدة بعيدا عن التصورات التقليدية والشعوبية.

* * *

مصادر البحث ومراجعه

- إدوارد سعيد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب. الطبعة العربية الرابعة. بيروت، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥م.
- بيل أشكروفت. بال أهلواليا.إدواردسعيد"مفارقة الهوية".ترجمة سهيل نجم. الطبعةالأولى.سورية، دمشق:نينوى للدراسات والنشر والتوزيع،٢٠٠٠/٢٠٠٢م.
- جوزيف أبو نهرا :المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني .المؤتمر الدولي : خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الأدنى في زمن التحولات .مركز الشرق المسيحي للبحوث والدراسات. جامعة القديس يوسف .٢٠١٣.
- جيلدولوز:المعرفةوالسلطة. ترجمةسالميفوت. الطبعةالأولى. بيروت،لبنان: المركزالثقافيالعربي، ١٩٨٧ م.
- سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف. بيروت–لبنان :المركز الثقافي العربي . الطبعة الأولى . ٢٠٠٠.
- الطاهر لبيب (تحرير). صورة الآخر، العربي ناظرا ومنظورا إليه. مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى .بيروت .١٩٩٩.
- عادل الجوجري : لويس برنارد سياف الشرق الأوسط ومهندس سايس بيكو ٢. حلب – سوريا .دار الكتاب العربي .الطبعة الأولى .٢٠١٣.
- عبد الله ابراهيم :المطابقة والاختلاف ، بحث في نقد المركزيات الثقافية .المؤسسة العربية للدراسات والنشر .الطبعة الأولى .٢٠٠٤.
- لويس برناردد: استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية. تعريب سيد رضوان علي. الدار السعودية للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية. ١٩٨٢.
- لويس برناردد : الإسلام والغرب. ترجمة فؤاد عبد الطلب .منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق–سوريا. ٢٠٠٧.
- See.Bill Ashcroft. Gareth Griffiths. Helen Tiffin. post-colonial studies. thekeyconcepts. London, Great Britain:Routledge . 2006.

* * *

الهوامش

[1] المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ولاية ميلة. الجزائر

[2] عادل الجوجري: لويس برنارد سياف الشرق الأوسط ومهندس سايس بيكو ٢. حلب – سوريا .دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى. ٢٠١٣. ص١٨.

[3] لويس برناردد: الإسلام والغرب. ترجمة فؤاد عبد الطلب. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق–سوريا. ٢٠٠٧. ص١١٣.

[4] لويس برنارد: استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية.تعريب سيد رضوان علي. الدار السعودية للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية. ١٩٨٢. ص٤٨.

[5] انظر:لويس برنارد: الإسلام والغرب. ص ٤٤.

[6] صورة الآخر، العربي ناظرا ومنظورا إليه. تحرير الطاهر لبيب. مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى. بيروت. ١٩٩٩. ص٢٤٨.

[7] لويس برنارد: الإسلام والغرب. ص ١٧.

[8] انظر: المصدر نفسه. ص ١٧–١٨.

[9] منسوب إلى الرومان لهيمنتهم عليه.
[10] الأصح دنيا المسلمين.
[11] المصدر نفسه. ص٢٤.
[12] لويس برناردد: استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية. ص٣٠.
[13] انظر: جوزيف أبو نهرا :المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني. المؤتمر الدولي: خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الأدنى في زمن التحولات .مركز الشرق المسيحي للبحوث والدراسات. جامعة القديس يوسف. ٢٠١٣. ص٢.
[14] المرجع نفسه. ص٤.
[15] لويس برناردد: الإسلام والغرب. ص٣٤.
[16] انظر: المصدرنفسه. ص ٤٨.
[17] انظر: عبد الله ابراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. ٢٠٠٤. ص ٣٣٨-٣٤٤.
[18] انظر: جوزيف أبو نهرا: المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني. ص٧ - ٩.
[19] لويس برناردد: الإسلام والغرب. ص٣٦.
[20] المصدر نفسه. ص٢٧.
[21] المصدر نفسه. ص٣٧.
[22] المصدر نفسه. ٣٧.
[23] سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف .بيروت-لبنان: المركز الثقافي العربي. الطبعة الأولى . ٢٠٠٠. ص٢٠.
[24] لويس برناردد: الإسلام والغرب. ص ٣٨.
[25] انظر: المصدر نفسه. ٤٨-٥١.
[26] انظر: المصدر نفسه. ٥٣
[27] انظر: المصدرنفسه. ص ٥٣.
[28] المصدر نفسه. ص٢٦.
[29] انظر: المصدر نفسه. ص٥٢.
[30] جيلدولوز: المعرفة والسلطة. ترجمة سالم يفوت. الطبعة الأولى. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧ م. ص ٥٥.
[31] إدوارد سعيد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب. الطبعة العربية الرابعة. بيروت، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥م. ص٤١.
[32] بيل أشكروفت. بال أهلواليا. إدوارد سعيد ''مفارقة الهوية''. ترجمة سهيل نجم. الطبعةالأولى.سورية، دمشق: نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠/٢٠٠٢م. ص٧٩.
[33] انظر اساتنبول. ص٥٩-٩٥
[34] لويس برناردد: الإسلام والغرب. ص ٢٤٧.
[35]

– See. Bill Ashcroft. Gareth Griffiths. Helen Tiffin. Post-colonial studies. thekeyconcepts. London, Great Britain: Routledge . 2006.P31, 32, 33.

[36] لويس برناردد : الإسلام والغرب.ص ١٧٧.

ملف العدد

المنهج وتجلياته الوظيفية

كيف نفهم النبوات؟

الملخص

أ.د. عماد الدين خليل

عرض البحث صورة عصور ما قبل الإسلام فى التعامل مع النبوات، منتقيا من سير الأنبياء مقاطع محددة لتأكيد استنتاجاته الخصبة فى سياقات عديدة، مركّزا على ما يدعّم استنتاجاته ويغذّيها بالشواهد والمعطيات من خلال ''الفكرة'' أو ''الواقعة'' أو ''الخاطرة''، فكان البحث مؤكّدا أنّ سرّ الحياة وماهيتها يتوجه إلى الإيمان بالرسل، إذ هم الذين يَدُلُونَ دلالة قاطعة على (الحى الأزلى) سبحانه وتعالى، وصفات كماله، وخاصة (الرسالة المحمدية) و (الوحى القرآنى). تلك الرسالة تجليها حكمة تكرار قصص الأنبياء (عليهم السلام) فى كتاب الله، وهى مؤكّدة لانتصار الرسل فى صراعهم من أجل الرقى بالإنسان (محور العالم) إلى أعلى مصاف، ليكون منخرطا فى القافلة الميمونة ركب الأنبياء، مُرَشَّحًا للمهمة العمرانية – الاستخلافية التى أنيطت به، تجلى هذا الأنموذج المطلوب مع وقفات النورسى أنبياء الله فى تجسيد تلك المهمّة النبيلة، فكانت له وقفات مع إبراهيم عليه السلام، ويوسف عليه السلام، ويونس عليه السلام، وأيوب عليه السلام، وموسى عليه السلام، و عيسى عليه السلام، وتوقّف النورسى فى هذا السياق عند دفع فرية ''أنّ تقدم الأمم الغربية نتيجة انسلاخها عن الدين''، ولا مطمع فى التقدّم بغير تقليد انسلاخهم، فكان الرد وافيا، وختم النورسى مناقشته للموضوع بالردّ على مقولة أهل البدع بأن التعصب الدينى هو سبب تأخرنا عن اللحاق بركب الحضارة، وهم بهذا يكذّبون حقائق الإسلام الجامعة لأسس التقدّم والاجتماع مع النصرانية الحقة ومبادئها، وهذا ما يحدو بنا إلى قبول السر الذي أشار الرسول ﷺ بأنّ عيسى عليه السلام سينزل وسيكون من أمة الإسلام ويعمل بشريعته.

الكلمات المفتاحية: النورسي، الفهم، النبوات.

* * *

How Should We Understand the Institution of Prophethood?

ABSTRACT

Prof. Dr. Emad Eddin Khalil

This research study draws an image of prophethood in the pre-Islamic era. It quotes history of Prophets to confirm its conclusions in various contexts. Moreover, the research focuses on evidences that confirm its outcomes. It also enriches the results with "evidence", "facts" and "idea". Thus, the research affirms that the essence of life revolves around believing in the prophets, because they are the guides towards the Almighty (the Eternal, the Ever-lasting), and His qualities of perfection. The message of Islam and the book of Qur'an in particular repeat the stories of prophets in various chapters focusing on the fact that prophets are always winners in their struggle to uplift humanity and human-being (as he is the center of the universe) to the highest degree in order to be part of the blessed convoy of prophets and their followers. Having approached that state, man becomes capable of fulfilling the task of being vicegerent on earth. Nursi, in order to illustrate these facts, focused on the stories of prophets. He explained and reflected on them as the story of Abraham, Joseph, Job, Moses, Jonah, and Jesus. In this context, Nursi refutes allegations which claim that the success of West is the result of its denial of religion, and that if we ever want to be successful, we have to refrain from religion as the West had done. He also refutes sayings which state that being religious is the reason for our backwardness. He explains how far from Islam and its teachings are these beliefs. Islam contains basics of development and civilization and it meets with real Christianity. Thus, we accept and believe in what we had been told by Prophet Mohammed that Jesus will descent and belong to the community of Islam ummah and follow Islam's teachings.

Keywords: Nursi, Understanding, Prophet.

* * *

من خلال تعامل النورسي مع "النبوّات" التي سبقت عصر الرسالة... وعبر صراع الحق مع الباطل، والتوحيد مع الشرك والوثنية، والأنبياء (عليهم السلام) مع الطواغيت والأرباب، يقدّم تصوّره عن عصور ما قبل الإسلام. وهو في مجمل ما قدّمه عن الموضوع لا يريد أن يكتب تاريخاً للأنبياء يستقصي فيه أحوالهم بتفاصيلها، ويتابع تسلسلهم التاريخي حتى عصر الرسالة، وإنما هو ينتقي من سيرهم مقاطع محددة لتأكيد استنتاجاته الخصبة في سياقات عديدة، ويدير كاميرته الحساسة على (لقطات) من حياتهم، ومعطياتهم، للغرض نفسه... وهو في الحالتين لا يتابع الخط

الزمني للنبوات، لأنه لا يريد أن يكتب تاريخهم، ولهذا نجده يقدّم ويؤخّر وفق مقتضى الحال التي يتعامل معها.

فهو -مثلاً- لم يتناول من الأنبياء سوى آدم وإبراهيم ويوسف ويونس وأيوب وموسى وعيسى (عليهم السلام) ولم يعرض لدى حديثه عن أي واحد منهم سوى جوانب محددة تجيء في سياق تحليله لهذا الجانب أو ذاك من الموضوعات الجمة التي عالجها في رسائله المائة والثلاثين.

فالذي يعنيه في المقام الأوّل ''الفكرة'' أو ''الواقعة'' أو ''الخاطرة'' التي تدعم استنتاجاته وتغذّيها بالشواهد والمعطيات.

ابتداءً فان سرّ الحياة وماهيتها يتوجه إلى الإيمان بالرسل ويثبته رمزاً ''...'' نعم ما دام الكون قد خلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجل... وأجمل صنعة للحي القيوم جل جلاله، وما دامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب. إذ لو لم تكن هناك رسل ولا كتب لما عرفت تلك الحياة الأزلية، فكما أن تكلم الفرد يبين حيويته وحياته، كذلك الأنبياء والرسل (عليهم السلام) والكتب المنزلة عليهم، يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون. فلابد أن الحياة التي في الكون تدل دلالة قاطعة على (الحي الأزلي) سبحانه وتعالى، وعلى وجوب وجوده، كما أن شعاعات الحياة الأزلية كذلك وتجلياتها تنظر وتتوجه إلى ما لها ارتباطات وعلاقات معها من أركان الإيمان مثل (إرسال الرسل) و (إنزال الكتب) وتثبتهما رمزاً، ولاسيما (الرسالة المحمدية) و (الوحي القرآني). إذ يصح القول: أنهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت الحياة، حيث إنهما بمثابة الروح والعقل والحياة''.[1]

والقرآن الكريم عندما يتحدث عن الرسل، إنما يقدّم لقرّائه الوقائع التاريخية كما تحققت بالفعل لأنه من علم الله سبحانه وتعالى الذي يلمّ دفعة واحدة بالآونات الزمنية الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل ''وهو يذكر أخباراً من لدن آدم عليه السلام إلى خير القرون، ومع ذكره أهم أحوال الأنبياء (عليهم السلام) وأحداثهم المهمة، في منتهى القوة وغاية الجدّ، وبتصديق من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل فيوافق ما اتفقت عليه تلك الكتب السابقة ويصحّح حقيقة الواقعة ويفصل في تلك المباحث التي اختلفت فيها. بمعنى أن نظر القرآن الكريم المطلع على الغيب يرى أحوال الماضي أفضل من تلك الكتب وبما هو فوقها جميعاً... وحينما يخبر عن تلك الأحوال

الماضية يخبر عنها وكأنه يشاهدها كلها، إذ أنه يتناول روح حادثة طويلة وعقدتها الحياتية، فيخبر عنها، ويجعلها مقدمة لمقصده... ''[2]

وهو يتناول الحكمة من تكرار قصص الأنبياء (عليهم السلام) في كتاب الله، فيرى أن غرضها هو إثبات الرسالة الأحمدية ''وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجة على أحقية الرسالة الأحمدية وصدقها، حيث لا يمكن أن ينكرها إلاّ من ينكر نبوّتهم جميعاً... ثم أن كثيراً من الناس لا يستطيعون كل حين ولا يوفقون إلى تلاوة القرآن الكريم كله، بل يكتفون بما يتيسّر لهم منه. ومن هنا تبدو الحكمة واضحة في جعل كل سورة مطولة ومتوسطة بمثابة قرآن مصغر، ومن ثم تكرار القصص فيها يمثل تكرار أركان الإيمان الضرورية...''[3]

كما أنه يتناول اختلاف الإدراك البشري بين عصر وآخر، وتنزّل الشرائع على مستوى ذلك الإدراك ''ففي زمن الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كانت الطبقات البشرية متباعدة بعضها عن بعض، مع ما فيهم من جفاء وشدة في السجايا، فكانوا أقرب ما يكونون إلى البداوة في الأفكار، لذا أتت الشرائع في تلك الأزمنة متباينة مختلفة، مع موافقتها لأحوالهم وانسجامها على أوضاعهم، حتى لقد أتى أنبياء متعددون بشرائع مختلفة في منطقة واحدة وفي عصر واحد. ولكن بمجيء خاتم النبيين ﷺ تكاملت البشرية، وكأنها ترقى من مرحلة الدراسة الابتدائية فالثانوية، إلى مرحلة الدراسة العالية وأصبحت أهلاً لأن تتلقى درساً واحداً، وتنصت إلى معلم واحد، وتعمل بشريعة واحدة. فرغم كثرة الاختلافات لم تعد هناك حاجة إلى شرائع عدة ولا ضرورة إلى معلمين عديدين ...''[4]

ثم هو يمضي للحديث عن الصراع الذي أراد به الله سبحانه وتعالى امتحان مخلوقه الجديد: الإنسان، ودور الرسل في هذا الصراع ''وهكذا فان خلق الشرور والأضرار والبلايا والشياطين، ليس شراً ولا قبيحاً لأن هذه الأمور خلقت للحصول على نتائج مهمة كثيرة جداً. فالملائكة مثلاً لا درجات رقي لهم، وذلك لعدم تسلط الشياطين عليهم، لذا يكون مقامهم ثابتاً لا يتبدل. وكذا الحيوانات فان مراتبها ثابتة وناقصة حيث لم تسلط عليها الشياطين. بينما في عالم الإنسان تمتد المسافة بين مراتب الرقي ودركات التدنّي إلى أبعاد مديدة طويلة جداً، إذ بدء من النماردة والفراعنة وانتهاء إلى الصديقين والأولياء والأنبياء (عليهم السلام) هناك مراتب للرقي والتدّني، لذا بخلق الشياطين، وبسرّ التكليف، وبإرسال الأنبياء، انفتح ميدان الامتحان والتجربة والجهاد والمسابقة، وبه تتميز الأرواح السافلة التي هي كالفحم في خساسته عن الأرواح العالية

التي هي كالألماس في نفاسته. فلولا المجاهدة والمسابقة لبقيت الاستعدادات كامنة في جوهر الإنسانية، أي لتساوى الفحم والألماس. أي لتساوت الروح السامية لسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ وهي في أعلى عليين مع روح أبي جهل التي هي في أسفل سافلي..."[5]

وهو يؤكد انتصار الرسل في صراعهم هذا من أجل الرقي بالإنسان إلى أعلى مصاف، باعتباره سيداً في هذا العالم، مستخلفاً فيه... إن خطاب القرآن الذي تتردد فيه كلمة (الظالمين... الظالمين) "وزجره العنيف لهم، وإنذاره الرهيب من نزول مصائب سماوية وأرضية بذنوبهم ومظالمهم "إنما يلفت الأنظار -بهذا التكرار- إلى مظالم لا نظير لها في هذا العصر" بعرضه أنواعاً من العذاب والمصائب النازلة بقوم عاد وثمود وفرعون. وفي الوقت نفسه يبعث السلوان والطمأنينة إلى قلوب المؤمنين المظلومين بذكره نجاة رسل كرام أمثال إبراهيم وموسى (عليهما السلام)".[6]

إن تاريخ البشرية والكتب المقدسة "يخبر بالاتفاق إخباراً قاطعاً وبصراحة تامة، استناداً إلى التواتر وإلى الحوادث الكلية الثابتة والمعارف البشرية والمشاهدات الإنسانية، إن استجابة استمدادات الأنبياء (عليهم السلام)، وهم أصحاب الصراط المستقيم، استمداداً غيبياً فوق المعتاد في ألوف من الحوادث، وإنجاز مطاليبهم بذاتها، ونزول الغضب والمصائب السماوية بأعدائهم الكفار في مئات الحوادث تدل دلالة قاطعة لا ريب فيها على أن لهذا الكون ولنوع الإنسان الذي فيه، رباً حاكماً عادلاً محسناً كريماً عزيزاً مدبراً مسخراً، قد منح من لدنه النصر المؤزر والنجاة الخارقة لأنبياء كرام كثيرين أمثال نوح وإبراهيم وموسى وهود وصالح (عليهم السلام) في حوادث تاريخية واسعة، وأنزل في الوقت نفسه مصائب سماوية مرعبة في الدنيا على أقوام ظلمة كفرة أمثال ثمود وعاد وفرعون إزاء عصيانهم الرسل."[7]

والقرآن الكريم يعبّر بأسلوب معجز "عن غضب الكائنات وتغيّظ عناصر الكون جميعها وتهيّج الموجودات كافة من شرّ أهل الضلالة، عندما يصف اشتراك السماء والأرض بالهجوم على قوم نوح عليه السلام في الطوفان، وعصف الرياح بقوم عاد، والصيحة على ثمود، وهيجان الماء على قوم فرعون ونقمة الأرض على قارون ... عند رفضهم الإيمان..."[8]

إلاّ أن المساحة الأوسع من معطيات النورسي عن عصور ما قبل الإسلام تتمركز في اثنتين: وحدة النبوّات، وبشارتها بالنبي الأخير محمد ﷺ، وهو يخصص

للمحسورين المذكورين العديد من مرئياته واستنتاجاته القيمة، ويدير كاميرته فيهما على حشد كبير من الموضوعات التي تغذيهما.

ونحن كمسلمين نعرف جيداً أن الأنبياء كافة إنما انطلقوا بوحي من الله سبحانه وتعالى لكي يؤدوا مهمة هداية البشرية إلى الصراط، وتأكيد وحدانية الله سبحانه وتعالى، وإعادة صياغة الحياة وفق كلماته وتعاليمه... الأنبياء جميعاً لا يشذ عنهم أحد، انطلقوا بالمهمة نفسها، كل وفق ظروف ومدركات العصر الذي بعث فيه، لكي يمضوا بالناس عبر الصراط الواحد، ويقودوهم إلى الهدف الواحد.

ونجد في كتاب الله تأكيدات مستمرة على هذه الحقيقة، حتى أن المفردات والتعابير القرآنية تكاد تكرر نفسها في دعوة كل واحد منهم: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾هود:٥٠ ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾هود:٦١ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾...هود:٨٤ هذا إلى ضرورة أن يكون المسلم على وعي تام باحترام وتقدير الأنبياء كافة دون تفريق بينهم: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾البقرة:١٣٦ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾البقرة:٢٨٥ ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾آل عمران:٨٤ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.النساء:١٥٢

والنورسي يعرف -بالطبع- هذه المسلّمات جميعاً ولكنه يمضي ليس لتأكيدها فحسب، وانما لتقديم المزيد من التفاسير والإيضاحات حولها: ''وأنا أتلو ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ نظرت إلى قوافل البشرية الراحلة إلى الماضي، فرأيت أن ركب الأنبياء المكرمين والصديقين والشهداء والأولياء والصالحين أنور تلك القوافل وأسطعها، حتى أن نوره يبدّد ظلمات المستقبل، إذ أنهم ماضون في جادة مستقيمة كبرى تمتد إلى الأبد. وإن

هذه الجملة تبصرّني طريق اللحاق بذلك الركب الميمون بل تلحقني به. فقلت: يا سبحان الله، ما أفدح خسارة وما أعظم هلاك من ترك اللحاق بهذه القافلة النورانية العظمى، والتي مضت بسلام وأمان وأزالت حجب الظلمات، ونوّرت المستقبل. إن من يملك ذرة من شعور لابد أن يدرك هذا''.[9] فها هنا يحوّل النورسي هذه الحقيقة إلى خبرة شخصية حيث يعبّر عن سعادته باللحاق بما يسميه ركب الأنبياء، ويدين أولئك المتخلفين الذين لم يلتحقوا، ويسم اختيارهم النكد هذا بالهلاك العظيم. ولطالما تساءل ''أو من الممكن ألا يكون الأنبياء عليهم السلام الذين خدموا الحقيقة نفسها كمحمد ﷺ مبعوثي الصانع الجليل وأحبائه ورسله الكرام ''ثم ما يلبث أن يجيب بصيغة القطع التي لا تقبل مماحكة ولا جدلاً ''حاشى لله وكلا بعدد معجزات الأنبياء''.[10]

إن إحدى نقاط الارتكاز في وحدة النبوّات هي تبشيرها المؤمنين بالسعادة الأبدية في الآخرة، وإنذارها الضالين بنار جهنم وويلاتها ''فالرسول الأكرم ﷺ... ثم جميع الأنبياء (عليهم السلام) يبشرون الجن والإنس بالسعادة الأبدية، وينذرون الضالين بجهنم -وهم يؤمنون بهذا ويشهدون عليه- استناداً إلى ما ذكرته مراراً وتكراراً من الوعد والوعيد في جميع الكتب السماوية والصحف المقدسة...''[11] ''فنحن ... نعتقد ونؤمن بكل ما أوتينا من قوة، بأن الآلاف من الرسل الكرام، وبما لا يعد ولا يحصى من الأنبياء ... هم شاهدون بحق اليقين على خزائن رحمتك الأخروية، وكنوز إحساناتك في عالم البقاء ... ونؤمن أن هذه الشهادة حق وحقيقة، وأن إشاراتهم صدق وواقع...''[12] ...ويمضي النورسي مؤكداً هذه الحقيقة في أكثر من مكان''... إن أعظم ما دعا إليه النبي الكريم ﷺ طوال حياته كلها هو الآخرة، كما أن مائة وأربعة وعشرين ألف من الأنبياء الكرام (عليهم السلام) قد دعوا جميعهم إلى الحياة الباقية والسعادة الأبدية، وبشروا البشرية بها، وأثبتوا صدق دعواهم بما لا يحدّ من المعجزات والدلائل القاطعة. فلاشك أن جميع معجزاتهم وحججهم الدالة على نبوتهم وعلى صدقهم في دعواهم تشهد أيضاً على الآخرة والحياة الباقية التي هي أعظم وأدوم دعواهم...''[13] وفي مكان آخر يقول ''إن ربوبية صانع هذا الكون ورحمته الواسعة وحكمته السرمدية... تستدعي الآخرة قطعاً. كذلك القرآن الكريم بألوف آياته وبراهينه، وكذا الرسول الكريم محمد ﷺ بمئات من معجزاته وحججه، وكذا جميع الأنبياء المرسلين (عليهم السلام)، وكذا الكتب السماوية والصحف المقدسة بدلائلها غير المحدودة، تشهد جميعاً على الآخرة...''[14]

وهو يسمي ركب الأنبياء (عليهم السلام) بالقافلة الميمونة، وأنهم ''أولياء رب العالمين المرضيين عنده، وأن معارضيهم هم أعداؤه المبغوضين من مخلوقاته... نعم إن جميع المعارضين من أمثال قوم نوح وثمود وعاد وفرعون ونمرود قد تلقوا صفعات غيبية تشعر بالغضب الإلهي وعذابه. بينما نال الركب العظيم من أمثال نوح وإبراهيم وموسى (عليهم السلام) ومحمد ﷺ وأمثالهم من الأنبياء الكرام... المعجزات العظيمة والآلاء الربانية بصورة خارقة... مما يشهد بداهة على أحقية وصواب تلك القافلة المباركة وأنهم على هدى وعلى صراط مستقيم''.[15] فها هي ذي شهادة التاريخ بانتصار نوح وإبراهيم وموسى ومحمد (عليهم السلام)، وهزيمة خصومهم، تؤكد توحدّهم في مجابهة أعاصير الضلال وخروجهم منتصرين عليها. وهو يستنتج من إجماع الأنبياء (عليهم السلام) واتفاقهم على الحقائق الإيمانية نفسها على أن هذا إنما يمثل دليلاً قاطعاً على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته ''وهو شهادة صادقة أيضاً على صدق هذا النبي ﷺ وعلى رسالته، ذلك أن كل ما يدل على صدق نبوة أولئك الأنبياء (عليهم السلام)، وكل ما هو مدار لنبوّتهم، من الصفات القدسية، والمعجزات، والمهام التي اضطلعوا بها، توجد مثلها وبأكمل منها فيه ﷺ كما هو مصدّق تاريخاً. فأولئك الأنبياء قد أخبروا بلسان المقال -أي بالتوراة والإنجيل والزبور والصحف التي بين أيديهم- بمجيء هذه الذات المباركة وبشروا الناس بقدومه...''[16] كما أنه يستنتج من حقيقة أن جميع معجزات الرسول ﷺ وحججه التي تدل على صدق الأنبياء (عليهم السلام)، أو تحمل الآخرين على تصديقهم، انما تشهد على الحقيقة نفسها وهي الحشر ''وكذا شهادة الكتب المنزلة، التي رقّت الشهادة الصادرة من الرسل الكرام إلى درجة البداهة ووضحتها، تشهدان على الحقيقة نفسها...''[17]

وثمة التأكيد على أسماء الله الحسنى وتجلياتها ''لقد أدركت بتعليم الرسول ﷺ وفهمت من تدريس القرآن الحكيم: ان الكتب المقدسة جميعها، وفي مقدمتها القرآن الكريم، والأنبياء (عليهم السلام) جميعهم، وفي مقدّمتهم الرسول الأكرم ﷺ، يدلّون ويشهدون ويشيرون بالإجماع والاتفاق إلى أن تجليات الأسماء الحسنى ذات الجلال والجمال، الظاهرة أثارها في هذه الدنيا، وفي العوالم كافة، ستدوم دوماً أسطع وابهر في أبد الآباد، وأن تجلياتها ذات الرحمة وآلائها المشاهدة نماذجها في هذا العالم الفاني، ستثمر بأبهى نور واعظم تألق وستبقى دوماً في دار السعادة، وأن أولئك المشتاقين الذين يتحملونها -في هذه الحياة الدنيا القصيرة- بلهفة وشوق، سيرافقونها بالمحبة والودّ، ويصحبونها إلى الأبد، ويظلون معها خالدين''.[18]

والتأكيد كذلك على الأسس التي تقوم عليها وتبشر بها الأديان كافة، فان جميع ''ما دعت إليه الكتب والصحف السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم، وجميع الدعوات التي قام بها الأنبياء (عليهم السلام)، وفي مقدمتهم محمد ﷺ تدور على أسس ثابتة، وأركان معينة، ولقد سعى جميعهم لإثبات الأسس وتلقينها للآخرين. لذا فجميع الحجج والدلائل التي تشهد على نبوتهم وصدقهم متوجهة معاً إلى تلك الأسس والأركان مما يزيدها قوة وأحقية. وما تلك الأسس إلا الإيمان بالله، وباليوم الآخر، وبملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشرّه''.[19]

وهكذا يتضح تماماً أنه إذا ما أنكر المسلم ''أية حقيقة إيمانية كانت فانه يتردى إلى الكفر المطلق، إذ تسلسلت الأركان الإيمانية بعضها ببعض، وفصّل الإسلام ووضّح ما أجمل في الأديان الأخرى فالمسلم الذي لا يعرف محمداً ﷺ ولا يصدق به فلا يعرف الله سبحانه وتعالى (بصفاته) ولا يعرف الآخرة كذلك. فإيمان المسلم قوي ورصين إلى درجة لا يتزعزع أبداً ولا يدع مجالاً للإنكار قطعاً لاستناده إلى حجج كثيرة جداً، حتى كأن العقل يرضخ رضوخاً لقبول هذا الإيمان''.[20]

وهو يتحدث عن القانون الواحد الذي يحكم علاقات الأنبياء كافة بخصومهم من خلال تفسيره للآية الكريمة﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.البقرة:٦ إن هذه الآية تستهدف ''تهوين الشدة عن النبي ﷺ وتسليته بتأسيّه بالرسل السالفين. إذ خوطب أكثرهم بمثل هذا الخطاب، حتى قال نوح بعده ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.نوح:٢٦ ثم لأن آيات القرآن كالمرايا المتناظرة، وقصص الأنبياء كالهالة للقمر تنظر إلى حال النبي ﷺ، كأن هذا الكلام يقول: هذا قانون فطري إلهي يجب الانقياد له''.[21]

وحول مجابهة إغراءات الحياة الدنيا، والارتفاع عن سفاسفها يقف الأنبياء جميعاً، والنورسي ها هنا يشير إلى (مائة وأربعة وعشرين ألفاً منهم)، لكي يدلّوا على الطريق، ويأخذوا بأيدي الناس إلى ''كنوز السعادة الأبدية'' في الدنيا والآخرة، حيث تتصاغر إزاءها كل نداءات الحياة الدنيا الفانية، المنصرمة فإذا ''ما أعرض الشاب عن تلك الملذات المحظورة، الشبيهة بالعسل المسموم وضرب عنها صفحاً، وبادر إلى الحصول على ذلك الطلسم القرآني وهو الإيمان وأداء الفرائض، فان مائة وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء (عليهم السلام)، وما لا يعد ولا يصحى من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين، يخبرون ويبشرون بالاتفاق مظهرين آثار ما يخبرون عنه بأن المؤمن سيفوز ببطاقة تكسبه كنوز السعادة الأبدية''.[22]

أما المحور الآخر الذي يقف عنده النورسي طويلاً فهو البشارات الجمّة للأنبياء السابقين (عليهم السلام) وكتبهم المنزلة، بنبوة محمد ﷺ، وهي مسألة ذات بعد تاريخي، فضلاً عن بعدها الديني، ولذا سنقف عندها بعض الوقت.

إن إجماع الأنبياء (عليهم السلام) واتفاقهم على الحقائق الإيمانية نفسها والتي سبق وان عرضنا لها في المحور السابق ''هو دليل قاطع على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته، وهو شهادة صادقة أيضاً على صدق هذا النبي وعلى رسالته، ذلك أن كل ما يدل على صدق نبوة أولئك الأنبياء (عليهم السلام)، وكل ما هو مدار لنبوتهم من الصفات القدسية والمعجزات، والمهام التي اضطلعوا بها توجد مثلها وبأكمل منها فيه ﷺ، كما هو مصدّق تاريخاً. فأولئك الأنبياء (عليهم السلام) قد أخبروا بلسان المقال -أي بالتوراة والإنجيل والزبور والصحف التي بين أيديهم- بمجيء هذه الذات المباركة وبشروا الناس بقدومه ﷺ...''[23]

ولطالما ربط النورسي رؤيته للحقائق بتجربته الشخصية من أجل أن يعطيها مذاقاً أشهى، فنحن نجده -مثلاً- يحكي لنا عن إحدى هذه الخبرات التي يلتقي فيها الذاتي بالموضوعي بتكافؤ تام ''فبينما كان خيالي فرحاً جذلاً بالتمتع بلذة هذه الثمرة، إذا به يتسلم ثمرة من الثمار الوفيرة -الشبيهة بهذه- من الإيمان بالرسل (عليهم السلام)، فذاقها فعلاً، وأحسست تواً أن إيماني قد توّسع ونما وانبسط حتى أصبح كلياً شاملاً، إذ أشرقت لدى تلك الأزمنة الغابرة كلها واستضاءت بنور التصديق والإيمان به، حتى كنت اشعر كأنني أعيش معهم، وبات كل نبي من الأنبياء يصدق بآلاف التصديق على أركان الإيمان التي جاء بها ودعا إليها خاتمهم ﷺ، مما أخرس الشيطان وأسكته''.[24]

ثم هو يعود لتأكيد شهادات الأنبياء (عليهم السلام) وبشاراتهم برسالة محمد ﷺ:'' إن مشاهير البشر في الأزمنة الماضية، وفي مقدّمتهم الأنبياء الكرام (عليهم السلام)... قد أخبروا بالاتفاق عن مجيء محمد ﷺ وعن رسالته تلك الإخبارات التي تسمى (الإرهاصات) وهي صريحة ومكررة ومذكورة في كتب التاريخ والسير والحديث الشريف، بروايات صحيحة ومتواترة لقسم منها... فلقد ذكر في المكتوب التاسع عشر، عشرون آية تخص نبوة محمد ﷺ بما يقرب من الصراحة من مئات الآيات في الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور. ولقد سجل حسين الجسر في كتابه مائة من تلك الآيات التي تشير بنبوة محمد ﷺ رغم التحريفات الكثيرة التي طرأت على تلك الكتب من قبل النصارى واليهود...''[25] ويقول في مكان آخر: ''اعلم أن الاستقراء التام في أحوال الأنبياء مع الانتظام المطرّد المسمى بالقياس الخفي، ينتج

أن مدار نبوة الأنبياء وأساسها وكيفية معاملاتهم مع أممهم -بشرط تجريد المسألة عن خصوصيات تأثير الزمان والمكان- يوجد بأكمل وجه في محمد (عليه الصلاة والسلام) الذي هو أستاذ البشر في سنّ كمال البشر، فينتج بالطريق الأولى وبالقياس الأولوي أنه أيضاً رسول الله. فجميع الأنبياء بألسنة معجزاتهم كأنهم شاهدون على صدق محمد ﷺ الذي هو البرهان النيّر على وجود الصانع ووحدته''.[26]

لقد قصَّ علينا محمد ﷺ -مع أميته- بلسان القرآن الكريم ''قصص الأوّلين والأنبياء قصة من حضر وشاهد، وبيّن أحوالهم وشرح أسرارهم على رؤوس العالم في دعوى عظيمة تجلب إليها دقة الأذكياء. وقد قصَّ بلا مبالاة، وأخذ العقد الحياتية فيها وأساساتها مقدمة لمدّعاه، مصدقاً فيما اتفقت عليه الكتب السالفة، ومصححاً فيما اختلفت فيه. كانه بالروح الجوّال المعكس للوحي الإلهي طيّ الزمان والمكان، فتداخل في أعماق الماضي فبيّن كأنه مشاهد. فثبت أن حاله هذه دليل نبوّته وإحدى معجزاته. فمجموع دلائل نبوة الأنبياء في حكم دليل معنوي له، وجميع معجزات الأنبياء في حكم معجزة معنوية له''.[27]

وهو في تحليله لحقيقة محمد ﷺ ''تلك المجهزة بالرسالة والإسلام'' يؤكد المعنى نفسه ''فمن حيث الرسالة تتضمن شهادة أعظم إجماع وأوسع تواتر لجميع الأنبياء (عليهم السلام)، ومن حيث الإسلام تحمل روح الأديان السماوية كلها وتصديقها المستند إلى الوحي. فالرسول الكريم ﷺ يبيّن للبشرية جمعاء وجود الله ووحدانيته في جميع أقواله الصادقة المصدّقة بمعجزاته الباهرة، وبشهادة الأنبياء (عليهم السلام) وتصديق الأديان كلها. فهو ﷺ يظهر ذلك النور باسم المصطفين الأخيار من البشرية الذين اتحدوا في هذه الدعوة. ترى هل يمكن أن يتسلل الباطل إلى مثل هذه الحقيقة الباهرة التي تنال هذا القدر من التصديق، وتبصرها العيون النافذة في الحقائق، فتراها واضحة جلية خالصة لا شائبة فيها؟ كلا... ثم كلا''.[28]

وهو يتساءل: ''هل ظهر في العالم أجمع لهذه الأوصاف من سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام)؟'' وما يلبث أن يجيب: ''كلا بل هو أجمع وأكمل وأرفع وأفضل. فهو سلطان الرسل المظهرين المبلغين المعرفين المشهرين الدلالين العابدين المعلنين المرشدين الشاهدين المشهدين المشهودين المحبوبين المحبين الهادين المهديين المهتدين (عليه وعليهم أفضل الصلوات وأجمل التسليمات)''.[29]

ومن ناحية أخرى، حيث يعرف النورسي كيف يدير كاميرته لالتقاط الأوضاع كافة للحالة أو الحقيقة التي يتحدث عنها، نجده يؤكد إمامة الرسول الخاتم ﷺ للأنبياء

السابقين كافة، فكانه بذلك يجيء مصداقاً لما تنبأوا به وأثبتته كتبهم المنزلة حول مجيء رسول الله ﷺ لكى يختم دورة الأديان، ويطبع لمساته الأخيرة على بنيانها الموصول من لدن آدم عليه السلام وعبر خط طويل من الرسل والأنبياء. فالرسول ﷺ ''هو الشاهد الصادق المصدق والبرهان الناطق المحقق، سيد الأنبياء والمرسلين، الحامل لسرّ إجماعهم وتصديقهم ... ذو الشريعة التي هي أنموذج دساتير السعادات...''[30] وهو ''إمام الأنبياء (عليهم السلام) الذين هم شموس البشرية وروادها...''[31]وهو برفعه راية التوحيد على رؤوس الكائنات، وأنظار العالم يفصّل ما أجمله الأنبياء (عليهم السلام) ''ففي حقيقة التوحيد وقوته حقيقة نبوّته وحقّانيتها''.[32]

ويضرب النورسي مثلاً ''لو قيل لك أن الإمام الرباني أحمد الفاروقي، قدس سره، ساكن الآن في الهند، لاقتحمت المهالك وتركت الأوطان لزيارته. مع أن تحت اسم أحمد فقط ألوف نجوم حول شمس من في الإنجيل اسمه (أحمد) وفي التوراة (أحيد) وفي القرآن (محمد)، وتحت اسم محمد ملايين... فلابّد أن يكون نصب عينك دائماً (هذه الأساسات) وهي: إن كنت له تعالى كان لك كل شيء وإن لم تكن له كان عليك كل شيء''.[33] ثم هو يتحدث عن القرآن المبين ''المتضمن لإجماع كل كتب الأنبياء... وأكمل الخلق محمد الأمين (عليه الصلاة والسلام)، الحامل لسرّ اتفاق ذوي الأرواح النيرّة الصافية العالية من الرسل والنبيين''.[34]

وهو يقف عند مسألة الحشر فيرى ''أن خالقنا الكريم قد عين لنا أعظم معلم، وأكمل أستاذ، وأصدق قدوة وأقوم رائد ألا وهو محمد الهاشمي (عليه أفضل الصلاة والسلام). وقد أرسله خاتماً للرسل الكرام (عليهم السلام)... فكلتا المعجزتين - إحداهما لسان عالم الشهادة ومعها تصديق جميع الأنبياء (عليهم السلام)... والأخرى لسان عالم الغيب المتضمن جميع الكتب السماوية وجميع حقائق الكون- قد أقامتا الحجج على حقيقة الحشر والنشور... أما لم لم يوضح الأنبياء السابقون (عليهم السلام) مسألة الحشر لأممهم كما هو واضح في القرآن الكريم؟ فلأن عصورهم كانت عصور طفولة البشرية وبداوة الإنسانية، والإيضاح يكون وجيزاً في الدروس الابتدائية كما هو معلوم''.[35]

وهو يفسّر الآية الكريمة الرابعة من سورة البقرة﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾البقرة:٤ في السياق نفسه، فان عبارة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ أنك خلفهم وكل منهم سلفك. بسرَّ قاعدة (أن الخلف يأخذ تمام وظيفة السلف ويقوم مقامه) تشير بأنه إذا كان كل منهم سلفك، فأنت نائب الكل، ورسول جميع الأمم. نعم

لا يكون إلاّ كذلك! إذ الفطرة حاكمة له، والحكمة قاضية به، لأنه كانت أمم العالم الإنساني قبل زمان السعادة في غاية التباعد والاختلاف مادة ومعنى، واستعداداً وتربية، ما كفت لهم التربية الواحدة وما شملت الدعوة المفردة. ثم لما انتبه العالم الإنساني بزمان السعادة بعده، وتمايل إلى الاتحاد بمداولة الأفكار، ومبادلة الطبائع، واختلاط الأقوام، وتحري البعض عن حال البعض حتى تمخض الزمان بكثرة طرق المخابرة والمناقلة، فصارت الكرة كمملكة، وهي كولاية وهي كبلدة، واتصل الرحم بين أهل الدنيا، كفت الدعوة الواحدة والنبوة الفريدة للكافة...''[36]

ويعود لتأكيد مسألة الحشر بعشرة براهين، فأما ثامنها ''فهو لسان محمد عليه السلام الصادق المصدوق، ولقد فتح كلامه أبواب السعادة الأبدية، على أن إجماع الأنبياء من آدمهم إلى خاتمهم (عليهم السلام) على هذه الحقيقة حجة حقيقية قطعية على هذا المدى. ولأمر ما اتفقوا''.[37] ويختم مناقشته لمسألة الحشر بقوله: ''فبناء على هذه الحقيقة القاطعة، ينبغي الاّ يجلب إنكار آلاف الفلاسفة ومعارضتهم، أية شبهة ولا وسوسة أمام مخبر صادق في مثل هذه المسائل الإيمانية... فيا حماقة من يتلّوث بشبهة -مهما كانت- في أركان الإيمان بمجرد إنكار قلّة من فلاسفة ماديين تحدّرت عقولهم إلى عيونهم فلا يرون إلاّ المادة، بل ماتت قلوبهم فلا يشعرون إلاّ بالمعنويات، بينما اتفق على تلك الأركان مائة وعشرون ألفاً من المثبتين أولي الاختصاص من الأنبياء الصادقين... وأصحاب التحقيق العلماء''.[38]

وهو في تفسيره للآية الثامنة والعشرين من سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾الفتح:٢٨ يؤكد على أن هذه الآية تخبر إخباراً قاطعاً ''أن الدين الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ سيظهر على الأديان كلّها، علماً أن النصرانية واليهودية والمجوسية التي يعتنقها مئات الملايين من الناس كانت أدياناً رسمية لدول كبرى كالصين وإيران وروما، والرسول الكريم لم يظهر بعد ظهوراً تاماً على قبيلته نفسها... ولقد صدّق المستقبل هذا الخبر الغيبي بامتداد سيف الإسلام من بحر المحيط الشرقي إلى بحر المحيط الغربي...''[39] بمعنى أن الأنبياء، بإشاراتهم حول مجيء رسول الله الخاتم ﷺ لا يكتفون بذلك، بل يذهبون إلى ما هو أبعد... إلى أن هذا الدين سيظهر على الأديان كلّها، ولقد صدّق المستقبل هذا الخبر الغيبي بامتداد الإسلام بين المحيطين...

إنها الرحلة الواحدة التي بدأها آدم عليه السلام باختياره سيداً على العالمين، وأتمها وأنجزها محمد بن عبد الله باعتباره الرسول الخاتم الذي جاء لكي يتمم جهود الأنبياء من قبله ويضع اللمسات النهائية للدين الواحد الذي حملوا أمانته.

فإذا ما جئنا إلى (الأنبياء) الذين تحدث النورسي عنهم فإننا سنجده لا يسعى لأن يكون (مؤرخاً) يستقصي تفاصيل حياة كل واحد منهم، وإنما هو يسلّط ضوءه على (عينات) أو (حالات) من كفاحهم الموصول لإخراج الناس من الظلمات إلى النور... كما أنه لا يريد أن يقوم بتغطية شاملة للأنبياء كافة وإنما هو يختار من بينهم عدداً محدوداً يسعى من خلاله لتأكيد مرئياته واستنتاجاته المنبثة في رسائله المائة والثلاثين... وهؤلاء الذين سيتحدث عنهم هم: آدم وإبراهيم ويوسف ويونس وأيوب وموسى وعيسى، فضلاً عن تناوله لذي القرنين باعتباره قائداً إيمانياً تجيء معطياته في سياق كفاح الأنبياء لإحقاق الحق وإزهاق الباطل بشتى صنوفه وأشكاله.

عن آدم عليه السلام يكتفي بالإجابة على السؤال الذي يطرحه الكثيرون: ما الحكمة من إخراج آدم عليه السلام من الجنة ؟ وما الحكمة من إدخال قسم من بني آدم جهنم؟... ويكون الجواب: ''حكمته: التوظيف، فقد بعث إلى الأرض موظفاً، موكولاً إليه مهمة جليلة، بحيث أن نتائج تلك الوظيفة هي جميع أنواع الرقي المعنوي البشري، وانكشاف جميع استعدادات البشر ونمائها، وصيرورة الماهية الإنسانية مرآة جامعة للأسماء الإلهية الحسنى كلّها. فلو كان سيدنا آدم عليه السلام باقياً في الجنة لبقي مقامه ثابتاً كمقام الملك، ولما نمت الاستعدادات البشرية، بينما الملائكة الذين هم ذوو مقام ثابت مطرد كثيرون فلا داعي للإنسان إلى القيام بذلك النوع من العبودية. فاقتضت الحكمة الإلهية وجود دار تكليف تلائم استعدادات الإنسان التي تتمكن من قطع مقامات لا نهاية لها. ولذلك أخرج آدم من الجنة بالخطيئة المعروفة التي هي مقتضى فطرة البشر خلاف الملائكة. أي أن إخراج آدم عليه السلام من الجنة، هو عين الحكمة ومحض الرحمة، كما أن إدخال الكفار جهنم حق وعدالة. إذ أن الكافر إن عمل ذنباً في عمر قصير إلا أن ذلك الذنب ينطوي على جناية لا نهاية لها، ذلك لأن الكفر تحقير للكائنات جميعاً وتهوين من شأنها، وتكذيب لشهادة المصنوعات كلها للوحدانية، وتزييف للأسماء الحسنى المشهودة جلواتها في مرايا الموجودات، ولهذا يلقي القهار الجليل الكفار في جهنم ليخلدوا فيها أخذاً لحقوق الموجودات كلها منهم''.[40]

ففي إجابته الموجزة هذه يضع النورسي يده على المهمة العمرانية – الاستخلافية التي أنيطت بالإنسان في هذا العالم من أجل أن يمضي في تنمية الحياة وترقيتها، متلقياً

معالم الطريق من الكلمات أو المناهج التي يتنزل بها الأنبياء (عليهم السلام). وبالمقابل يبدو (الكفر) تحقيراً لهذا الكائن المتميز وتهويناً من شأنه، ولهذا يلقى الكفار في جهنم أخذاً لحقوق الموجودات كلّها منهم.

وعن إبراهيم عليه السلام يجيب النورسي على هذا السؤال: إن الخامس عشر من العمر يعدّ سّن التكليف، فكيف كان الرسول ﷺ، يتعبد قبل النبوّة؟ ويكون الجواب ''كان يتعبد بالبقية الباقية من دين سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي ظل جارياً في الجزيرة العربية تحت حجب كثيرة. ولكن التعبد هذا لم يكن على صورة الفرض والواجب بل كان تعبداً اختيارياً يؤدى ندباً ''.[41]

وثمة إجابة أخرى على سؤال آخر في السياق نفسه: هل كان أجداد الرسول ﷺ يدينون بدين في زمن الفترة؟ ويكون الجواب: ''هناك روايات تدل على أنهم كانوا يدينون ببقايا دين إبراهيم عليه السلام، بعد أن مرت بفترات الغفلة والظلمات المعنوية، وقد ظلت متعبد بعض الناس الخاصين، فلا ريب أن الذين انحدروا من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين شكلوا سلسلة نورانية أنتجت سيدنا الرسول ﷺ لم يكونوا مهملين للدين الحق ولم يقعوا في ظلمات الكفر، ولكن الآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾الإسراء:١٥ تبيّن أن أهل الفترة يكونون من أهل النجاة، فلا يؤاخذون بخطاياهم في الفروع، بالاتفاق، بل هم أهل نجاة عند الإمام الشافعي والإمام الأشعري، حتى لو وقعوا في الكفر وليس لهم أصول الإيمان، لأن التكليف الإلهي يكون ببعثة الرسل، ويتقرر التكليف بالاطلاع على البعثة. وحيث أن الغفلة ومرور الزمان قد سترا أديان الأنبياء السابقين، فلا تكون هذه الأديان حجة على أهل زمن الفترة، فإن أطاعوا يثابون، وإن لم يطيعوا لا يعذّبون لأنها لا تكون حجة ما دامت مستورة غير ظاهرة''.[42]

وعن يوسف عليه السلام يقف النورسي لاستلهام المعنى الدقيق لآية الختام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾،يوسف:١٠١ فيقول أنها ''تتضمن نكتة بليغة تبشر بالخير وهي معجزة في الوقت نفسه. وذلك أن الآلام والأحزان التي يتركها الزوال والفراق الذي تنتهي إليهما القصص الأخرى المفرحة والسعيدة، تنغّص اللذائذ الخيالية الممتعة المستفادة من القصة وتكدّرها، ولاسيما عندما يخبر عن الموت والفراق أثناء ذرة الفرح والسرور والسعادة البهيجة، فيكون الألم أشد حتى أنه يورث الأسف والأسى لدى السامعين. بينما هذه الآية الكريمة تختم أسطع قسم من قصة يوسف وهو عزيز مصر، وأقرّ الله عينه ولقي والديه وتعارف وتحاب هو وإخوته. وإذ تخبر الآية الكريمة عن موت يوسف في هذه الأثناء التي كان في ذروة السعادة والسرور، تخبر أن يوسف

نفسه هو الذي يسأل ربه الجليل وفاته لينال سعادة أعظم من هذه السعادة التي يرفل بها. وتوفي فنال تلك السعادة العظمى. بمعنى أن ما وراء القبر سعادة أكبر وفرحاً أعظم من هذه السعادة التي ينعم بها يوسف وهو الأنيس بالحقيقة. إذ طلب الموت المرّ وهو في ذلك الوضع الدنيوي المفرح اللذيذ كي ينال تلك السعادة العظمى هناك... إن أسطع حالة في الدنيا وأكثرها فرحاً وبهجةً وسروراً لم تورثه الغفلة قطعاً ولم تفتره بل هو دائم الطلب للآخرة''.[43]

وعن يونس عليه السلام يقف النورسي عند دعائه المؤثّر وهو في بطن الحوت: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾الأنبياء:٨٧ فيرى أنه يصبح له في تلك الحالة واسطة نجاة ووسيلة خلاص، وسرّ ذلك ''أن الأسباب المادية قد هوت كلياً في ذلك الوضع المرعب، وسقطت نهائياً فلم تحرك ساكناً ولم تترك أثراً، ذلك أن الذي يستطيع أن ينقذه من تلك الحالة، ليس إلا ذلك الذي تنفذ قدرته في الحوت، وتهيمن على البحر، وتستولي على الليل وجو السماء، حيث أن كلاً من الليل الحالك والبحر الهائج والحوت الهائل قد اتفق على الانقضاض عليه، فلا ينجيه سبب، ولا يخلصه أحد، ولا يوصله إلى ساحل السلامة بأمان إلاّ من بيده مقاليد الليل وزمام البحر والحوت معاً، ومن يسخر كل شيء تحت أمره، حتى لو كان الخلق أجمعين تحت خدمته عليه السلام ورهن إشارته في ذلك الموقف الرهيب، ما كانوا ينفعونه بشيء...''[44]

ومع أيوب عليه السلام يقف أيضاً عند مناجاته المؤثرة وهو يعاني من المرض العضال﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾...الأنبياء:٨٣ ''إنه عليه السلام ظل صابراً ردحاً من الزمن يكابد ألم المرض العضال، حتى سرت القروح والجروح إلى جسمه كله، ومع ذلك كان صابراً جلداً يرجو ثوابه العظيم من العلي القدير. وحينما أصابت الديدان الناشئة من جروحه قلبه ولسانه اللذين هما محل ذكر الله وموضع معرفته، تضرع إلى ربه الكريم بهذه المناجاة الرقيقة... خشية أن يصيب عبادته الخلل، ولم يتضرع إليه طلباً للراحة قط، فاستجاب الله العلي القدير تلك المناجاة الخالصة الزكية استجابة خارقة بما هو فوق المعتاد، وكشف عنه ضرّه وأحسن إليه العافية التامة وأسبغ عليه ألطاف رحمته العميمة...''[45]

وهو يعود لمتابعة تحليله للمناجاة فيقول، معلقاً على الحديث النبوي الشريف (ما من مسلم يصيبه أذى إلاّ حات الله عنه خطاياه كما يحات ورق الشجر)[46] ''وهكذا فإن سيدنا أيوب عليه السلام لم يدع في مناجاته لأجل نفسه وتطميناً لراحته، وإنما طلب كشف

الضرّ من ربّه عندما أصبح المرض مانعاً لذكر الله لساناً، وحائلاً للتفكر في ملكوت الله قلباً، فطلب الشفاء لأجل القيام بوظائف العبودية خالصةً كاملة...''[47]

فإذا ما انتقل إلى موسى عليه السلام فانه يرى في قصته من العبر والدروس ''بقدر ما في عصاه من الفوائد، إذ فيها تطمين الرسول ﷺ وتسليمه له، وتهديد الكفار، وتقبيح المنافقين، وتوبيخ اليهود، وما شابهها من المقاصد. فلها إذن وجوه كثيرة جداً. لذا كررت في سور عدة. فمع أنها تفيد جميع المقاصد في كل موضع إلاّ أن مقصداً منها هو المقصود بالذات، وتبقى المقاصد الأخرى تابعة له...''[48]

ثم هو يعود في مكان آخر ليلقي المزيد من الأضواء على قصة موسى عليه السلام تلك التي ''تكررت كثيراً في القرآن الكريم، (إذ أن في كل جملة منها، وفي كل جزء منها إظهاراً لطرف من دستور كلي، ويعبر عن ذلك الدستور. منها الآية الكريمة﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾،غافر:٣٦ يأمر فرعون وزيره: ابن لي برجاً عالياً لأطلع على أحوال السماوات وانظر هل هناك إله يتصرف فيها كما يدعيه موسى عليه السلام؟ فبكلمة (صرحا) تبين الآية الكريمة بحادثة جزئية دستوراً عجيباً وعرفاً غريباً كان جارياً في سلالة فراعنة مصر الذين ادعوا الربوبية لجحودهم الخالق وإيمانهم بالطبيعة، وخلدوا اسمهم لجبروتهم وعتوهم، فشيدوا الأهرام المشهورة، كأنها جبال وسط صحراء لا جبال فيها، ليشتهروا بها، وحفظوا جنائزهم بالتحنيط واضعين إياها في تلك المقابر الشامخة، لاعتقادهم بتناسخ الأرواح والسحر. ومنها قوله تعالى﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾،يونس:٩٢ والخطاب موجه إلى فرعون الذي غرق، وفي الوقت نفسه تبين الآية ما كان للفراعنة من دستور لحياتهم، مذكر بالموت، مليء بالعبر، وهو نقل أجساد موتاهم بالتحنيط من الماضي إلى الأجيال المقبلة لعرضها أمامهم وفق اعتقادهم بتناسخ الأرواح، كما تفيد الآية بأسلوب معجز إشارة غيبية إلى: أن الجسد الذي اكتشف في العصر الأخير هو نفسه جسد فرعون الذي غرق، فكما ألقي به إلى الساحل في الموضع الذي غرق فيه، فسيلقى به كذلك من بحر الزمان فوق أمواج العصور إلى ساحل هذا العصر. ومنها: قوله تعالى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾البقرة:٤٩ فانه في حادثة ذبح بني إسرائيل واستحياء نسائهم وبناتهم في عهد فرعون، يبين الإبادة الجماعية التي يتعرض لها اليهود في أكثر البلدان وفي كل عصر، والدور المهم الذي تؤديه نساؤهم وبناتهم في حياة السفاهة للبشرية وتحلل أخلاقها. ومنها: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾البقرة ٩٦ ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾المائدة:٦٢ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾المائدة:٦٤

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾الإسراء:٤ ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.البقرة:٦٠ هذان الحكمان القاضيان في حق اليهود -الحرص والفساد- يتضمنان هذين الدستورين العامين المهمين، اللذين يديرهما أولئك القوم في حياة المجتمع الإنساني بالمكر والحيل والخديعة، فالآية تبين: أنهم هم الذين زلزلوا الحياة الاجتماعية الإنسانية وأوقدوا الحرب بين الفقراء والأغنياء بتحريض العاملين على أصحاب رأس المال. وكانوا السبب في تأسيس البنوك بجعلهم الربا أضعافاً مضاعفة، وجمعوا أموالاً بكل وسيلة دنيئة بالمكر والحيل، هؤلاء القوم هم أنفسهم أيضاً انخرطوا في كل أنواع المنظمات الفاسدة ومدّوا أيديهم إلى كل نوع من أنواع الثورات، أخذاً لثأرهم من الشعوب الغالبة ومن الحكومات التي ذاقوا منها الحرمان وسامتهم أنواع العذاب. ومنها: ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾البقرة:٩٤-٩٥ فالآية تبين بعنوان حادثة جزئية وقعت في مجلس صغير في الحضرة النبوية الكريمة، من أن اليهود الذين هم احرص الناس على حياة وأخوّفهم من الموت، لن يتمنوا الموت ولن يتخلوا عن الحرص على الحياة حتى قيام الساعة. ومنها ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾.البقرة:٦١ تبين الآية بهذا العنوان مقدرات اليهود في المستقبل بصورة عامة وحيث أن الحرص والفساد قد تغلغل في سجاياهم وتمكن من طبعهم فالقرآن الكريم يغلظ عليهم في الكلام ويصفعهم صفعات زجرٌ عنيفة للتأديب. ففي هذه الأمثلة، قس بنفسك قصة موسى عليه السلام وحوادث وقعت لبني إسرائيل وقصصهم''.[49]

وأما عن عيسى عليه السلام فان النورسي يمحض وقفات أطول لمناقشة عدد من الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وما تعرّضت له من تحريف، وأولى تلك الوقفات تقدم جواباً قاطعاً على ما يسميه النورسي ''بأهل البدعة الذين يغيرون الشعائر الإسلامية ''ويطلبون'' فتوى من علماء السوء لتسويغ عملهم ''تلك البدعة التي استوحوها فكراً مشؤوماً من الانقلابيين الأجانب وهو أن أوربا لم يعجبها مذهب الكاثوليك فالتزم الثوار والانقلابيون والفلاسفة قبل الناس مذهب البروتستانتية الذي كان يعد من البدع والاعتزال، حسب مذهب الكاثوليكية، وقد استفادوا من الثورة الفرنسية فهدموا قسماً من الكاثوليكية وأعلنوا البروتستانتية. فأدعياء الحمية هنا في هذه البلاد، وقد اعتادوا التقليد الأعمى، يقولون: (لما كان هذا الانقلاب قد حدث في الديانة النصرانية، وقد عد الانقلابيون في بداية الأمر مرتدين) ثم قبلوا أيضاً نصارى، فيمكن أيضاً أن يحدث في الإسلام انقلاب ديني كهذا''.[50] ويجبيهم النورسي: ''إن الأسس الدينية في النصرانية قد أخذت وحدها عن سيدنا عيسى عليه السلام، بينما أكثر الأحكام التي تعود إلى

الحياة الاجتماعية والفروع الشرعية قد وضعت من قبل الحواريين وبقية الرؤساء الروحانيين، وأخذ القسم الأعظم منها من الكتب المقدسة السابقة. لأن سيدنا عيسى عليه السلام لم يتولّ الحكم والسلطة، ولم يكن مرجعاً للقوانين الاجتماعية العامة، فلذلك أخذت القوانين العرفية والدساتير المدنية باسم الشريعة النصرانية، وكأن أسس دينه قد ألبست ثياباً من الخارج وأعطيت لها صورة أخرى. فلو بدّلت هذه الصورة وغيّر ذلك الثياب، فان أسس دينه لا تتبدل ولا يؤدي هذا الأمر إلى تكذيبه وإنكاره. بينما سيدنا الرسول ﷺ الذي هو صاحب الدين والشريعة الإسلامية هو فخر العالم وسيد العالمين، وأصبح لكل من الشرق والغرب والأندلس والهند عرشاً من عروش سلطانه، فكما أنه قد بين بذاته أسس الإسلام، فان فروع ذلك الدين ودساتير أحكامه، بل حتى أصغر أمر جزئي من آدابه هو الذي أتى به، وهو الذي يخبر عنه وهو الذي يأمر به، بمعنى أن الأمور الفرعية في الشريعة الإسلامية ليست على صورة لباس وثياب قابلة للتغيير والتبديل بحيث لو بدّلت لظلت أسس الدين ثابتة، بل إنها جسد تلك الأسس وفي الأقل جلدها. إذ قد امتزجت والتحمت معها بحيث لا تقبل التفريق والفصل. وان تبديلها مباشرة يؤدي إلى تكذيب صاحب الشريعة وإنكاره''.[51]

ينتقل النورسي بعدها لمناقشة ودحض فرية أخرى تتعلق بتقدم الأمم الغربية بعد انسلاخها عن الدين، وأحرى أن تلحق بهم الأمم الإسلامية فيرى ''أن أهل البدع لأجل تبرير إلحادهم وخروجهم على الدين يجدون هذه الوسيلة، إذ يقولون: لقد شن هجوم على القسس والرؤساء الروحانيين ومذهب الكاثوليكية، الذي هو مذهبهم الخاص، وتم تخريب هذا المذهب في أحداث الثورة الفرنسية التي أدت إلى سلسلة من حوادث في عالم الإنسانية. ثم استصوب هجومهم هذا من قبل الكثيرين وترقى الإفرنج بعد ذلك كثيراً. لكن الفرق في هذا القياس -كسابقه- فرق ظاهر جداً، لأن النصرانية، ولاسيما مذهب الكاثوليك قد استغله رجالات الدولة وخواص الناس كأداة للتحكم والاستبداد، فكان الخواص يديمون نفوذهم على العوام بتلك الوساطة، حتى أصبحت وسيلة لسحق أصحاب الهمم والحمية من العوام الذين كان يطلق عليهم اسم (الفوضويين والدهماء)، وباتت وسيلة لسحق المفكرين من دعاة الحرية الذين كانوا يتصدون لاستبداد الخواص ومظالمهم. بل قد عدّ ذلك المذهب هو السبب في سلب راحة الناس وبث الفوضى في الحياة الاجتماعية، بسبب الثورات التي حدثت في بلاد الإفرنج طوال ما يقارب أربعمائة سنة، لذا هوجم ذلك المذهب باسم مذهب آخر للنصرانية لا باسم الإلحاد، ونما السخط والعداء عليه لدى طبقة العوام ولدى الفلاسفة، حتى وقعت تلك الحادثة التاريخية المعروفة. بينما في الإسلام لا يحق لأي

مظلوم كان ولا لأي مفكر كان أن يشكو من الدين والشريعة الإسلامية، لأن هذا الدين لا يسخطهم بل يحميهم، وهذا تاريخ الإسلام بين أيدينا... ثم إن الإسلام قد أصبح حصناً حصيناً للعوام أكثر منه للخواص، إذ لا يجعل الخواص مستبدين على العوام بل يجعلهم خادمين لهم -من جهة- وذلك بوجوب الزكاة وتحريم الربا... فضلاً عن أنه يستشهد بالعقل وينبهه بإحالة كثير من الأمور -في القرآن الكريم- إلى العقل ويحثه على التدبر والملاحظة بقوله تعالى (أفلا يتفكرون... أفلا يتدبرون... أفلا تعقلون) فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل بهذا مقاماً رفيعاً باسم الدين ويوليهم أهمية خاصة، فلا يعزل العقل ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى، كما هو في المذهب الكاثوليكي".[52]

ويمضي النورسي في مناقشته للموضوع إلى القول "بأن أساس النصرانية الحاضرة -لا النصرانية الحقة- وأساس الإسلام يفترقان في نقطة مهمة، لذا يسلك كل منهما طريقاً مغايرة لطريق الآخر في كثير من الجهات الشبيهة بالفروق السابقة، وتلك النقطة المهمة هي: أن الإسلام دين التوحيد الخالص، يسقط الوسائط والأسباب عن التأثير، ويهوّن من شأن أنانية الإنسان، مؤسساً العبودية الخالصة لله وحده، فيقطع دابر كل نوع من أنواع الربوبيات الباطلة ويرفضها رفضاً باتاً بدءاً من ربوبية النفس الأمارة. لذا لو أصبح أحد الخواص متقياً لأضطر إلى ترك الأنانية والغرور، ومن لم يترك الأنانية والغرور يتراخ في التدين، بل يدع قسماً من أمور الدين. أما في النصرانية الحاضرة فلقد ارتضت عقيدة البنوّة، لذا تعطي للوسائط والأسباب تأثيراً حقيقياً، ولا تقاوم الأنانية باسم الدين، بل تمنحها نوعاً من القداسة وكأنها وكيل مقدس عن سيدنا عيسى عليه السلام. ولأجل هذا فان خواص النصارى الذين يشغلون أرفع المقامات الدنيوية يستطيعون أن يكونوا متدينين تديناً كاملاً ومنهم الكثيرون من أمثال (ولسون) وهو الرئيس الأسبق لأمريكا، و (لويد جورج) رئيس الوزراء الأسبق لإنكلترا، فهؤلاء أصبحوا متدينين كأي قسّ متعصب لدينه... ثم أن النصارى العوام الذين عانوا البلايا والمصائب وقضوا شطراً من حياتهم في السجون، لم ينتظروا العون من الدين ولم يرجوا منه شيئاً، فكان أكثرهم -في السابق- يضلّون ويلحدون... أما في الإسلام فان الأكثرية المطلقة ممن أفنوا عمراً في السجون وقاسوا البلايا والمصائب ينتظرون العون والمدد من الدين بل يصبحون متدينين..."[53]

ويختم النورسي مناقشته للموضوع بالردّ على مقولة أهل البدع بأن التعصب الديني هو سبب تأخرنا عن اللحاق بركب الحضارة، وأن مواكبة العصر إنما تتم بترك

التعصب، ولقد تقدمت أوربا بعد تركها التعصب: ''إنكم مخطئون، وقد انخدعتم، وغرّر بكم، أو تغرّرون بالناس وتخدعونهم. إن أوربا متعصبة بدينها، فلو قلت لشخص بلغاري اعتيادي أو لجندي إنكليزي، أو لشخص سفيه فرنسي: البس العمامة أو تلقى في السجن، لقال لك بمقتضى تعصبه: إنني لا أهين ديني، ولا احقر أمتي بمثل هذه الإهانة والتحقير حتى لو قتلتموني. ثم ان التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلاّ وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلاّ تدنوا. بينما النصرانية خلاف هذا... فأي مصلحة يا ترى يجنيها أهل البدعة هؤلاء بالخروج على الدين؟ فان كانوا يرومون منه أمن البلاد واستتباب النظام فيها، فان إدارة عشرة من الملحدين السفلة الذين لا يؤمنون بالله، ودفع شرورهم أصعب بكثير من إدارة ألف من المؤمنين. وإن كانوا يرغبون في الرقي الحضاري فان أمثال هؤلاء الملحدين مثلما يضرون بإدارة الدولة فهم يعيقون التقدم أيضاً، إذ يخلون بالأمن والنظام وهما أساسا الرقي والتجارة. وفي الحقيقة هم مخربون بمقتضى مسلكهم وأن أحمق الحمقى في الدنيا هو من ينتظر من أمثال هؤلاء الملحدين السفهاء الرقي وسعادة الحياة ...''[54]

والنورسي ينهي بحثه عن النصرانية بقوله أنها ''سوف تلقي السلاح وتستسلم للإسلام سواء بالانطفاء أو بالاصطفاء، فلقد تمزقت النصرانية عدة مرات حتى انتهت إلى البروتستانتية، وتمزقت البروتستانتية فاقتربت من التوحيد، وهي تتهيأ للتمزق مرة أخرى. فإما أنها تنطفئ وينتهي أمرها، وإما أن تجد تجاهها الحقائق الإسلامية الجامعة لأسس النصرانية الحقة ومبادئها، فتستسلم. وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا السرّ العظيم بأنه: سينزل عيسى عليه السلام وسيكون من أمتي ويعمل بشريعتي''.[55]

* * *

الهوامش

[1] الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر إسطنبول– ١٩٩٢ م، ص ١١٨ – ١١٩.

[2] المرجع نفسه ص ٤٦٨.

[3] المرجع نفسه ص ٥٣٥ – ٥٣٦، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، إسطنبول– ١٩٩٣ م، ص ٣١٣.

[4] الكلمات ٥٦٩.

[5] المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، إسطنبول– ١٩٩٢ م، ص ٥٢.

[6] الشعاعات، ص ٣٠٤.

[7] المرجع نفسه ص ٦٥١ – ٦٥٢.

[8] اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، إسطنبول– ١٩٩٣ م، ص ١٢٧.

[9] المكتوبات، ص ٥١٠.

[10] الشعاعات، ص ٤٢.

[11] المرجع نفسه، ص ٦٥.

[12] المرجع نفسه، ص ٢٣٤.

[13] المرجع نفسه، ص ٦٣٩.

[14] المرجع نفسه، ص ٦٤٥.

[15] المرجع نفسه، ص ١٣١.

[16] المرجع نفسه، ص ١٦٩.

[17] المرجع نفسه، ص ٢٣١.

[18] المرجع نفسه، ص ٢٣٣.

[19] المرجع نفسه، ص ٣٠٠.

[20] المرجع نفسه، ص ٣٣٠ – ٣٠١.

[21] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، إسطنبول– ١٩٩٤ م، ص ٦٧.

[22] الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، إسطنبول– ١٩٩٥ م، ص ١٧٧.

[23] الشعاعات، ص ١٦٩.

[24] المرجع نفسه، ص ٣١٩.

[25] المرجع نفسه، ص ٦٦٤.

[26] إشارات الإعجاز، ص ١٦٥.

[27] المرجع نفسه، ص ١٦٨.

[28] المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، دار سوزلر للنشر، إسطنبول– ١٩٩٤ م، ص ٤٢١ – ٤٢٢.

[29] المرجع نفسه، ص ٨٨.

[30] المرجع نفسه، ص ١٠٧.

[31] الشعاعات، ص ٢٦٥.

[32] المثنوي العربي النوري، ص ٣٠٩.

[33] المرجع نفسه، ص ٢٣٢.

[34] المرجع نفسه، ص ١٠٠.
[35] الشعاعات، ص ٢٧٥.
[36] إشارات الإعجاز، ص ٦٠.
[37] المرجع نفسه، ص ٦٤.
[38] الشعاعات، ص ٢٦٧.
[39] اللمعات، ص ٤٢.
[40] المكتوبات، ص ٥٠ – ٥١.
[41] المرجع نفسه، ص ٣٦٣.
[42] المكتوبات، ص ٤٩٧.
[43] المكتوبات، ص ٣٦٦.
[44] اللمعات، ص ٦-٧.
[45] اللمعات، ص ١٠.
[46] رواه البخاري: كتاب المرضى والطب.
[47] اللمعات، ص ١٧.
[48] الكلمات، ص ٤٥٦.
[49] الكلمات، ص ٤٦٤ – ٤٦٦.
[50] المكتوبات، ص ٥٦٠.
[51] المرجع نفسه، ص ٥٦٠ – ٥٦١.
[52] المرجع نفسه، ص ٥٦١ – ٥٦٢.
[53] المرجع نفسه، ص ٥٦٢ – ٥٦٣.
[54] المرجع نفسه، ص ٥٦٤ – ٥٦٥.
[55] المرجع نفسه، ص ٦٠٢.

ملامح من منهج التدليل والاستقراء في رسائل النور

الملخص

أ.د. عشراتي سليمان[1]

اهتم البحث بمنهج الرسائل، فكانت رسائل تدريب على حركية ذهنه ترتحل بالمتلقي إلى آفاق غير متوقعة، وهو جعل خطاب النورسي مميّزا بمستواه البرهاني، المجسّد لشخصية المقاوم، المستند إلى التدليل بالجنس الأدنى، وهو في الوقت نفسه عالم ايكولوجي متبتل، مفكّك، يستهويه الاستقراء، ويوثر التواصل مع البيئة ومن حوله، وهو في ذلك مستصحب للخطاب القرآني ، مستندا إليه في الردّ الفلاسفة العبثيين، مؤسسا استنبطانه على جامعية ألفاظ القرآن، ومع الرغبة الملحّة في بيان يتورّع عن ذكر الشبهة دفعا للخطاب العفيف، لأجل إيجاد فاعلية الاستنباط العقلي، فكانت رسائل النور تمرّسا منهجيا وتطبيقيا بالقراءة الجادة والحضور العقلي القلبي لتيسير تلق بالقرآن ومعانيه السامقة، وفي ذلك أقصر طرق اكتشاف قابلية اقتحام الإشكالات الشائكة.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الاستقراء، التدليل، رسائل النور، النورسي.

* * *

Inference and Induction in the Risale-i Nur: The Main Features of Its Method

Abstract

Prof. Dr. Ashrati Sulaiman

This research study focuses on the methodology of evidence followed in the Risale-i Nur. The Risale-i Nur for its reader is practical passages that induce activation of one's mental abilities. the Risale takes its readers to new unexpected horizons. Nursi's argument in the Risale is distinctive in its level of evidence. It reflects the personality of its writer as a resistor who basis his

statements on giving proofs. At the same, the writings show Nursi's personality a believing ecologist who adores induction and prefers keeping a relationship with environment around him. Nursi, through the Qur'an and relying on its discourse, refutes allegations of chaotic philosophers in a way that induces intelligent argument, reasoning and derivation. Thus, the Risale-i Nur is a methodological and practical discourse that induces hearts and minds of its readers in order to openly understand the message of Qur'an and its devine meanings. This approach is a shortcut to detect the possibility of breaking into thorny problems, and challenges and resolve them.

Keywords: Methodology, Induction, Evidence, Risale-i Nur, Nursi.

* * *

منهج الرسائل

مما لاشك فيه أن النورسي الذي طالما أكد الصبغة الاستلهامية للرسائل وكَوْنُها ظاهرةً إبداعية تتم في أغلب الأحيان في صورة خطرات وانبثاقات وجدانية تخرج عن إرادته وتتمنع عن سيطرته، قد أكد لنا من صدد آخر المنحى التأملي الذي يميز هذه الرسائل، إذ هي تنشأ على هيئة أفكار غير محددة الملامح، ثم لا تلبث أن تتطرد في وجهة لا يلبث المتلقي أن يستبين فيها المرامي المتوخاة، والغاية المبتغاة.

''إن رسائل النور تخالف الكتب الأخرى، إذ تستهل البحث بشيء من الإبهام الذي قد يخفى على القارئ ويغمض عليه، إلا أنها تتوضح تدريجيا، وتكشف عن معانيها رويدا رويدا''...[2]

ويرسم النورسي المدْرَجَ الذي تسير عبره مصادراتُه العقلية للقضايا والأفكار، فيقرر أن الموقف النوري -بما هو موقف نجوى- إنما يسير إلى غايته من مَعْبَر المراجعة اللجوئية (الشكاة) ويسميها المحاكمة الشعورية، ثم إلى مقام المعاملة الإيمانية وعرض الحيرة والبوح بالغصة، ثم إلى المحاورة القلبية حيث ينتهي إلى اللحظة الشهية، فيظفر بلحظة سعيدة تَنَزُّل عليه فيها قطرات الشفاء...

ما أكثر ما تلاطمت الشجون والأحوال على صعيد المتن في رسائل النور، حيث دأب النورسي يقابل بين أعراض الابتئاس وسوانح الابتهاج، بحيث أضحت الرسالة جلسة أو برنامجا من جلسات التحليل النفسي التي تفتش البواطن، وتحل العقد، وتورث البرء.

لا تودي بالإنسان تأزماتُ الغريزة بل تأزمات الروح... والنورسي حلاَّل ماهر لعقدٍ لبثْ تنفثها الفلسفات المادية وتَخْرِفُ بها النفس عن الجادة، فبدل أن تتزكى، تتدنس.

لذا كله طفق الخطاب النوري ينضح بقطرات الشفاء يتعهد بها المرضى وفق منوالية حكيمة نفاذة تصيب هدفها...

إنه يتصدى للنفس، ويتحسس تشنجاتها، ويواجهها بمادة تنفذ إلى الخلايا، تُطَرِّي الروح، وتمنح الراحة، وتورث العافية، وتتحول بالنفس من حال إلى حال.

ولما كان النورسي يدرك ما للرسائل من فعل تغييري، راح يعير حجم الجرعات عنايته، فبقدر ما زاد من الجرعات، بقدر ما كان الأثر مفيدا.

إن استيفاء مساحة اللوحة التدَبُّرية يحقق للنفس فرصة التخفف من عنائها، فالنص يتحول إلى كائن موضوعي، إلى آخر، حي، نافذ، يخترق الحواجز ليصل إلى النفس المهزوزة، ويتلطف في مداواة الجروح.. الموقف النوري -هو كما القنوت- مجلس للترويح، للتسرية، للتخلص من الاحتقانات المعنوية بكامل الحكمة والتبصر والمشاركة...[3]

لم يتعاط النورسي فن التسرية من موقف الاقتناع بأن النفس المصابة تعدم كل منطق وتتهافت على كل ما يُلقَى إليها من قول أو نصح أو موعظة..

النورسي نفساني جبار، من أول نظرة يدرك العلة، وعلى الفور ينصرف ذهنه إلى وصف العلاج، هاديه في ذلك القرآن، وهو يتميز عن الحكماء التقليديين بكونه لا يكتفي قط بإحالة على مألوف المستحضرات الوعظية المتوارثة، ولكنه يُجهِّز لكل حالة مرهمها، ويستخلص لكل داء دواءه من صيدلية القرآن...

ولن تجد رؤيته تنحسر في تشخيص الأحوال الآحادية، فهو لا يُجَزِّئُ المسألة الوجودية مهما كانت خصوصيتها وتفردها، كلا، إنه يعاين العلل في إطارها الإنساني العام، فتراه يقتلع الأدواء النفسية والروحية من جذورها لأنه يستخدم الترياق الفعال الذي يستهدف مداواة أصول العلل، لا أعراضها.

أجل إن ديْدَنَ كثيرٍ من محترفي الوعظ هو استظهار القرآن في وجه كل نازلة وضيق، إنهم يفعلون ذلك بالاعتباط والارتجال الذي يُفقِدُ القداسةَ سرَّها، ويزيل عن الكلمة روحها... عكس النورسي الذي لا يعرض على الناس إلا ما ثبت لديه فعاليته بالتجريب... هناك نية انخراطٍ خالصة وانغمارٍ روحي حقيقي يجعلان النورسي يظهر في عصر الناس هذا قطبا صديقيا لا يبارى.

من هنا كان تَفَوُّقُهُ في مضمار علاج الروح، ومن هنا جاءت وصفاته صالحة لأن تؤخذ في كل بيئة.

لم يحجز الوازع الديني بينه وبين أتباع الديانات الأخرى أو المنتسبين إلى حضارات غير حضارته، ولم تقطعه أنواع النقار القائم بين الأمم عن التحاور معها، إذ طفق ينظر إلى الإنسان كأخ في الآدمية، بغض النظر عن نحلته وصبغته... ذلك لأن النورسي يجزم بأن الروحانية قاسمٌ إنسانيٌّ كينونيٌّ، وأن الإنسان مجهز بقابلية التدين فطرة، فهو على نحو ما متدين حتى وإن شذ عن الدين، إذ الاستعداد الجبلي الغيبي في الإنسان مكين، والإنسان لا ينفك عن التسبيح حتى وإن غفل العصاة عن تنشيط هذا النزوع فيهم، فلذلك راعت الوصفةُ النورية التركيز على البعد الروحي، وتعاطت العلاجات من هذا الاعتبار، فكان لها كل هذا النجاح.

حركية ذهنه ترتحل بالمتلقي إلى آفاق غير متوقعة

من خصائص حركة ذهنه أنه ينفذ بك إلى زاوية غير متوقعة، حتى حين ينفذ معك إلى محيط واقعة استعارية أليفة.

فهو حين يخبرك أنه راجع آية (حسبنا الله...)، وأنها أشارت إليه بأن يستدل على الطريق إلى معناها بالتساؤل عن كنه الجمع الذي يحيل عليه ضمير الجماعة (نا) في الفعل (حسبنا)... إن هذا البيان الذي ينطلق منه النورسي يجعل القارئ يتوقع بداهة أن يكون ضمير (نا) مُعَبِّراً عن جموع الأوابين من العباد المتوسلين إلى الله... لكن النورسي يخرج بك عن دائرة هذا التوقع، فيحيلك إلى جموع أخرى، من أجناس أخرى لا يلتفت إليها الذهن في هذا السياق التدليلي الملح الذي يفترض فيه أن يكون الشاهد قريبا من اليد، فبدل أن تسمع النورسي يبين لك أن المحتسبين هم الصالحون الأتقياء المؤمنون المستغفرون اللائذون بالله من العباد، تسمعه يقول لك: نعم هكذا أمرتني الآية، فنظرتُ.. فإذا بي أرى طيورا محلقة لا تحد، وطويرات صغيرة صغيرة جدا كالذباب لا تحصى (انظر إلى الجرأة الذوقية، وكيف ساغ له أن يقدم من الأجناس الذباب، وهو ما هو من حيث استقذار النفس له) وحيوانات وحوينات لا تعد، ونباتات لا تنتهي، وأشجارا وشجيرات لا آخر لها ولا نهاية...[4]

إن فطنة الإقناع هي التي جعلت النورسي يطرح أمامك هذا الشاهد الذي أبعدك عن أفق انتظارك، إنه بهذا الإبعاد ضَمِنَ على الأقل مكسبين بحجة واحدة، إذ جعلك توسع نظرتك فتتقبل أنواع العجماوات والجمادات ضمن دائرة الأمم المسبحة الحامدة الممجدة للرب... إنها حقيقة ماثلة أمامنا لكننا لغفلتنا نجهلها أو لا نتدبرها، وهو من جهة أخرى يجعلك تكتشف بنفسك حدود الواجب الذي أنت ملزم به حيال خالقك، إذ يجعلك تحس بالتقصير في علاقة الاحتساب مع الخالق، إذ تنتبه فجأة إلى

أن المخلوقات الأتفه والأقل اعتبارا في القيمة الحياتية قياسا بما للإنسان من منزلة، لا تكف عن الاحتساب، هي المسخرة، المحرومة من كثير مما يتمتع به الإنسان المكرم بنعمة العقل وبإمكانات الانجاز والابداع...

مزايا خطاب النورسي:

لعل أبرز ما يُمكِنُ الحُكْمُ به على مدونة النورسي، أنه عصرن الصورة التعبيرية، وارتحل بالخطاب الديني بعيدا نحو التحديث والموضوعية، وخصَّب أسلوب الوعظ وجعله يرقى إلى صعيد المقاربة العقلية والطرح العلمي.. لقد أدمج الخطاب الإسلامي في أرضية الواقع، وأوصله بثقافة المدنية الصناعية، وفتَّحه على المشاركة في حل الهموم الفكرية العالمية، وابتعد به عن نبرة الانغلاق والاستضعاف التي أوقعته فيها عهود الانحطاط والتقهقر الحضاريين...

المستوى البرهاني

يبني النورسي برهانه العقلي على مبدأ المقايسة، مقايسة الغائب على الشاهد... وهذه المقايسة تصح فيما يخص فرضيات النورسي لأنه يقايس كونا بكوْن مترابطين، يُعَدُّ أحدُهما امتداداً للآخر، وليس يقايس جزئية من نوع ما على جزئية من نوع مفارق، لأن النورسي يعتقد يقينا أن هذا الكون المشهود بحياته وآجاله المقيدة، يُكمِّله كونٌ عضوي، مغيَّب، له هو أيضا حياته وآجاله لكنها سرمدية (آجال الحياة مقيدة، وآجال الغيب مطلقة لأنها تتعلق بعالم الأرواح، فيما عالم المادة يتم استهلاكه وفناؤه في ردهات هذه الحياة الدنيا)، والنورسي يؤمن أن وراء هذا النظام الوجودي الدنيوي قوة مسيطرة تتصرف بمنتهى الدقة والكمال، لأن منطق الصدفة لا يصمد أمام بهارة هذا النظام الكوني، فالنورسي يقيم رؤيته الوجودية على أساس الإيمان، لأنه وجد - بالعقل- أن ما قرره القرآن من حقائق الغيب يتلاءم تمام الملاءمة مع ما يحدسه الحس السليم وراء معطيات هذا الوجود.

فما دام الكون يسير من غير ما عبثية تشوب انتظام كلياته وجزئياته، وما دامت السنن لا تتعطل ولا تخرج عنها أيةُ ظاهرة ما في أي عصر أو مصر، فذلك يعني أن وراء الشهود سنداً مهيمنا، جبارا، لا يمكن إلا أن يكون فردا في سلطانه، شموليا في إدارته، صارما في إرادته...

النورسي المقاوم

لا يفتأ النورسي يبيّن المسار الذي التزمه وهو يرمم جدار المعنويات في نفسه، وهكذا نتبين مداومته على العودة إلى الله واللجوء إلى العاصم القدسي، يلوذ به من كل ما يتهدد روحيته.

النورسي والصالحون عموما، يتّقون الضربات بسواعدهم لا لأجل حفظ الذات وصون النفس، ولكن دفاعا عن المبادئ التي يعتقدونها والشريعة التي يؤمنون بها، فهم لذلك يسترخصون النفس في سبيل العقيدة، وإرادة البقاء تقترن بإرادة الجهاد عن المبدإ، فحياتهم من ثمة حياة موصولة بالرسالة والهدف، ولذلك ترى النورسي مُخَيّما أبدا أمام باب الحضرة، وتراه دائما على عنفوان وعزة، لأن الروح تستمد اعتدادها ومَنَعَتها من خالقها، فهي موقنة بأن من يجاور العزيز لا يلحقه ضيم ولا حيف...

من جهة أخرى نراه يعول على خطة التجييش الذاتي،[5] إذ فَطَرتْه الحياةُ منذ الصبى على مبدأ الصمود، فلذلك شبَّ لا يعتمد على سند -إلا السند الروحي- ولا يعتد بعصبية إلا عصبية الذات وبسالتها في المقاومة ودحر العدوان... وإن من مظاهر المدافعة لديه استنفار القوة الروحية والزجُّ بها في المعركة وفق منهج حربي يقوم على تكتيك مطاولة الخصم، ودحره بما يُوَجِّه له من ضرباتٍ معنوية، وما يلحقه به من خسائر استراتيجية... جل المعارك الكبرى خاضها النورسي -شأن كافة الأخيار- وهو في المعتكف (جبهة القتال المتفجرة)، يدير المعركة ويحرك الفيالق ويدفع بالتعزيزات... القرآن قوته الصاعقة، والدعاء أحد أشرس ألويته، والابتهال مظلته الجوية التي تدك الخطوط، والتسليم والاحتمال احتياطه وقاعدته الخلفية...

ثم هو يبرع في عملية الانسحاب، ليس الانسحاب في حربية النورسي إلا مرحلة دقيقة تهيئ للانقضاض والوثوب من جديد، وحين تهدأ النار على الجبهة تشتعل في داخل النفس، فلذلك نرى النورسي يتفنن في إحكام الحوار مع نفسه... لا يعدد الخسائر، إنما يرفع تقارير الاحتساب للخالق، ليس طمعا في نيل نياشين الاعتراف، إنما أمَلا في تحصيل الرضى.

التدليل بالجنس الأدنى

لا يميز النورسي بعقله الإيماني بين الكائنات، فهو قد نظر إليها جميعا من منظور العبودية، عبوديتها للخالق، واعتبرها جميعا تؤدي وظيفة التسبيح، واعتبر الإنسان على قمة السُّلَّم بينها، لِما تهيأ له من ميزة العقل والإنسانية، فالإنسان متجانس مع المخلوقات الأخرى في الجانب المادي، متميز عنها في الجانب الروحي، وأن الجامع

بينهما هو خصوصية المعبودية والطاعة، لذا طفق النورسي لا يفارق في مقارباته بين الأجناس والأنواع، الإنسان والحيوان والنبات والجماد كلها كائنات مؤمنة، ولذا استمر النورسي في عقد المقابلة بين المخلوقات، مقوما مستوى خضوعية كل جنس، متوخيا لفْتَ النظر لحقيقة تغفل عنها الأنظار، وهي تسليم الكائنات -على نحو أو آخر- لرب الكون بالربوبية، وفي ذلك ترشيد يسعى النورسي من خلاله أن يلقن دروس الإيمان لمن لا إيمان له. فلذلك لَبِثَ يستدعي أنواع الكائنات لأجل الاحتجاج على ربوبية الخالق، موازنا بينها وبين الإنسان، من حيث الانقياد والخضوع الإيماني، إذ أن فنية التذكير، من خلال التسديد نحو الجنس الأدنى، تحسِّس الجنسَ الأعلى بالمسؤولية، وتدين تقصيره، وتهديه من ضلاله، وتنزل حيرته الوجودية...[6]

عالم ايكولوجي متبتل

النورسي عالم بيئة، وسيلته الملاحظة والاستقراء، واستخلاصاته المستقاة من الطبيعة والمشهد الايكولوجي تتحول دائما في فكره إلى مادة إثبات وأساس الاستدلال... فالنظر إلى الكائنات في فصائلها وتنوعاتها يجعله يدرك أنها جميعا من منشإ عضوي واحد، وأن البيوض المتشابهة والحبوب المتشاكلة هي حقل عجيب للاختلاف، إذ يتولد منها أنواع الأجناس والكائنات من طيور ونباتات وأشجار وجماد، وكل جنس يتفرع إلى مئات الآلاف من الألوان والأشكال... ولا يزال النورسي يلحظ كل ذلك ويسجله، وينتشي بتحصيله، ويكشف عنه بكامل الشموخ والحشمة.

التفكيك

هناك إجرائية تفكيك يجريها النورسي على صعيد البنية ويفاعل بها الخطاب القرآني.

فجملةُ ''حسبنا''[7] في قوله تعالى ''حسبنا الله ونعم الوكيل'' توضع على المشرحة، ويتركز العمل على جزئها المحوري (نا) ضمير الفاعل، فهذا الضمير في حس النورسي هو إحالة تستوعب جموع المخلوقات العجماء قبل أن تكون جموع الكائنات البشرية العاقلة... لماذا هذا الترجيح للأجناس الصماء على الناطقة أو بالأصح لِمَ يتم إدماج تلك الجموع العجماء وإشراكها في شأن تعبدي يتأدى بالعقل والقصدية الإرادية الواعية؟

والجواب ببساطة هو أن النورسي يستشعر وجود جملةَ المخلوقات من حوله، ويرى ماهية الربوبية تتحقق في كل عنصر ومَعْلَمٍ يمْثُل أمام ناظريه، وشارة الربوبية

مودعة في كل الكائنات الحية، فلا غرابة أن نرى النورسي يستخدم عبارة (ذوي الأرواح، ذوي الحياة) رفعا لشأن أجناس العجماوات وإقرارا للدور التعبدي الذي تجسده على ذلك النحو الصامت (لنتذكر سماعه تسبيح القطة على مخدته)... ولا غرابة أيضا أن يتصور لتلك الأجناس العجماء وظيفة تسبيحية على شاكلة وظيفة التكليف عند الإنسان...

ثم يمضي التفكيك فيستخرج النورسي (أنا) الفرد من (نا) الجماعة... ثم يتركز التحليل على (أنا)، فهناك عملية تجزيئ للمعطى الخطابي بنيةً ومعنىً تقتضيه خطة التحليل ليتم التوضيح ويتَأَتَّى سحْبُ النتيجة وتعميمها على المقام... هذا التعميم هو الهدف الذي يتوخى بلوغه منهج الاستدلال لتغدو به الأحكام قوانين ومسلمات...

فالنورسي الذي صوَّب نحو عالم الأشياء (بذور وبيوض متشاكلة تُوَلِّدُ أجناسا لا متناهية التنوع والاختلاف)، يتحول بنظره إلى عالم العقلاء فيدرجهم في قانون الخلق والتكوين الإلهي، خلوصا إلى الإقرار بالربوبية، بالوحدانية...

هناك استقراء تصاعدي تنازلي، بدأ بجنس العجماوات، وانتهي بجنس النواطق، فظهر أن القانون الذي يسري عليهما واحد.

هناك زاوية خفية تظل دائما غائبة عن منطق وبداهة القارئ في ما يسوقه له النورسي من شواهد ومُوَضِّحات، هذه الزاوية -حين ينيرها النورسي- تجعل المُوَضِّحة تتحول فجأة من كونها شاهدا عاميا وعظيا، إلى عَيِّنة فكرية وإشكالية بالغة الدقة والإقحام... استمع إليه مثلا يتحدث عن نعمة الجوارح، إذ يقول ''شق سمعي وبصري، ووضَعَ دماغا في رأسي، وقلبا في صدري، ولسانا في فمي...''، إلى هنا يظل القول مسوقا على نحو بديهي لا ميزة له، بل نحس أن الأولى لو أن النورسي ساق آية﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ...﴾البلد:٨-٩ فهي أعرب عن الخاطر، لكن النورسي يستمر في القول ''...خلق في ذلك الدماغ... مئات الموازين الدقيقة والمقاييس الرقيقة ''... وهنا يجد القارئ نفسه يتحول إلى أفق لافت، لأن الخطاب من خلال تصعيده الكشفي (موازين دقيقة ومقاييس رقيقة)، يشدنا حتما إلى منطقة الظل في ما نحمله من تصورات عن الأشياء والظواهر فينا ومن حولنا، إذ نظرتنا الإدراكية الاعتيادية غالبا لا تتعدى مستوى السطح والأوَّلية، فيما النفاذ إلى الحقيقة يستوجب أن يتعدى النظر السطح إلى الغور، وذاك هو بالضبط ما يتحقق للنورسي، إذ طفق في ما يكتب ويحلل، يسلط الضوء على الكوى الخفية في الأشياء المعتادة لدى الناس، فلبث يقدم لهم على ذلك النحو الجانب الجوهري الغائب عن تصوراتهم في كثير مما

يعيشون ويلابسون، الأمر الذي دأب يطبع أفكاره بالجدة والجدية والغنى والنفاسة والمردودية...

لا يخرج قارئه خائبا مِن حيثما فاعله، فأنت تتلقى خطابا عامرا بالفائدة، كاشفا عن جهد مثمر لبث النورسي يتجشمه في غوصاته واستجلاءاته التأملية، وفي روحاته وغدواته الملكوتية.

في المثال السابق لم يكتف النورسي بالإعراب عما لتلك الفعاليات والحواس من دقة سماها الموازين والمقاييس، بل مضى في تشخيص كُنْهِ تلك (الجوارح)، فعرَّف وظيفتها، إذ أنها ''تتمكن من أن تزن وتتعرف على جميع هدايا الرحمة...'' وواضح أن تعبير (هدايا الرحمة) هنا تعبير يرشح بالإيمان، فهو يجري على لسان النورسي في موقف امتناني سافر، لأن النورسي قد أدرك في تلك الأجهزة الربانية اللطيفة ما قد لا يدرك غيره، فهو إذن تعبير نابع من مشاعر حالية ومقامية. وهو من جهة أخرى تعبير يعرب عن علاقة التراحم التي تربط النورسي بعباد الله ومخلوقاته، فلذا نظر إلى ما يمنحه الله لهم من أفضال على أنه هدايا، وفي اختيار لفظ الهدايا للتعبير إقرار بالابتهاج على تكريمية الخالق لجنس الآدميين وإعلاء منزلتهم، ولفظ الهدايا من جهة أخرى يترشح حمدا وشكرا واعترافا بالأفضال التي مَنَّ الخالقُ بها على العباد... وهو لفظ -في المحصلة النهائية- يوعز بحس المسؤولية، مسؤولية تذكير الناس، لأن النورسي ظل في ما يقول ويكتب يعرب عن واجب الحمد والشكر لله، وإلى ذلك كله فإنه كان يدلي بشهادة ترى أن هناك لطفا إلهيا يتجسد في المكرومية التي شمل بها الخلق...

إن هذا التمادي في التعريف بالشيء هو الجانب الإقناعي المؤثر في المقال الترشيدي النوري، لأن النورسي يرتحل بالحواس والمدارك إلى منطقة الظل، فيجلي ما في الأشياء والموجودات من معان معبرة، ويبرز ما لها من مقومات غير مدركة، ومدى فاعليتها، فهو إذا ما حدثك عن الشجرة فإن تسديده -قبل أن يكلمك عن الثمرة- يتوجه نحو الأصول والجذور وعن الثرى وما تحت الثرى قبل أن يشمل كلامه الفروع والجذع والغطاء الورقي... ثم إن حديثه عن الجذور لا يكون ذا جدوى ما لم يربط بين التربة (الطين) الذي حوى البذرة أول أمر، والحمإ الذي تخمرت فيه وهي تنفلق وتنشق عن عرق يكون بمثابة حبل صرة لها تتغذى به البنية، وعرق آخر يعلو فيغدو ساقا فجدعا وفروعا وطلعا نضيدا... بل إن ضربة الحسم في خطة العرض عند النورسي تتوخى بلوغ ذروة لا تكون في الأغلب إلا مشخصة لنوع من المفارقة تنبني عليها قاعدة الاحتجاج والبرهان والإقحام، فالحديث عن الشجرة لا يستكمل غايته إلا

إذا انتهى مساق الكلام إلى الثمرة، وإلى الربط بين لذاذة طعمها وزكاوة شمها وعذوبة لونها، وبين طبيعة منبتها المفارقة لكل ذلك (بذرة متفسخة في قاع من الحمإ المسنون)...

هكذا يبني النورسي أفكاره الإثباتية، يغوص إليها، ويمفصل التفرعات والجزئيات، ثم يعقلن مواطن التنافر الظاهر والنشاز الحسي الماثل بين النتيجة والمقدمات، ملامسا البعد الغيبي الذي تنبني عليه الأشياء، متجاوزا سُلَّمِية الاستكشاف التي ينتهي عندها الوضعانيون، حين ينتهون بأفكارهم إلى الحد الذي تنتهي عنده حواسهم، فهم لذلك يؤلِّهون الأسباب، فيما النورسي يجعل من سقفية الأسباب مجرد محطة تنتهي عندها البصيرة الحسية البشرية، وتبدأ بعدها بصيرتهم الروحية، فيرون بالروح علة أَمَاً، هي القوة المهيمنة على كل فاعلية سببية في هذ الوجود... من الطين والحمإ تنتج أزكى الروائح... ومن البقعة الواحدة تنبت آلاف الأنواع، بالمزن الواحد تتخرج كافة الأزياء النباتية والأجناس المتساكنة في صعيد واحد، فالخالق واحد والمصنع واحد ومباركته المسجلة واحدة هي ك.ن. (كن فيكون).[8]

النورسي والتواصل مع البيئة من حوله

يكاد الدارس المتعجل أن يربط -ووفق نظرية الانعكاس- ظاهر نصوص النورسي مع بيئة إنتاج هذه النصوص... بين البيئة الطبيعية الجميلة بل الساحرة التي تقلَّبَ فيها النورسي أثناء عقود من جهاده ونفيه، وبين الخلابة التي تميزت بها شعريته وتأصلت لخطابه...

حقا لقد شاع بيننا القول القائل (الفن ابن بيئته) وسار مسار المسلَّمة، غير أن التأمل الجاد في العلاقة الخفية القائمة بين نصوص الرسائل ومناخ بيئتها حيث تولدت، يبين أن البيئة الطبيعية لم تكن دائما الشرط المنعكس الجمالي والاعتباري لمادة الرسائل، وإنما الذي ينعكس هو ما ورائية تلك الطبيعة وموعزاتُها وتوهجاتُها الروحية، بدليل وجود هذا اللفْحِ القوي الذي يسري إلى القارئ من ثنايا السطور، لَفْحٌ يُنسيه ما يجد من نعومة المناظِر الطبيعية والمرئيات الفيزيكية التي يستدعيها النورسي ويصنع منها نصوصه وينسج عليها أفكاره...

الطبيعة حاضرة بقوة في الرسائل، والعاطفة التي يسبغها النورسي على الأشياء والألحان النابعة من تلك الطبيعة لا تقف عند حدِّ التغزل بالجمال الحسي كما هو شأن الحسِّيِّين عادة، بل إن العاطفة ترحل بالضمير إلى ما هو أعمق وأبعد من الديكور، إلى الروح الكلية التي تفيض على الكون وعلى ما يعمره من موجودات حسية ومعنوية

وتعطيها ماهيتها الإيمانية الملموسة.. هناك روحانية في الرسائل تظهر بالقوة حينا، وبالفعل أحايين، هي التي تعقد الصلة بين القارئ وبين الرسائل، وتجعله يستكشف على الدوام فيها الجديد، والمقنع، والمعبر.

الخطاب القرآني

''..الخطاب القرآني هو من الجمالية الرفيعة بحيث يكون غذاء وقوتا في ذات الوقت''.[9]

لابد أن يُبصر القارئ الأريب في كثير مما طفق النورسي ينعت به البيان القرآني من خصائص ويستشفف فيه من مزايا ونبوغ، نعوتا وخصائص تنطبق بنحو أو آخر على أسلوب الرسائل النورية ذاتها.

فحين يؤكد النورسي ''أن البيانات القرآنية مؤثرة ورقيقة ومؤنسة ورفيعة حتى إنها تملأ الروح شوقا والعقل لهفة والعين دمعا''[10] فإنما يعبر -بنحو ما- عن خصائص أسلوبه هو، إذ أن الرسائل لم تتأثر بالقرآن قلبا فحسب، بل لقد تأثرت به قالبا أيضا، إذ انْشَدَّتْ إليه بعد أن سحرها، واتبعت نهجه المتفوق بعد أن بهرها، فورثت عنه شيئا من صفاته.

إن القارئ الخبير يتبين بسهولة تبطين القرآن للرسائل، إذ فوق كل سياق نوري تزدهر حقيقة قرآنية وتتجسد لمحة فرقانية.. والذي لا ريب فيه أن مواطن عدة من النصوص النورية تتشح بهذه الخاصية القرآنية الاستلائية، فهي على الدوام نصوص تصعد من تحسيساتها الفكرية والقلبية بحيث تَأَتَّى لها أن تواجه القارئ بعطاياها الغزيرة وبكل ما يملأ ''الروح شوقا والعقل لهفة والعين دمعا''، ولا إخال أن هناك قارئا لم ترتعش نبرتُهُ تأثرا بمعاني الرسائل المستلهمة من معين القرآن، ولم تتنَدَّ عيناه تجاوبا مع ما ينفلت أحيانا من مشاعر تحرِّكُ في النفس مكامن الشفقة والرحمة والتعاطف والتضامن مع مؤلفها رحمه الله.

القرآن والفلاسفة العبثيون

يعترف النورسي أن ''القرآن الكريم مثلما أجرى من بحر علومه؛ علومَ الشريعة المتعددة الوفيرة، وعلومَ الحقيقة المتنوعة الغزيرة، وعلومَ الطريقةِ المختلفة غير المحدودة، فانه أجرى كذلك من ذلك البحر بسخاء وانتظام؛ الحكمة الحقيقية لدائرة الممكنات، والعلومَ الحقيقية لدائرة الوجوب والمعارف الغامضة لدائرة الآخرة''.[11] وضمن نطاق هذه الدوائر دأب النورسي على الحركة وتفعيل العقل، واستجلاء مكامن

العبرة والنور في القرآن، ليشيد صرح رسائله، معتبرا عمله ذلك تفسيرا للقرآن واستمدادا لأسراره.

جامعية ألفاظ القرآن...

يقرأ آية من لفظين () بأكثر من عين وأكثر من عقل، إذ يرى أن الخطاب القرآني هو حمولة من الفوائد، وكل فرد ينال حصة على قدر ملكاته واستعداداته... وهذا قانون تثبته نظرية التواصل. إنما الطريف اللافت عند النورسي هو هذا التعدد في المستويات الذي استطاعت ذهنيته أن تستشفه في الآية القرآنية وتقرأه بها... حتى ليمكننا القول إن للنورسي ذهنية سبرية، متعددة المرايا (Polyvisuelle)، تستوعب طبقات من المعاني في الأرضية الواحدة، وأن عينَهُ تنفذ إلى أركيولوجية الدلالة وتخترق طبقاتها... بل إن النورسي بهذا النفاذ الإدراكي يكشف عن عقلية عارفة بفوارق نفسية الآخرين، وأن هذه المعرفة هي ما أهّله لبلوغ هذا التفوق والتوفيق ليس فقط في فهم الروح الإنسانية، ولكن في تجهيز خطابه بمقومات توصيلية تيسر من عملية تداول أفكاره بين الناس، وتقوي من فرص رواجها بين الأوساط المختلفة...

طالما أكد النورسي على تعدد أصوات الخطاب القرآني، إذ طفق يلمس في الآية الواحدة تعدد مستويات معناها ليس لأن اللفظ القرآني له قابلية حمل المعنى وضده، ولكن لأن ''القرآن جاء مُكَلِّماً، متوجها إلى أصناف متعددة متباعدة من المخاطبين... بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب وحده بالأصالة''،[12] لقد وعي النورسي أنه ''ما دام الخطاب القرآني الكريم خطابا أزليا يخاطب به الله سبحانه وتعالى مختلف طبقات البشرية المصطفة خلف العصور، ويرشدهم جميعا، فلابد أنه يدرج معاني عدة لتلائم مختلف الأفهام، ويضع أمارات على إراداته هذه''.[13]

يقرأ النورسي مثلا آية ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾يس:٣٨ فيرى أن (لام الجر) فيها يتضمن معناه الغائي ويتضمن أيضا معنى رديفا هو (في) (=في مستقر لها...)،[14] ليس هذا وحسب، بل نراه يقرؤها على أوجه أخرى منها أن حرف الجر (ل) هو رديف للعلة، أي أن الشمس تجري بعلة الاستقرار.

كما نراه يرى أن الآية تبطن معنى رمزيا يجعل من الشمس شجرةً ثمارُها المجرات ومجاميع السيارات من حولها... أو أن الشمس سيدٌ في حلقة ذكر يدير مجلس وجْدٍ، فمتى صمتَ بردت الجلسةُ، وتعطل تيار الانجذاب...

هكذا يُخرِّج النورسي الآية من خلال إدراك إحاطي، فيجد عقل القارئ فيها ليس معنى واحدا -ملقى على الطريق، يقع عليه نظر العجمي والعربي- ولكن معاني جميلة، تستشف من زواياها المختلفة، تتساوق كلها مع المنطق العقلي، وتعزز من رجاحة الإقناع والاعتبار التي توخى القرآن ترسيخهما من وراء منهج التدليل الحسي الذي اتبعه في طائفة كبرى من حججه.

نرى النورسي يتناول آية ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾البقرة:٥ فيراها تختزل الكلام وتختصره لأجل أن يتسع معناها ويستوعب مساحة من أصناف الفاعلين،[15] حيث إن لفظ ﴿المفلحون﴾ يستجمع أطيافا من المرشحين لنيل الفلاح الأخروي... لذا جاء اللفظ مطلقا من غير تحديد شرطية الفلاح... فلم يحدد الكيفية ولا الوسيلة ولا السببية التي ينال بها الناس مقام الفَلاحية..إذ هو مقام يَحصل عليه الإنسان بكيفيات وعطاءات شتى... فالآية سكتت عن الحصر، لتوسع من أفق الخدمة وتنوع من إمكانات التوسل والعبادة أمام المؤمنين... هكذا يأتي الاجتهاد النوري سمحا، فاسحا المجال في وجه التوبة والسعي والتوسل وعدم الوقوع في مغبة القنوط ومزلق الإحباط.

الخطاب العفيف

لتأكيد طبع العفة في أخلاقياته، نراه يقرر أنه يتورع عن ذكر الشبهة، ويجسد ذلك فعلا في المواطن كلها، مبررا ذلك التجنب لذكر الشبهات بالحرص على ألا تلحق ذهن المتلقي المسلم شائبة الفسوق والعصيان، فهو يسوق للمتلقي ما يحفظ فيه البكارة الشعورية الطاهرة ''أما الشبهات فقد أجيبت عنها أجوبة قاطعة من دون ذكر الشبهة نفسها وذلك لئلا تتكدر الأذهان''.[16]

وإذا كنا قد وقفنا من قبل عند سمة الاستحياء التي تطبع خطاب النورسي في مواطن الإعراب الامتناني ومواقف الإفصاح الحميمي، فلا بد من تسجيل صفة أخرى تتجانس مع الأولى من حيث النبل امتاز بها النورسي، نقصد بها عفة الخطاب... فصون الوجه وصون اللسان من أمارات الرهافة الإيمانية التي تبلغها الروح حين تسير على طريق الحق وتنشد درجات الصديقية.. ليس طهر الجسد وحده مطلوبا بالنسبة للمتقين، إنما طهر اللسان والجنان كذلك... والكتابة -مثل مجالس الأنس والترفيه تماما- كثيرا ما تجتذب أصحابَها نحو التجوزاتِ، فتستميلهم إلى اللغو واللهو، بل وإلى التفحش، ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ... إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾.الشعراء:٢٢٤، ٢٢٧

الإنسان يماثل الشجرة

- حياة الشجرة لها تاريخ[17] هو هذه الأطوار والتحولات والإثمارات والاحتباسات التي تمر بها... فهي لا إرادة حرة لها، مع كونها حية ومتطورة وذات شخصية مستقلة عن إرادتنا نحن البشر، ووجه التشابه بين الشجرة والإنسان أن للإنسان مثلها حافظةً سُطِّر عليها بقلم القدر تاريخُ حياته، وكذا الشجرة تحمل في نواتها فهيرس تاريخها وحياتها.

والإنسان هو ثمرة شجرة الخلقة، فهو ترقٍّ نهائي تهيأ ليجسد أثمن القيم وليؤدي أسمى الوظائف: العبودية لله.

وإن جِهةَ التشابه بين الإنسان والثمرة، أن كليهما هو نتاج مخاضٍ نوعيٍّ مفارقٍ لأصله ومصدر تَخَلُّقِه، فالثمرة لا تشبه في شكلها ولا في مذاقها شكلَ ومذاق شجرتها، وكذا الإنسان، لا يتصف بمادة تخلقه الأصلية: الطين.

وجهة التفاوت بين الإنسان والحيوان، أن الحيوان يأتي إلى الدنيا وكأنه قد اكتمل في عالم آخر. فيرسل إليها متكاملا حسب استعداده، فيتعلم في ظرف ساعتين أو يومين أو شهرين جميع شرائط حياته وعلاقاته بالكائنات الاخرى وقوانين حياته... أما الإنسان يقدِم إلى الدنيا وهو محتاج إلى تعلم كل شيء وإدراكه..فوظيفة الإنسان الفطرية هي التكمل ''بالتعلم'' أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء... وأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى، كما أن أسَّ هذا الأساس هو الإيمان بالله جل وعلا''.[18]

أهل الحقيقة طبقات ثلاث والنورسي أحد هذه الطبقات

-يعدد طبقات أهل الحقيقة، ويُبَيِّن السبل التي يسلكونها لنيل الحقيقة، إذ هم ثلاث طبقات ونحدس- دون تردد أن النورسي يوجد ضمن إحدى تلك الطبقات، أي ''الذين يصلون إلى الحقيقة سريعا بالإيمان والقرآن والفقر والعبودية''.[19] فمنهجه الروحي وفلسفته الإيمانية منصوص عليهما في الرسائل، ولا يمكن للقارئ أن يخطئ في تحديد ملامحهما ومرتكزاتهما... علما بأن النورسي يشارك الأصناف الأخرى في ما أخذوا به من سبل ووسائل لبلوغ الحقيقة... فهو ينتمي من بعض الوجوه إلى أهل الحقيقة الماضين إليها بالمجاهدة بتزكية النفس وإعمال العقل... وهو أيضا ينتمي إلى أولئك السائرين إلى الحقيقة بتصفية القلب والإيمان والتسليم، وهو أيضا من ''الذين يتحرون الحقيقة بالعلم والحكمة والمعرفة...''[20]

على أنه قطعا ليس من الذين حصروا السلوك إلى الحقيقة في استدلالهم، ولم يدَعوا الأنانية والغرور... بل إنه يحذر أن يقع المرء في ما وقع فيه هذا الصنف الذي اعتدَّ بعقله ولم ينوِّرْ مداركه بروح الشريعة.

فاعلية الاستنباط العقلي

- يتناهى خطابه في تثمير فاعلية الاستنباط العقلي، فهو -مثلا- بدل أن يقول: التفكير عبادة، نراه يدرج مسعى العبادة ضمن منظور (الأجْرية الفطرية) الذي أصَّلَهُ للخدمة، إذ يجعلنا ندرك أن اللذة المتحققة من أداء الفعل الفطري هي جزاؤه العيني الحاضر، إذ كل فعل يقوم به الإنسان وفق ضوابط الشريعة -حتى الشهوة الحلال- إنما يؤجر عليها،[21] فالإنسان ينقاد لكثير من الواجبات بالباعث الفطري، ذلك لأن النزعة الآدمية قد ركب الخالق فيها قابلية السعي، وشَرَطَهُ بالباعث الغريزي وزرع حافز اللذة في النفس الإنسانية بل وفي روح كل حي، بما في ذلك الحيوان والنبات، إذ لا تتفتح الزهرة إلا لتعرب عن ضرب من الالتذاذ.. إن فعل تكاثر الأجناس مثلا-بما في ذلك جنس الإنسان- إنما يتم من خلال آلية طلب اللذة وبحافزية الباعث الذي يحمل كل كائن حي على إشباع الباعث الفطري، وبذلك تستمر الحياة وتتوسع.

فاللذة بحسب النورسي هي الجزاء العاجل الذي يتلقاه الفاعل الحي وهو ينهض بالفعل، زيادة عما رصد الخالق له -لقاء ذلك- من جزاء آجل هو الثواب الأخروي.[22]

من هذا المنطلق يغدو العقل نفسه حاسة أو جهازا ينتصب على صعيد واحد مع الحواس الأخرى: العين والأذن والفم والأنف، ويتهيأ مثلها للمأجورية العاجلة، إذ أن تَلَذُّذَ هذه القدرات بما تصيب من طيب أو متعة أو هارمونيك أو جمال أو يقين إنما يُعَدُّ أجرة فورية تهيأت لها عن طريق الجِبلَّة وفق اقتضاء إلهي عادل.. وفي هذا السياق يرى النورسي أن العبادة هي حق يقتضيه الخالق من عباده جزاء ما تكرم به عليهم من نعم "يا نفس إن وظائف العبودية وتكاليفها ليست مقدمة لثواب لاحق، بل هي نتيجة لنعمة سابقة"...[23]

بل إننا نرى النورسي يذهب بهذه الرؤية المنطقية في اتجاه ميتافيزيقي إعلائي تتقلص به المسافة بين الحياة الدنيوية والأخروية، وتغدو حوادث الأولى امتدادا للآخرة مع فارق النوعية طبعا: الفاكهة التي تأكلها في الدنيا وتذكر عليها الحمد لله، تتجسم في الجنة فاكهة فردوسية وتقدم لك لذة طيبة.[24]

فقه الحروف يفيد في بناء مواقف الاعتدال

ينسحب التحسس العقلي عند النورسي على المجال اللغوي أيضا، حيث نراه يظهر اقتدارا جليا في فقه قيم الحروف والمحددات اللغوية البسيطة، فتمرسه بمعاني الحروف -مثلا- يجعله يفترض للحروف دلالات تضمينية وقيما استعاضية تتراوحها حسب السياق أو التخريج العقلي، وإلى ذلك نراه يؤكد لنا أن الوعي بالدلالة الحرفية أمر بلاغي، تواصلي، وعلى أهمية كبرى في حياة الناس، فبقدر مهارتنا في توظيف الحروف وتوجيهها وجهة سديدة يمكننا أن نجد الصيغة الأنسب التي يتحدد بها خطاب التسامح والديمقراطية، نرى ذلك مثلا في معالجته لدال (الحق)، فالاختلاف في قولنا (هذا الحق)، و(هذا حق) ليس في حرف التعريف فقط، وإنما في الجوهر أيضا، إذ معنى الحقية في العبارتين متفاوت، فهو مع إضافة حرف التعريف حصري، ومع إزالته إطلاقي، لأن قولك (هذا الحق)، يحمل روحَ دَفْعِ الآخر وعدم الاعتراف له بالموقع، فيما قولك (هذا حق) يتضمن الاعتراف بالآخر، وبأن الحق متعدد الوجود، وأن الموقع يستوعب الرأي والرأي الآخر...

لقد رأى النورسي أن تجريد لفظ الحق من (ال) التعريفية يترك باب التفاهم مفتوحا، ويسد كل احتمال للتعارض السلبي والتنافي الإقصائي، فقولك لخصمك هذا الذي أرى هو حق، أدعى إلى التفاهم من قولك له هذا الذي أراه هو الحق... إذ (ال) هنا استحواذية، تلغي رأي الآخر، فهي أبعث على الصدام والخلاف...

هكذا وبفضل هذا التخريج الذي نستلهمه من نظرة النورسي التسامحية التي عبر عنها من خلال حسن تقديره لقيمة الحرف ومنزلته الوظيفية في البنية اللفظية، نتعلم كيف نكيِّف علاقتنا بالآخر من خلال تحوير جزئي في الخطاب (بتنازل جزئي على مستوى بنية اللفظ، يعكسه تنازل جزئي على مستوى الموقف) وكيف نلطِّف موقفنا من الحدة والحدية، وكيف نوسع من مساحة التفاعل الايجابي مع الآخرين.

لا ريب أن هذه الدراية بمنطق الحروف وبفحوى الخطاب إنما تهيَّأتْ للنورسي جراء تمرسه بالمراس العقلي، فاشتغاله الدائم بالتفكير وتفكيك الظواهر، ومنها التدبر في معاني الآيات وتفسيرها، قد عزز لديه هذه القابلية الإدراكية على صعيد اللغة وموادها البنائية.

الحقل الإحالي التمثيلي

مادة الإحالة التمثيلية لا تنحصر عنده في حقل بعينه من المشخصات والشواهد، بل إنها مادة إحالية عريضة، إلا أن المتواتر منها في ثنايا الرسائل بصورة محسوسة هو

(النواة، الشجرة، الثمرة)، إذ الحدث الإنباتي، باعتباره التجسيم الحي والأمثل للفعل الخلقي الإلهي ولقدرته الإيجادية، طفق يتكرر متخذا من معاني الغراسة والتلقيح والتجرثم وما في معناها مجالا تصويريا وتوضيحيا لمظاهر الإيجاد الإلهية وللقدرة الباري في الإنشاء والتكوين والحشر...

وطبيعي أن تتداعى إلى هذا الحقل الإحالي ألفاظ الماء، القطرة، النطفة إلخ.. إذ المجال المعنوي واحد والتشابه بين الوقائع النمائية لشتى الأجناس قائم، فماهية التخليق تتم -حسيا- بالنواة وبالنطفة وبالقطرة... ولذا رأينا النورسي لا يَني يُقرِنُ بين الإنسان والشجرة، بين الإيمان والثمرة، بين الحياة والآخرة... لأنه يرى أن الدنيا شجرة، ثمرتها الآخرة.

هناك مجال إحالي آخر تستدعيه مواقف التمثيل والإيضاح هو المجال الإنساني، قوامه فواعل اجتماعية وعلائق تعاملية، ومحور الصلات والتواصلات فيه هو صراع الخير مع الشر، ولعل من أهم عناصر التشخيص والأداء التي يوظفها النورسي: السلطان والقصر، السيد والعبد، القائد والجند... التاجر والبضاعة، السفر والسياحة... كما أن مسرح هذه الأحداث التمثيلية إنما يكون الواقع والخيال، الحلم واليقظة، البحر واليابسة، الليل والنهار... والصورة التقابلية التي يتمحور حولها التمثيل ليست مجانية، إنما توعز بحقيقة التقابل بين العوالم والبُنى التي انطبع عليها ذهن الإنسان وتهيأ لها حسُّه الجبلي، إذ هناك ثنائية مفاهيمية تؤطر فكر الإنسان وتحدد ماهية معارفه ومداركه... فالإنسان قيمة شعورية تتحدد معالمها من خلال إحداثيتي العدم والوجود، الحضور والغياب، الحياة والموت، السعادة والشقاء، الزمان والمكان، الكفر والإيمان...

لا شك أن مادة الاستلهام في ما تداوله النورسي من شواهد وتمثيلات كان أساسها التجربة والحياة، وكذلك المقروءات والأخبار التي اختزنها النورسي في ذهنه زادا للعبرة والموعظة، وهي أيضا تركيبات ذهنية توَلِّدها المخيلةُ التي تَرَيَّضتْ طويلا على اصطناع المشاهد البديلة عن الواقع المكفهر، وعلى تجديد العوالم النفسية والروحية تعويضا عن كآبة الأحوال الكابسة...

هناك مساحة ثالثة من وسائط التمثيل والتوضيح هي عالم الجمادات والعجماوات أو عالم غير العاقلين.

لَطالما حاورت مخيلةُ النورسي الجبال والبحار والنجوم والقفار، وطالما استنطقت عناصر الكون الصماء وشخصتها في سياقات حية، معبرة عن المشيئة الإلهية التي

أوجدتها وأدمجتها في نظام شمولي تؤدي فيه وظيفتها بحكمة التسخير وبفطرة التسبيح التي جبلت عليها الأشياء والموجودات.

هناك حنكة فنية لديه وقدرة عقلية -ظلت محل اعترافه هو- لبث يستثمرها في مَسْرَحَة أفكاره وتجسيد معانيه في صور شاخصة من خلال سوْقِ الأمثلة القصصية واستعراض المواقف السردية التي كان النورسي يدرجها في رسائله كبطاقات بريدية تذكارية يرسلها إلى القارئ من مواطن ساقه إليها ارتحاله الروحي، وانتهت إليها سياحاته القلبية وسرحاته الروحية وجولاته العقلية.

-الاقتدار على الاستقراء نلمسه في هذا التمرس الذهني الذي يجعل النورسي يجتاز باستمرار إلى ما وراء منطقة الشهود، إلى تخوم قصية من مدارات الغيب واللاشهود، فلكأن مخيلته منظار مسلح بألوان ما فوق البنفسجي، تخترق الكثافة وتشخص عوالمها المحجوبة، وتحصيها، وتترصد حياة من يعمرونها وتحركاتهم تماما كما يُجري دارسٌ منقِّبٌ تحقيقاته تحت الماء في أعماق المحيط...

إن النورسي الذي ظل يعتبر المخلوق الإنساني قلب الكائنات وواسطة المخلوقات (ذوات الأرواح) ظل ينظر إلى المحيط الكوني وما يملؤه من أجناس وموجودات ومرافق على أنها عوالم تعمر الفضاء السفلي من حول الإنسان، تماما كما أن هنالك مرافق وأجناس وعوالم تملأ الفضاء العلوي من حوله.. وظل من جهة ثانية يقابل بين عناصر هذا الواقع المركب الذي يحيط بالإنسان ويقرأ من خلاله الواقع اللامرئي من حياتنا وعوالمنا، فكما أن الشجرة -وهي من مكونات العالم السفلي- كائن مسبح مسخر يؤدي وظيفة حيوية في هذا الكون على أكمل الوجوه وأدقها، فكذلك هناك فصائل الروحانيات اللامرئية في العالم العلوي من ملائكة وأجناس أخرى مسخرة مسبحة، تؤدي دورها الكوني من حول العرش، وتعمر الملكوت، وتدأب على تأدية ما أسند إليها من مهام بشكل دقيق وحي ومستمر...

والنورسي وهو يوجه الكاميرا نحو هذه العوالم اللامرئية يدهشنا -فعلا- لأنه لا يباشرها في ضوء ما تواتر عنها في التراث والمدونات القدسية فحسب، بل إن النورسي ليتعمق حقيقة هذه العوالم ويشخصنها ويواصف منظوماتها وبُنى اجتماعها وعلائقها وأجواء روحانياتها، وهو في كل ذلك لا يتجرأ على الغيب ولكن يستثمر جُمام مشاعر وتصورات استهدى إليها بتنقيب عقلي واستخطار روحي، مسنود بتعاليم الكتاب والسنة، (تذكروا توصيف القرآن لمجتمع الجن في سورة الجن مثلا)... من

هنا يسعنا القول إن النورسي يُسَخِّر فائض قدرته العقلية في استكشاف وتوسيع حدود الروية الغيبية، من موقع ايماني، تنويري.

فكما تعود النورسي أن ينقِّب في كنه الذرة والرشحة وفي صلب الجزيئات العضوية، ويبين فطرتها وسلوكها وروحيتها، يفعل ذلك كذلك مع عالم الملائكة والروحانيات، إذ يتصور أحوالها واستجاباتها وصلاتها بوظائفها، ويتحسس وازع التسبيح الذي جبلت عليه... كل ذلك يفعله النورسي دون أن يجد القارئ في هذا التفعيل المباشر والتوصيف الحي لعوالم الماوراء إلا مزيدا من الاستطراف والتذوق والمشاركة والتأمين...

إن حنكة النورسي تتمثل في هذا التمَكُّن المنطقي والأدبي الذي يجعله لا ينجح فحسب في اضفاء الصبغة المنطقية على عوالم الغيب وعوالم الطبيعة الصماء وعوالم العجماوات، ولكنه إلى ذلك ينجح -وبمعقولية لا مراء فيها- في افتراض البيئة الموضوعية والعاطفة النابضة والسلوك الفطري والمأمورية الراتبة لتلك العوالم... إنه يشخصن ذلك دونما أدنى افتعال، وما ذلك إلا لأنه يرقى إلى تصوير تلك العوالم الطاهرة بروحية طاهرة، روحية تتعكسُ ذاتَها[25] وتَحَتُّفَها وفَناءها وانصياعها وطمعها وذلتها الدنيوية المتطلعة إلى مرضاة الله وإلى استنزال رحمته وبركاته، في ما تصف وتستشرف من عوالم الغيب، فتعاين اللامرئي بروحية الذات التي استطاعت أن تنفذ إلى ما وراء الحواجز، وترقى إلى ما فوق الحجب...

إن النورسي بهذا التمثل الاقترابي لعوالم المغيب يوسع من دائرة المعرفة الروحية الإنسانية، ويستصلح آفاقا أخرى مما أفسدت ثقافة الحس واللا إيمان.

قابلية اقتحام الإشكالات الشائكة

لا ريب أن القدرة العقلية التي تميَّز بها النورسي هي التي تقف وراء ظاهرة اقتحامه للمسائل الدقيقة والقضايا العويصة...

فلقد رأيناه يبدي نوعا من الإصرار على معاودة القول في طائفة من الموضوعات الحرجة المتعلقة بالغيب وبما فوق العقلي...

فحين نراه يطرح مثل هذا السؤال: ''إنك تقول في هذا المقام لقد أحاط الحسن والجمال والعدالة بالكون، ولكن ما تقول فيما نشاهده من القبائح والمصائب والأمراض والأموات؟''

فلا ريب أنه يجد في نفسه الباعث العقلي على الخوض في هذه الإشكالية الفلسفية والشرعية وتبسيطها وتنوير الفئات المسلمة عنها، مدللا بذلك، وفي نفس الوقت، على نزعة تحَدٍّ وإرادة نزال لا تكون إلا عند المقتدرين.

لا شك أن قراءتنا لرده عن هذا السؤال ستكشف لنا عن طبيعة التصور والتفكير التي تميزه.

نراه -للإجابة- يطرح المسلَّمة الحاسمة التالية، وهي أن الحسن ما كان ليظهر للناس ويعرفونه لو لم يوجد بإزائه القبح.

من الواضح أن الاكتفاء بهذا الرد المجمل كان سيجعله ردا عاميا لا يخرج عن سياق الإثباتات الوعظية كما يدور على ألسنة الخطباء العاديين، لذا نرى النورسي يصعِّد في عملية التدليل، فيعزز مُسَلَّمتَهُ بفذلكة منطقية تؤكدها، حيث يبيّن أن ملابسة القبح للحسن يجعل درجات الحسن تظهر للعيان، ويستدل في هذا الصدد بما يحصل للأجسام حين تلابسها البرودة، إذ أن ملابسة البرودة للأجسام تجعلنا نميز درجات الحرارة فيها، فكذلك تداخل القبح في الأشياء يمكننا من تمييز مستويات الحسن فيها.

من هذا الاستدلال يخلص النورسي إلى الحقيقة التالية وهي أن القبح الذي يتيح للحسن أن يظهر هو بالضرورة شيء جميل، لأنه يقوم مقام العلة من حيث أهميته في الكشف عن حقيقة الحسن... وما هو علة للخير هو حتما خير، وما هو علة للحسن هو بطبيعة الحال حسْنٌ حتى ولو كان قبحا... (وهنا يجد القارئ نفسه -آليا- يستدعي عشرات الأحوال التي تؤكد هذه القاعدة، فسماد الأرض -الطيبة- يغدو شيئا حسنا رغم فساده، وتذكير الثمار بالذُّكَّار المحموم كذلك هو أمر حسن، وتلقيح الطفل بالمصل الذي هو جرثوم أمر حسن...)

من هذا المنطق يستدعي ذهن النورسي مسائل أخرى أكثر تعقيدا يسحب عليها قاعدته، من ذلك موضوع الموت، إذ يرى أن الموت لا تتنافى مع مبدأ الرحمة العامة والحُسن المحيط والخير الشامل، لأن الموت من مقتضيات هذه الأمور، باعتباره ظاهرة تجدد، وموعدا لاستخلاف الدفعات بعضها ببعض، ومنعطفا تتحول به الحياة إلى عالم الأبدية... فما يفضي إلى السعادة هو بالفعل حسن وخير ورحمة، حتى وإن جهل الإنسان ذلك.

هكذا منهج النورسي العقلي، إنه يطرح الإشكالية ثم يتخذ منها صعيدا لبسط قناعته ورؤيته... وأغلب ما تكون الإشكالية حادة في تحدِّيها... ثم، ومن معالجتها يأتي الجواب بكامل المعقولية الهادئة والتبصر غير المنتظر في الغالب.. ليتولد القانون في

النهاية ''بوجود الشر الجزئي تظهر الخيرات الكلية''،[26] ويتعمم المبدأ على سائر الظواهر المشاكلة للموضوع.

وإذا ما تَمَعَنَّا في فحوى هذا القانون الذي استنتجه النورسي عن الشر والخير ''بوجود الشر الجزئي تظهر الخيرات الكلية''، فلا شك سيشدُّنا فيه مفهوم (الجزئي) الذي ظهر كقيمة طرفية في المعادلة التي يتأسس عليها نص القانون ''بوجود الشر الجزئي تظهر الخيرات الكلية''، هناك إذَنْ شرٌّ كلِّيٌّ، وشَرٌّ جزئي، فالشر الكلي لا حُسن معه، وهو العدم، لأن الوجود من حولنا يفيض بالحسن...

إن مفهوم (الجزئية) قد سبق أن رأيناه[27] متداولا في خطاب النورسي حين حديثه عن مسألة الإرادة الإنسانية حيث قرر أن (الإرادة الإنسان جزئية، جعلها الله شرطا لإرادته عز وجل الكلية).

وهنا أيضا نجد مفهوم الجزئية يتناظر مع مفهوم الكلية في ضبط مبدئية القانون (قانون الخير والشر). فرؤية النورسي هنا كذلك تفكك الإشكالية الفكرية(القضية)، وتنفُذ إلى فهمها وتَصَوُّرِها من خلال إجرائية ربط الأواصر ولَحْم الصلات بين البنية وعناصرها، الفرع وأصله، الورقة وشجرتها، قطرة الماء والنهر الذي انفلتت منه.

بل إن النورسي وفي ضوء هذا التفكيك التصوري قد فهم قضايا أخرى فلسفية ووجودية من مثل حقيقة (الإرادة).

لقد استوعب النورسي مسألة الإرادة (الحرية) وأثبت أن للإنسان هامشا منها، دون أن يُقِرَّ لذلك الهامش بالاستقلالية -كما فعل المعتزلة- لأن النورسي لم يفصل بين إرادة الإنسان وبين ترسُّخ الإرادة الإلهية الضابطة لكل شيء. لقد أرسى النورسي الوشائج بين إرادة العبد وإرادة الرب على قاعدة الاكتناف والتوجيه، فكأن الخالق يسأل عبده حين يهم بفعل ما: يا عبدي أي طريق تختاره للسلوك فأنا أسوقك إليه''.[28]

- هناك عُلُوٌّ قانونيٌّ أو خلاصةُ الخلاصات تفضي إليها مطارحاته، إذا لا تكاد تتوقف رؤيته التمحيصية عند حد استخلاص القانون الخاص بالأعراض والجزئيات، لكنها تتعدى إلى سن قانون المبدإ (المبدئية) كما هو الحال هنا، عندما أردف نص القانون النَّسْبي ''إن قبحا يكون سببا لإنتاج أنواع من الجمال أو سببا لإظهارها يعد كذلك جمالا...''[29] بنص القانون الشمولي ''بوجود الشر الجزئي تظهر الخيرات الكلية''، إذ جاء بمثابة تحصيل المحصلة وتوثيق القاعدة.

بل إنه لا يكتفي بالتنصيص على القانون فحسب، وإنما يستطرد إلى التدليل على صدقيته واطراديته، وهذا بإيراد الموضِّحة التي ترسخه "...تبلل المرء المتكاسل بالمطر لا يقدح في النتائج الخيرية للمطر"...[30]

وحين يتيقن النورسي من أن القارئ قد استوعب فكرته ووعى نظرته، ووثق من وجاهتها العقلية، من خلال ما استعرض له النورسي من سياقات حسية مُوَضِّحة، لا يتردد في تصعيد إثباتاته والذهاب بها مذهبا تعميميا، بل إن النظرية لتلح عليه في أن يتناهى في تعميمها حتى على نطاق دائرة الغيب واللامشهود، من ذلك ما فعله بقانون الشر والخير، إذ استنتج منه منطق خيرية وجود نوع الشيطان..إذ وجود الشياطين أمر خيري لأن الشيطان علة لتحريك عوامل الرقي والازدهار في البشر! كيف؟ بشحذ وازع المنافسه والتنازع بين الناس!

بهذا الاستدلال لا يسع القارئ -بطبيعة الحال- إلا أن يهز رأسه ويؤمِّن، لأنه يرى في النظرية منطقا لا تكذبه وقائع الحياة... بل إن قانون المدافعة كما سنه القرآن يؤكد هذه الحقيقة ويرسخها ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. البقرة:٢٥١

بل لا غرابة -وضمن هذا التمثُّل المنطقي- أن يغدو حتى أمر جزائي كـ (تعذيب الكافر) شيئا جميلا! لم؟ لأن الكافر تعدَّى على حقوق الكائنات قاطبة، واستهان بمنزلتها الرفيعة، إذ أناط كمالها وعلو سلطانها بعلل وأسباب غير جوهرية، من قبيل القول بأن الوجود هو نتيجة فعل الصدفة أو أن المصير الإنساني تحدده الصراعات الطبقية أو تحكمه الصيرورة العضوية الارتقائية... (لننظر كيف أن وعي النورسي بعوامل الإلحاد التي سادت عصره كان حادا، فقد سجل على الشيوعيين إقرارهم للتاريخ بالعلة الأولى في تحريك المجتمعات والحضارات، ولاحظ على البدائيين تأليههم آلهة زائفة، وسجل على آخرين القول بأن الصدفة والدهر هما علة الوجود وعلة الفناء)...

ولأن النورسي يدرك أن نزعة اعتراض الخصوم لا تهدأ، وأن سجالهم لا يقف عند حد، لاسيما في موضوع إيماني كهذا، نراه يستطرد في مَدِّ مساحة الإثبات إلى حدود أبعد حتى يحسم ما قد يكون باقيا في نفس المتلقي من أسباب التشكك... فلذا نراه يجدد استعراض ذات الإشكال من مستوى جدالي آخر، فيطرح السؤال التالي:

لِمَ يبتلِي الخالقُ الرحيم أفرادا ضعفاء؟

ويأتي رد النورسي متساوقا مع النظرية الأم (كلية الخير وجزئية الشر)، مستلهما (مبدأ الجزئية) الذي رأيناه قد استنبطه في مسألة الحسن والقبح والشر والخير، فيبين أن إرادته -عز وجل- اقتضت نتائج جزئية أليمة ناشئة عن إرادة الحفاظ على تلك الكليات والقوانين التي تدير عليها دواليب صناعة الحسن والجمال، فكتب على من شاء من مخلوقاته البلاء، وذلك ليجلي للناس نعمة العافية التي يسهون عنها، إذ بأضدادها تتمايز الأشياء... لكن الله لا يغفل المبتلين من عباده، فإن خزائن إمداداته تمدهم على قدر حِدَّة الألم والاستغاثة والاستنجاد، فتقع لهم الاستعاضة ويتبدل الضر شفاء والأذى مكسبا والقبح حسنا...

ثم إن في مبدأ قدَرية البلاء توجد مسطرة من عدالة الله لا تخفى، إذ ليس هناك من لا تجري عليه مقادير الله حتى وأن تفاوت الحظوظ العارضة والضربات الواقعة... ومن ضحك صبحا لا يسلم أن يبكي مساء... هكذا الأيام دول، إلا أن القوانين الكبرى واحدة، الميلاد والموت من مقتضيات الحياة، وحوادث السعادة والألم هي في حراك دائم بين الكائنات، والضغوط والانفراجات على نِسَبٍ.

-لابد أن يرقى القارئ إلى منزلة نورية تجعله يتوطن على رؤية دلائل الإيمان ومعالم التوحيد في كل ما يحيط به من عناصر الكون، ليتسنى له أن يربط بسهولة بين اللوازم والملزومات، بين الظواهر والمُقَوِّم الربوبي الذي يحكمها ويحكم عللها العيانية.

ولأن النورسي-الذي انتهى بجهاده إلى بلوغ هذه الدرجة من اليقينية- كان يعي هذه الحقيقة وهو أن الإيمان يسهل على الفرد مهمة الوعي بقوانين الكونين وصلتها بالخالق، لذا ظل يحرص على أن يجعل نصوصه تنحو إلى المفاعلة المتواصلة من خلال توطيد منهج الاستقراء والمساجلة الترشيدية.

لم يكن يكتب محاضر تعرض الحال النفسية والاجتماعية التي هو فيها بقدر ما كان يعقد جلسات عمل روحي، تتخللها استراحات يقابل فيها مراجعيه وقراءه فلا تتملكه نشوة الإعجاب مما يرى في عيونهم من إِكبار لشخصه، وإنما كان يثابر على التوسع في الطرح، وعرض الأمثلة القريبة، وتبسيط المعاني البعيدة، والتدرج في التفهيم... وعلى قدر تقدمه في التوضيح والكشف كان يستمر في اختراق مناطق وأحوال أكثر دقة وتجريدا، فلا ينتهي منها إلا وقد بلغ قصي الآفاق ومنتهى الأدوار المعنوية والروحية، كل ذلك وهو هو، ثابت، يستميت في تشخيص أفكاره وعرضها بما يقَرِّبها

من ذهن المتلقي بروحية وقوة، فلا يزال متمسكا بأناته القولية، وسكينته القلبية، مالكا لصفاء خطابه ونصاعة لفظه.

فديدنه في الرسائل هو التناهي في بلورة المعاني، ورصف الخواطر، والتغلغل بعيدا في عالم الأفكار، والذهاب إلى أقصى حدودها التجريدية، والتعبير عنها بالبساطة اللازمة، وإظهارها للقارئ، وإغناء المعرفة الإنسانية بها...

إن اختياره القضايا الجوهرية الميتافيزيقية مادة للتأمل والبسط جعله يختار الفضاءات (الفيزيقية) المفتوحة صعيدا لخطابه، فالطبيعة والأرض والنباتات والجبال والأنهار والحشرات والكواكب والذرات... كلها وسائل تأمل ومدارسة روحية واستنطاق اعتباري... فالعين تطوي المسافات المترامية حيث الشواهد أكثر إعرابا عن مسائل الوجود الإنساني وعن آماد رحلته البعدية، ولا نهايات عوالم هذا الكون الذي يحيرنا بانغلاقه البليغ وببلاغته الصماء.

وهو في أحايين أخرى يدقق مساحة الشواهد بحيث تغدو مادة التنقيب والرصد عبارة عن عيّنة من الصغر والتناهي والمحدودية، فهي تارة النملة، وأخرى البذرة، وهي ثالثة حُبيْبة ثمرة... وهي في كل الأحوال المادة المرصودة والمنتصبة شاهدا للشرح والتجلية، ومن خلالها يعاين الراصد القضايا الكبرى والأفكار العظمى... إذ لا ينقب النورسي إلا في الكليات، لأن ذهنه يشتغل بصورة ثابتة على إشكالية الوجود وصلة هذا الوجود بموجده، فلذا تراه لا يفتأ يطوي الحجب ببصيرته، ليستكشف بعد كل نوبة إبحار يقوم بها، فائق هذه الانجازات الربانية المشهودة، الموعزة بفصيح اللسان على عظمة الباري.

بل إننا نجده يستقرئ معاني اسم الجلالة في الظواهر الحسية المجسدة في الطبيعة، من ذلك مثلا قراءته عناصر التوحيد التي تختزلها صيغة (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)، إذ طابق بين معاني هذه الأسماء الحسنى وبين الشجرة، أو بالأحرى استجلى وقائع هذه الأسماء الإلهية في هيئة الشجرة، بحيث وجد أن مقومات الشجرة تلخص معاني القول التوحيدي الشمولي وتقوم شاهدا يجلي تلك المعاني.

ذلك لأن النورسي وهو يدلّل على هذا التشاكل، راح يقابل بين اسم الجلالة (الأول) وبين اسمه المستتر (العلي) الذي يجسده الكيان المكتمل للشجرة، ويقابل بين اسم الجلالة (الآخر) وبين اسمه (المستوفي) الذي ينعكس في هيئة الشجرة واستوائها.. ويقابل بين اسم الجلالة (الظاهر) وبين اسمه (الجلي) الذي يتجسد في سَمْتها وفروعها وكثافة ملبسها، ويقابل بين اسمه تعالى (الباطن) وبين اسمه (الخفي)

الذي يستبطن الشجرة في صورة عضويات كامنة في كيانها هي بمثابة الأجهزة الحيوية في كيان الإنسان (شرايين، قلب، كبد، جملة عصبية). ''إن أول كل شجرة عليبة صغيرة وبرنامج، وآخرها نموذج ولائحة تعريف، وظاهرها حلة مزركشة ولباس مزين، وباطنها مصنع ومعمل، فهذه الجهات الأربع تلاحظ إحداها الأخرى، فتنشأ من هذه الأربعة علامة عظيمة جدا، بل اسم أعظم، بحيث لا يمكن قطعا أن يقوم بتلك الأعمال غير الواحد الذي بيده زمام الكون كله''.[31]

- إن السداد هنا يكمن في الاستهداء إلى قالب تشخيصي وإلى (مُوَضِّحة) مستمَدَّة من الطبيعة ومن محيط الإنسان، وإبراز مبدأ الوحدانية كما تجسد فيها، فالقول التوحيدي هو هنا نص معنوي تمفصلت قيمُهُ في نص آخرِ مادي، حسي، على نحو طباقي، وهو ما هيأ للقارئ أن يستبين كيفية استقرائية يستدلُّ منها على حقيقة الربوبية من خلال استجلاء معاني الأسماء الحسنى في الظوهر الكونية من حوله.

وهو ما فعله النورسي إذ تحول بمنطق المطابقة (تماهي الأسماء الحسنى في الشجرة) إلى منهج لاستحضار كلية أشمل لقانون تماثلي أعم، تتلابس فيه المعاني الإلهية مع الظواهر المادية، فالربيع يغدو شجرة تتجلى في خمائلها ومجالي خضرتها بعض أركان القول التوحيدي، وكذلك الخريف...

بل إن الإنسان نفسه لينطبق عليه هذا الاعتبار، لأنه يشخص أسماء التوحيد، إذ يُعَدُّ ''هو شجرة أيضا، بذرتُه وجذورُه في أعماق الماضي، وثمراته ونتائجه في المستقبل، فكما أن وجود القوانين المنتظمة الجارية ضمن حياة جنسه وبقاء نوعه يحمل علامة توحيد واضحة، كذلك الدساتير المنتظمة لحياته الشخصية والاجتماعية في وضعه الحالي تحمل ختم وحدانية مستترة تحت الاضطرابات الظاهرية، مثلما تحمل دساتير القضاء والقدر لحياته وهي مقدراته الحياتية المتسترة تحت الأحوال البشرية الظاهرية ختما مخفيا منتظما للتوحيد''.[32]

هناك -إذن- امتداد استقرائي تنهض به البصيرة انطلاقا من المُحَسَّاتِ والموجودات الماثلة للعيان، يُقِلُّ الروح إلى عالم الماوراء، حيث تشارف انفساحات برزخية تكمِّل بعوالمها معاني الوجود المشهود ودلالاته الجلية.

يذكر مبدأ لقضية كبرى، وينتهي في رصدها إلى الغاية بصورة كشفية لطيفة تجعل الملتقي يقف عند السلسلة الكاملة من أفراد المعاني الجزئية المكونة للمعنى العام أو للفرضية... وما أكثر ما يتبع النورسي نهج التبريج، أي الإحاطة بالقضية من خلال المسح القطاعي، أي بتتابع عملية البدء والعود على البدء في الرصد، كمن يمسح

سطح كوكب... ينطلق بالمسح من رأس القطب إلى غاية القطب المقابل، ثم يعيد الكرة مع مساحة أخرى من الكوكب إلى أن يأتي عليه في كليته...

والحقيقة إنه نوع من تجدد الانبثاق أو من التَّنَجُّم الذي رأينا النورسي ينهجه في كتاباته من خلال تفريع القضايا والمسائل في عملية البسط، ومن خلال الاسترسال في التعقيبات التي يُتَوَّجُ بها أحيانا كثيرة رسائله...

فلكأن الرسالة على ذلك النحو الاستيفائي عينٌ نجلاء تحفها رموش، أو شجرة باسقة ترخي ذيولها في دلال...

إنه يفعل ذلك لأن الهدف هو إجلاء ما تحتويه القضية الفكرية من أبعاد دالة على عمق حقيقة هذا الوجود، وعلى ما للنورسي من رغبة وشوق إلى معرفة خفاياه وخلفياته الغيبية...

إن مسألة الإيمان بالنسبة للنورسي مسألة حاسمة لأنها تتعلق بحق الخالق على عباده من جهة، وتتعلق من جهة ثانية بحقوق الكائنات والموجودات إزاء أفراد بعضها بعض، لأن الإخلال بمبدإ الإيمان التوحيدي هو تعد على الكائنات، وتشويش سخيف على الفطرة في الأشياء (...).

والمؤكد أن هناك تساندا كبيرا بين حِزَمِ التفريعات والتكميلات التي يتخرج فيها موضوع الرسالة، فكما أن التفريع الواحد منها يكفي لتجلية الحقيقة وإرضاء قناعة المتلقي، فكذلك تغدو الحزمة المتظاهرة وسيلة حاسمة في ترسيخ الإقناع.

فالنورسي يشاء للرسالة النورية أن توطد موضوعها على نحو متمهل (أجل، إنه يختزل أفكاره أحيانا، ولكنه غالبا ما يفعل ذلك في سياق تذكيري، أو تمهيدي)، فمن سمة الرسائل إنها تمعن في الإحاطة، تفعل ذلك بكامل الدأب والأناة.

هناك دورة استعراض تحليلي تُكْتَمَل ثم تعقبها دورة أخرى، وهكذا دواليك.. الاستئنافية مظهر عقلي، تبحُّري، من ديدن المتدبرين.

بل هناك جو من الذكر يستغرق متن الرسالة، أشبه بحال من يدير سبحة في يده، يمسح حباتها، وحين ينتهي إلى شاهدها ينطلق في دورة تسبيخ أخرى، إلى أن يستوفي الورد.

-كثيرة هي الخصائص التي تَرَسَّمها النورسي في الخطاب القرآني، ثم تحولت عنده بالتمرس والتنفيذ إلى ناجز رؤيوي تحلى به النورسي، من ذلك مثلا خاصية خرق المألوف وتمزيق الألفة...

فخطاب النورسي يعتمد دائمة استراتيجية التسديد نحو المدرك الخفي... فلذا أضحى طرحه تنبيهيا على الدوام... يشرع معك في مناقشة قضية ما تلابس وعيك... من قبيل الإيمان والوجود والحياة والموت والقدر والمكتوب والحظوظ والرضى والألم والإنسان والكائنات الأخرى... ثم يتدرج بك من البديهيات المعلومة والمشهودة ليرقى بك رويدا رويدا في مدارج التنبيه الحي والتحسيس الحميم... إلى أن يضع أمامك شبكة من الحقائق ويوزع لك الحجة في بساط أحمدي من التفاصيل المحيل بعضها إلى بعض، بحيث تجد نفسك أمام مشهد معرفي لا قبل لك به رغم أنه من لوازم حياتك في كل حين...

انظر كيف يسوق لك الشمس شاهدا على حضور الله ووحدانية، وكيف أنه لا يقنع بالقول إن وحدانيتها تدل على خالقها الواحد، ولا إن رتابتها تدل على وطيد نظام موجدها، كلا، ولا هو يكتفي بأن يلفتك إلى مثل هذه الدلائل المعادة في أدبيات الترشيد الاستهلاكي.

إنما يباشر ذهنك بأن يضعك أمام صفحة هندسية تستوعب الفضاء بكامله، وتخترق التفاصيل المكانية الزمانية بسهولة مذهلة، وهنا مكمن براعة النورسي واقتداره الاحتجاجي في مجال الروحيات... فالشمس تتحول فجأة في مصورته إلى آلاف بل الملايير من الشموس، ويغدو صعيد تجلياتها مرآة هي كل هذه المساحات الشاسعة من الكواكب والأقمار ومن البحار والسيول السائحة على الأرض، ومن القطرات المنتظمة في معاقد الندى على ألسنة النباتات، وفي مجالي الأغوار والجبال والسهول، وفي تموجات الظلمة وعبر تأجج أنوار السراب...

هكذا يفتت لك النورسي الوحدة، ويكثر لك العنصر الطبيعي الوطيد في فرادته، ويحاصرك بتعدديته اللامتناهية، فتجد نفسك قد خرجت من الألفة إلى الغرابة، ومن الاستنامة إلى التأهب، ومن الطمأنينة إلى القلق، ومن الشعور بالكفاية إلى الشعور بالحاجة...

إنه ببساطة يضعك أمام مشهد إدراكي صادم، لكن روحك لا تلبث أن تعلن تصديقها وتأمينها عليه...

فأنت قبل أن يفرد لك هذا المشهد الكوني الحافل بملايير الشموس كنت تعتدُّ بمعرفة يقينية تربطك بهذا العنصر الكوكبي الأم (الشمس) لدرجة أنه أضحى من مكونات البداهة الوجودية في خَلَدك، فبات مألوفا لديك، لا يخالجك قط أي شعور لأن تبحث في ماهية هذا العنصر الكوني أو تجدد من معرفتك به... ألم نسمعهم

يشبّهون جاحد الشيء بمن ينكر وجود الشمس في رابعة النهار، ومعنى ذلك أن الشمس باتت في الوعي الإنساني، بل وفي شعور كل كائن ذي روح، موضوع ادراك غريزي بسبب الملابسة المستديمة التي تصبغ صلة الكائنات بها، بحيث فقَدَ هذا العنصر الوجودي الحيوي إمكانية أي إيعاز مستجد أو أنه-على الأصح- بات معلما طبيعيا خابيا في ضمائرنا، لا يخامرنا أدنى نزوع أن نطلب من صدده أي مدد عقلي أو معرفي رغم الحيوية الحاسمة التي يضطلع بها في حياتنا، والتي تعكسها -بالأقل- النشرة اليومية التي تطلعنا على أجندة الشمس وبرامجها اليومي في ما يعرف بالأحوال الجوية...

إذ كثيرة هي تفاصيل الحياة التي تتوقف على مزاج الشمس... بل إن التوقيت المدني والشرعي لَيستمد جدولته من حركتها[33] اليومية والموسمية، فالشمس هي الناظم الأساسي لإيقاع حياتنا كأفراد ومجتمعات، بل وكحضارة... (أزمة الاحتباس الحراري الراهنة).. فعلى الرغم من كل هذه القتضاءات اللامحدودة لوظيفة الشمس إلا أن الإنسان لا يخطر على باله أنه سيحصُل له من قبلها شيءٌ يجدد روحه (والأمر يطرد، بالقياس إلى حضور الماهيات الكلية.. أليس حضور الله في كل مظاهر الكون - كما يستشعره الأصفياء- يغيب عن حس الناس العاديين تماما كما تغيب عنهم مثلا حضور الشمس وهيمنتها وجذرية وظيفتها في الحياة عامة)... ضمن هذا الرتابة في المنحى الاعتباري يباشر النورسي عملية تنقيب ورسكلة، ويجدد إمكانية ربط الجسور بين الإنسان المعاصر وبين كتاب الكون، بين العين وبين صفحة الغلاف التي من طول ما توطن النظر عليها لم تعد جاذبة للحس، ولا جالبة لشيء روحي طريف...

وهكذا يتمكن النورسي من بناء قبة من مرايا حسية للشمس، كل شيء في فضائها يتلألأ بعلامة وينقدح بدلالة... حضورها يتراءى في طيّات التراب وأعالي البحار ومن قصي الكواكب، من عشب الأرض وندى الزهر وترقرق الأودية والتماع ذريرات الرمل والمعادن والأحجار.. كل شيء يتحول في عين النورسي إلى شاشة عاكسة لوجه الشمس، بحيث تنتصب بنورانيتها في كل سطح وكل مَجْلى... كل مكونات الوجود الحسي مرآة، وكل بقعة مثابة استقبال، والشمس طلعة بهية من نور، في كل حيز تلوح بهجتها... هكذا يتعدد الواحد ويَشيع حضورُه فلا يخلو منه موقع ولا تفتقده مساحة... وهكذا يتجلى الواحد الفردُ عددا لا نهاية له ولا حد...

وهكذا تقرأ الروح في هذا المشهد الشاخص الذي خطته فرشاة النورسي للشمس، مثالا ناطقا بحضورية الاله الأوحد، خالق الشمس ومديرها، ومسخرها بما أنفذ فيها من جامعية أسمائه الحسنى.

* * *

الهوامش

[1] جامعة وهران.
[2] الشعاع الرابع.
[3] في متن كل رسالة يخصص النورسي مقعدا للمتلقي، يحاوره **فيه**، **ويراجعه**، ويستصحبه على نحو أو آخر، حتى في تلك المقامات النصوصية التي حملت السمة الشخصية وكانت خاصة بمواجد النورسي.
[4] م.س ٧٦.
[5] أكثر من مرة أسقطت هذه الفقرة لأنها بدت لي مصنوعة، ثم وجدتني أعيدها.
[6] م.س.
[7] حسبنا الله ونعم الوكيل.
[8] الشعاعات٧٤.
[9] الكلمات ٤٤١.
[10] م.س ٤٤٢.
[11] م.س ٤٥٧.
[12] الكلمات. ص٤٨٢.
[13] م.س٤٥٦.
[14] م.س٤٥٤.
[15] م.س٤٥٥.
[16] م.س٤٢٠.
[17] م.س٥٥٠.
[18] الكلمات ص٣٥٥.
[19] م.س ٣٨١.
[20] الكلمات٣٨١.
[21] والأصل هنا، ما ورد في الحديث بهذا الخصوص.
[22] م.س٧٧٤.
[23] الكلمات.٤١٣.
[24] الكلمات ٧٧٥.
[25] (أو تسقطها على... كما يقال في لغة علم النفس).
[26] الشعاعات ٣٧.
[27] راجع ص١٣.
[28] م.س ٥٤٨.
[29] م.س ٣٧.
[30] م.س.
[31] م.س٤١.
[32] م.س.
[33] الحركة المجازية كما أخبر القرآن.

مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران (دراسة تحليليَّة تقويميَّة)

الملخص

د. أردوان مصطفى إسماعيل المزوري[1]

تعالج هاته الورقة موضوع (المقاصد القرآنية عند النَّورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران) من خلال تحليل مفهوم مقاصد القرآن، واستجلاء أهميتها. وجلَّتِ الورقة تفوُّقَ النَّورسي في التنظير لمقاصد القرآن، وتأصيله لها في مؤلَّفاته، ومساهمته البديعة في تأسيس المدرسة المقاصدية. وأبرزت الورقة أن المقاصد الرئيسة عند النورسي، هي: التوحيد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدالة، وأن هاته المقاصد مبثوثة في كل جهةٍ من جهات القرآن، سورةً سورةً، وآية آية. وكشفتِ الورقة أن النورسي قد أبدع في تبيان دور تلك المقاصد في بناء الحضارة والعمران، والصلة الوثقى بين المقاصد والعمران الحضاري. وختمت الورقة بأهمِّ النتائج التي توصَّل إليها البحث، كما تمَّ تسطير التوصيات.

الكلمات المفتاحية: النورسي، مقاصد القرآن، بناء، الحضارة، العمران.

* * *

The Aims of the Holy Qur'an and their Role in Building Civilization and Realizing Development According to Nursi. An Analytical Study and Assessment

ABSTRACT

Dr. Arduan Mustafa Ismail Mazouri

This paper addresses the subject of the the higher objectives of the Holy Qur'an and their role in building civilization and urbanization. It analyses the concept of Qur'anic higher objectives and clarifies their importance. In addition, the paper demonstrates the superiority of Nursi in addressing this subject and

rooting it in his writings. It also points at Nursi's contribution to the establishment of the school of the higher objectives of the Qur'an. The paper highlights the main aims of Nursi which are unity of God or Tawheed, prophethood, physical resurrection, and justice. These purposes are discussed thoroughly in the holy Qur'an, throughout its chapters and verses. The paper explains the distinctive approach of Nursi in addressing these objectives and explaining their role in building civilization and urbanization, and the link between these objectives and the civil urbanization. The paper concludes with the main findings and recommendations of the research.

Keywords: Nursi, The objectives of the Qur'an, Building, Civilization, Urbanization.

* * *

مقدمة

الحمد لله الذي ضمَّن كتابه العزيز المقاصد العليا لبناء الحضارة والعمران، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد الذي كان خلُقُه القرآن، وعلى آله وأصحابه الذين أسَّسوا حضارةً إسلاميةً إنسانيةً، قِوامها التوحيد، وروحها العدل، وأسُّها العمران.

أما بعد!

إنّ من أسمى مقاصد القرآن الكريم، هداية الناس، بإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل، إلى نور التوحيد والعلم. ومن يتأمل سور كتاب الرحمن، ويتدبر آياته، يلفي أنه قد اعتنى عنايةً فائقةً بالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وكلياتها الرئيسة. ولم يفصِّل القرآن الكريم في الأحكام والتشريعات إلا في مواطن محددة؛ ذلك أن القرآن كتاب كل صقع وزمان، لهذا كان خطابه عامًا وكليًا، ويتضمن الأساسيات والمقاصد. ومن هنا، فقد أبرزت كل سورة من سوره مقصدًا رئيسًا، وهدفاً كليًّا تدور السورة حولها. وقد تنبَّه علماء الإسلام إلى أهمية المنحى المقاصدي في القرآن، فكتبوا عنه إجمالاً وتفصيلاً، وأصالةً وتبعًا، وصاغوا علم المقاصد القرآنية. ويعدّ الأستاذ النورسي من أبرزهم في عصرنا، فقد سلك في ذلك منهجية جديدة، تبصِّر المسلمين بمقاصد القرآن الكريم، في النفس والمجتمع والكون، وتبعث روح القرآن فيهم.

مشكلة البحث

لا شكّ أنّ لمقاصد القرآنية دورٌ حيوي في استجلاء المكانة العليَّة للقرآن الكريم، وإسهامٌ بارزٌ في بناء الحضارة والعمران. بيدَ أنها لم تنل حقّها من التنظير والتأصيل

والتقعيد... وقد جاد الله على الأمة في عصرنا بالأستاذ بالنورسي الذي أولى عناية بالغة بالحقل المقاصدي في القرآن الكريم، يتجلى ذلك في رسائل النور.

تسري مقاصد القرآن الكريم في رسائل النور سريان الدم في العروق. وعلى هذا، فإن البحث يسعى إلى الكشف عن المقاصد الأساسية للقرآن الكريم عند النورسي، كما يجلّي حجم دورها وموقعها ودرجات مساهماتها في بناء الحضارة والعمران.

أسئلة البحث

يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقاصد الأساسية للقرآن الكريم عند النورسي؟

٢. ما آليَّات استنباط المقاصد عند النورسي؟

٣. ما دور المقاصد القرآنية عند النورسي في بناء الحضارة والعمران؟

أهداف البحث

يرمي البحث إلى تحقيق الهدفين الآتيين:

١. استجلاء المقاصد الرئيسة للقرآن الكريم عند النورسي.

٢. انجلاء دور تلك المقاصد في العمران الحضاري.

منهج البحث

ينتهج البحث المنهجين الآتيين:

١. المنهج الاستقرائي: ويتمُّ استخدامه؛ لتتبُّع واستقصاء المقاصد الأساسية للقرآن الكريم عند النورسي، وذلك من خلال رسائل النور.

٢. المنهج التحليلي التقويمي: ويتوسّل بهذا المنهج إلى تحليل مقاصد القرآن الكريم في فكر النورسي، وتقويمها تقويمًا علميًا، وبيان درجة إسهامها في بناء الحضارة والعمران.

الدِّراسات السابقة وما يستدرك عليها معرفيا

تعدُّ الكتابات والدِّراسات في مقاصد الشريعة الإسلامية متعدِّدة بشكل عام، فهي إمّا مؤلَّفاتٍ أو ودراساتٍ أو بحوثٍ، ولم يواكب هذا التنوّع في درس مقاصد الشريعة الإسلامية عناية مماثلة في حقل المقاصد القرآنية، ولا سيما فيما يتعلق بالنورسي.

هذا، ونشير في هذ السياق إلى أهم الكتب والدِّراسات والبحوث التي تناولت موضوع المقاصد عند النورسي فيما يأتي:

بحث: ''مقاصد القرآن في فكر النورسي: دراسة تحليلية''،[2] لزياد خليل محمد الدغامين، استعرض فيه آراء العلماء في مقاصد القرآن الكريم، وأبان طبيعة تلك المقاصد وحجمها. ثم جلَّى مقاصد القرآن عند النورسي من خلال كليات رسائل النور، متبعًا المنهج الاستقرائي؛ لرصدها. وقد ختم البحث بأهم النتائج. ورغم تضمُّن البحث للخطوط العريضة لبحثنا، إلا أنه استقرأ المقاصد عند النورسي فحسب، ولم يضطلع بتحليلها تفصيلا، وزدنا على ما كتب العناية ببيان دورها في البناء الحضاري.

ومقالة بعنوان: ''مقاصد القرآن من خلال رسائل النور''،[3] للباحث علي قاطي ئوز، تطرَّق إلى مفهوم المقاصد باقتضاب، وأبرز اختلاف العلماء في تحديد المقاصد بالضبط، ثم عدَّد المقاصد عند النورسي لا غير. وكانت مقالة الباحث وجيزةً في ست صفحاتٍ، ولم يفِ الموضوع حقه، ولم نلفِ مطابقةً بين العنوان والمضمون. بيدَ أنَّ إضافتنا المعرفية تلوح في استكشاف المقاصد القرآنية عند النورسي، باستقرائها، وتحليلها، واستيضاح موقعها ودورها في العمران الحضاري.

وقدتناول عبدالسلام الأحمر في مقالته: ''المقاصد القرآنية في فكر النورسي''،[4] مفهوم المقاصد. ثم عرض فوائد المقاصد المنهجية والتربوية. وتحدَّث عن استخلاص المقصد العام للإسلام من فكر النورسي، وأبان معطيات فكر النورسي لصياغة هذا المقصد العام. وبعد التَّدقيق في مضمون البحث ومحتوياته دَلَفنا إلى أن تناول الكاتب للموضوع كان وجيزًا وجُزئيًّا. ويختلف بحثنا عنه في استقراء المقاصد القرآنية عند النورسي، والانتهاض بتحليلها، وتقويمها، وتبيان إسهاماتها في الحضارة والعمران.

أماإبراهيم سليم أبو حليوه، فقد تناول موضوع المقاصد عند النورسي في كتابه: ''بديع الزمان النورسي وتحديات عصره''،[5] في الفصل الثاني، متحدِّثًا عن مفهوم المقاصد، والنورسي والقرآن، ومقاصد الشريعة، كما أوضح قواعد المنهج المقاصدي عند النورسي. وتتباين دراستنا عنه من حيث تركيزُها على مقاصد القرآن في الرؤية النورسية، والاضطلاع بتحليلها، وتقويمها،وإضافة استجلاء دور المقاصد في بناء الحضارة والعمران.

وثَمَّةَ بحث بعنوان: ''سعيد النورسي وأثره في تفسير القرآن الكريم''،[6] للباحث أحمد قاسم عبدالرحمن، حيث بيّن في مستهل نبذة حياة النورسي العلمية والدعوية،

وأفصح عن أثره في تفسير القرآن الكريم، وإعجاز القرآن عند النورسي، ثم ذكر خصائص رسائل النور، ومنهج النورسي في التفسير، إلا أنه رمى وما قرْطَس، وحام وما ورد؛ إذ لم يتناول المقاصد عند النورسي البتَّة. وستسعى دراستنا للتَّفحُّص عن مقاصد القرآن عند النورسي، وتحليلها، وتقويمها، وتبيان موقعها في العمران الحضاري.

وبعداستعراض أهمِّ الدِّراسات السَّابقة التي استطاع الباحث الحصول عليها حول موضوع المقاصد عند النورسي، تبدَّى أنّ هذا الموضوع بحاجةٍ إلى مزيدٍ من البحث، وخاصَّةً من حيث دور المقاصد في بناء الحضارة والعمران، وتناوله تناولاً علميًّا دقيقًا. وهذا ماحدا بالباحث للخوض في موضوعات هذا البحث.

واللهَ تعالى أسأل أن يتقبله بقبولٍ حسنٍ، وينبته نباتًا حسنًا، ويمنحنا مواهب التحقيق، ويقطع عنا موانع التوفيق، ويجعله لوجهه الكريم خالصًا؛ إنه على كل شيء قدير.

أولاً: مفهوم المقاصد القرآنية وأهميَّتها

إنَّ علم مقاصد القرآن ليس بدعًا في حقول العلوم الإسلامية؛ ذلك أنه علم نابع من القرآن الكريم نفسِه، وله أساسٌ راسخٌ عند علماء السلف الصالح. ونجد البِقاعي (توفي ٨٨٥هـ) يجلّي هاته المسألة قائلاً: ''وقد كان أفاضِلُ السّلفِ يعرِفون هذا بما في سليقتهم من الأفانين العربيّة، ودقيق منهاج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النّوازع العقليّة، ثمّ تناقصَ العلمُ حتى انعجمَ على النّاس، وصار إلى حدَّ الغرابةِ؛ كغيرِهِ من الفنون.''[7] ويتَّضح من هذا، أن المقاصد القرآنية كانت معلومةً عند علماء الإسلام المتقدِّمين، إلا أنها لم تكن مقنَّنةً مثل سائر العلوم.

والملْحظ هنا، أن المتقدِّمين من علماء التفسير ألمعوا إلى مقاصد السور القرآنية دون التنصيص على ذلك،كالطبري (توفي ٣١٠هـ)، وابن كثيرٍ (توفي ٧٧٤هـ)، في حين صرَّح بمقصد السورة بعض المفسرين من غير انتهاج منهاج معيَّن، كالرازي (توفي ٦٠٤هـ)، وابن تيمية(توفي٧٢٨هـ)، وابن القيم (توفي ٧٥١هـ).

ولعل البقاعي أول عالم يؤصِّل هذا العلم، ويجلِّي مقاصد سورةٍ تلو الأخرى، في كتابَيه: ''مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور''، و ''نظم الدرر في تناسب الآيات والسور''. أما بالنسبة للمعاصرين، فقد تناوشوا هذا العلم تناوشا دقيقًا، وأصّلوا مسائله، أمثال: محمدالطاهرابن عاشور في تفسيره الشهير ''التحريروالتنوير''.

ولم يغِب عن البقاعي -وهو مؤسِّس هذا العلم- حدَّ علم المقاصد القرآنية بقوله: ''هو علمٌ يُعرف منه مقاصدالسور. وموضوعه آيات السور،كل سورةٍ على حيالها. وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة. ومنفعته: التبحّر في علم التفسير.''[8] كما يعرف مصطلح المقاصد القرآنية بأنها: تلك الأهداف التي يرنو القرآن الكريم إلى تحقيقها، والمبتغيات التي يصبو إليها.[9] ويتجلَّى من هذا، أن معرفة هذا العلم ينير الطريق أمام العالم للوصول إلى مقصود السورة وآياتها، كلٍّ على حِدةٍ. من هنا، فقد قرر ابن عاشور (توفي١٩٧٣م) أن ''أدلة الشريعة اللفظية لا تستغني عن معرفة المقاصد الشرعية.''[10]

وفي ضوءِ ما سبق، فإنَّ مقاصد القرآن تعبيرٌ عن فلسفة وحكمة السورة الذي ترجع إليها دلالات السورة ومضمونها؛ لتسري في جميع أجزاء السورة.

وفي هذا السياق، يذكر الشاطبي (توفي٧٩٠هـ) -المنظّر لعلم المقاصد- أنَّ القرآن الكريم كلية الشريعة، وينبوع الحكمة، وعمدة الملة؛ لذا، فمن الضَّروري لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وجليسه على تراخي الأيام والليالي.[11]

ولم تتباين آراء العلماءُ في تحديد مقاصد القرآن عموما، ولا في الأهداف والمبتغيات. بيدَ أنهم تباينوا بشأن تحديدها بالضبط، وتَعدادها، وتراتُبها، ومشرَب الوصول إليها، وفهمها وحصرها. ولعلَّ مردَّ هذا التباين راجعٌ إلى تباين أفهامهم.[12]

وتتجلَّى أهمية علم مقاصد القرآن فيما يأتي:

– إنَّ القرآن الكريم ينطوي على أسمى المقاصد، وهو ينبوع النقول والعقول. وإن جميع المقاصد الشرعية في جملتها أو تفصيلها، تصريحًا أوتضمينًا، نابعٌ من هدي القرآن.

– المقاصد القرآنية هي تلك المنهجية السليمة التي تجلِّي فلسفة التناسب بين سور القرآن وآياتها.

– معرفة مناسبات السّورة مسلك مساعدٌ لمعرفة الغرض الذي سيقَت لأجلِهِ السّورة. يقول البقاعي: ''الأمرُ الكُلّي المُفيد بِعِرفانِ مُناسباتِ الآيات في جميعِ القرآن، هو أنّك تنظُرُ الغرض الّذي سيقَت له السّورة.''[13]

– الإلمام بمقصَد السّورة عامل مساعد في تَدَبُّرِها، واستجلاء دقائقِ معانيها وفوائدها.

– مقاصد القرآن تجلّي وجه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وكماله ودقة نَظمه.

– يَبعَثُ هذا العلم على رُسوخِ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللُّب؛ ذلك أنَّ الإنسان إذا دقَّق في معاني القرآن، ومقاصده، عظم عنده الموقع الإعجازي للقرآن.[14]

– إلمام المفسِّر بمقاصد السور القرآنية أداة فعالة لتوجيه ذهنه، وحفظه من الخطأ في تفسيرها؛ ذلك أنه ينتهج البعد المقاصدي، ويدور في نطاقه. ووفقًا لرؤية البقاعي، فإن هذا العلم يساعد في الوقوف:"على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون؛ لتضييع هذا الباب من غير ارتياب."[15]

ثانيًا: مقاصد السور القرآنية عند النورسي

يعدُّ الإلمام بمقاصد السور القرآنية أصلاً رصينًا في فهم كلام الله تعالى وتدبُّره؛ ذلك أنّ معاني السورة لا تتحقق إلا من خلال قراءة مستوعبة لجميعها، واستكشاف مقصدها. يقول الشاطبي: "اعتبار جهة النظم مثلًا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما، لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها."[16]

وعلى الرَّغم من أن الحديث عن مقاصد السور لم يُمسِ جديدًا بالنسبة للنورسي، بيدَ أن الباحث في تضاعيف مؤلفات النورسي يعثر على حجم إضافاته التحليلة في مقاصد السور القرآنية؛ ذلك أن النورسي قد انتهج منهجية مستقلة في استجلاء مقاصد السور القرآنية، بل ومقصد كل آية في القرآن الكريم؛ إذ قرَّر أن كل سورة من سور القرآن في حكم قرآن مستقلٍ، وأن القرآن خطاب لجميع طبقات البشر، ولا يتوفَّر لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت، فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر من سورة، لاسيما الطويلة، حتى صار كل سورة قرآنًا صغيرًا، فسهَّل السبيل لكل أحد، وينادي مشوقًا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.القمر:١٧ ويرى أن هذا من حِكم التكرار في القرآن.[17]

ومن جهة أخرى النورسي يرى أن أفراد البشر ليسوا على درجةٍ واحدة من تدبر كلام الله تعالى، وحسن فهمه، ولمسِ مقاصده؛ لذا يقرر أن كل سورةٍ قد تضمنت مجمل ما في القرآن الكريم من مقاصد؛ لأجل أن لا يحرم من يقرأ سورة فقط عما أنزل له التنزيل؛ ذلك أن في المكلفين الأمي أو الغبي، ومن لا يتيسر له إلا قراءة سورة قصيرة فقط، فمن هاته اللمعة الإعجازية تصير السورة قرآنًا تامًا لمن قرأها.[18]

ويقرِّر النورسي أن الآية القرآنية هي الينبوع الذي تتدفق منه المقاصد القرآنية، فالآية هي البذرة لتلك المقاصد، ويرسِّخ حقيقة أن مقاصد القرآن كلها قد تتبدى في سورة، بل في آية، فيقول: ''كما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة، بل قد يلمح بها في كلام كلام، بل قد يرمز إليها في كلمة كلمة.''[19]

ويـلوح **للباحث** أنَّ هذا البُعد المقاصدي للقرآن في الرؤية النورسية، يعدُّ إسهمًا بارزًا في هذا المضمار، وخطوةً بنَّاءة في تأسيس المدرسة المقاصديَّة لتفسير القرآن الكريم، تلك المدرسة التي لها أثرٌ عظيم في بناء الحضارة والعُمران.

ثالثًا: آليَّات استنباط المقاصد عند النورسي

يعدُّ استنباط المعاني والمقاصد من القرآن الكريم بابًا عظيمًا من أبواب دقَّة فهم الآيات القرآنية وتدبّرها. وقد تباينت أقوال أهل العلم في تعريف الاستنباط، نورد أبرزها فيما يأتي:

١. عرفه النووي (توفي٦٧٦هـ) بقوله: ''قال العلماء: الاستنباط: استخراج ما خفي، المراد به من اللفظ''.[20]

٢. حدَّه الزمخشري بقوله (توفي٥٣٨هـ): ''مايستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضُل ويُهِمّ''.[21]

٣. عرفه الجرجاني (توفي ٨١٦هـ) بقوله: ''استخراج المعاني من النصوص، بفرط الذهن، وقوة القريحة''.[22]

٤. ومن تعريفات المعاصرين للاستنباط أنه: ''استخراج ما خفي، من النص القرآني، بطريق صحيح''.[23] ولعلَّ هذا التعريف يجلِّي المقصود من الاستنباط من القرآن الكريم، وأن الاستنباط يفتقر إلى استفراغ الوسع وبذل الجهد، في استجلاء مقاصد الآيات القرآنية، من خلال أدوات الاستنباط وآليَّاته.

ولاستنباط المقاصد أدواتها وآلياتها، من أبرزها: الاستنباط بدلالة الإشارة، ودلالة النص، ودلالة المفهوم، ودلالة الاقتران، وغير ذلك.

ولأن مرجع الاستنباط هو تدبر آيات القرآن وتأملها، واستنباط ماوراء النص من المعاني والفوائد، والتدبر يأتي بعد فهم الآية، فقد كان النورسي مثالًا بارزًا، وأنموذجًا ساطعًا في استنباط المقاصد من الآيات القرآنية، بتدبرها وتأملها. ومن يقرأ مؤلفاته، يلمس هاته الحقيقة بجلاءٍ، ولعلَّ من ألمع شواهد ذلك، كتابه القيِّم ''إشارات

الإعجاز في مظان الإيجاز''، وكيف اضطلع بتدبُّر الآيات، وكشفِ مقاصدها، واستجلى حِكمها.

وثمَّة أمثلة ناطقة في هذا الشأن، منها: ما استنبطه عن طريق دلالة الإشارة، مثال ذلك: قوله في تفسير سورة الفاتحة: ''لما أنزل ﴿بسم الله﴾، لتعليم العباد، كان (قل) مقدّرًا فيه. وهو الأمّ في تقدير الأقوال القرآنية. فعلى هذا يكون في (قل) إشارة إلى الرسالة.. وفي ﴿بسم الله﴾ رمزٌ إلى الألوهية... وفي تقديم الباء تلويح إلى التوحيد... وفي ﴿الرحمن﴾ تلميح إلى نظام العدالة والإحسان.. وفي ﴿الرحيم﴾ إيماء إلى الحشر... هذا مثالاً، فانسج على منواله''.[24] وأكثر استنباطات النورسي عائد إلى هاته الأداة.

كما أن من آليات الاستنباط عند النورسي قراءة مآلات الآيات القرآنية ومقاصدها، من أمثلة ذلك قوله: ''﴿الم﴾ فإنها تومىء بالمآل إلى: هذا متحدىً به، ومن يبرز إلى الميدان؟ ثم تلوِّح بأنه معجز. وتفكر في ﴿ذلك الكتاب﴾ فإنها تصرح بأنه قد ازداد على أخواته وطمَّ عليها، ثم تلمِّح بأنه مستثنى ممتاز لا يماثل. ثم تدبر في ﴿لاريب فيه﴾ فإنها كما تفصح عن أنه ليس محلا للشك، تعلن بأنه منور بنور اليقين...''[25]

ومن أدوات الاستنباط عند النورسي -أيضًا- ترابط الآيات القرآنية وتماسكها وتناسبها. يقول: ''اعلم أنه ما من كلمة في التنزيل يأبى عنها مكانها، أو لم يرض بها، أو كان غيرها أولى به. بل ما من كلمة من التنزيل إلا وهي كدُرٍّ مرصع مرصوص متماسك بروابط المناسبات؛ فإن شئت مثالا تأمل في ﴿من قبلك﴾ كيف ترى اللطائف المتطايرة من جوانب هذه الآية توضّعت على هذه الكلمة الفذة. فإن ﴿من قبلك﴾ تشربت وتلونت -فترشح وترمز بخمس لطائف- المناسبات المنعكسة من المقاصد الخمسة المندمجة في مسألة النبوة المسوقة لها هذه الآية. أما المقاصد المندمجة فهي أن محمدًا ﷺ نبي، وأنه أكمل الأنبياء، وأنه خاتم الأنبياء، وأنه مرسل لكافة الأقوام، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وجامعة لمحاسنها''.[26]

كذلك من آليات الاستنباط عند النورسي تحقيق المناط، وتنقيح المناط اللذين هما من مسالك الاستنباط المعتبرة عند علماء الأصول، فيذكر أن كلمة ﴿من قبلك﴾ تترشح بأن الحجج على نبوة من قبله وصدق كتبهم، حجة بمجموعها بتنقيح المناط وتحقيق المناط بالقياس الأولَوي على نبوة محمد ﷺ ونزول كتابه.[27]

ومن منهج النورسي في الاستنباط العمل بمفهوم المخالفة؛ ذلك أنه يذكر أن إشمام المفهوم المخالف لقوله تعالى: ﴿من قبلك﴾ يلمح إلى أن محمدًا خاتم الأنبياء.[28]

ومن أدوات الاستنباط عند النورسي-أيضًا- القياس الأولوي،[29] والاستقراء التام.

رابعًا: المقاصد الأساسية في القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران

يرنو هذا العنوان إلى الكتابة عن المقاصد الأساسية في القرآن عند النورسي، واستجلاء دورها النشيط في بناء الحضارة والعمران. يروم البحث من المقاصد الأساسية تلك الأهداف الاستراتيجية التي جاءت الشريعة الإسلامية؛ ابتغاء تحقيقها فيا لحياة. لقد أثبت النورسي في معظم مؤلفاته المقاصد الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم، فيقول: ''إن المقاصد الأساسية من القرآن، وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة.''[30] ويجلي أن هاته المقاصد، مبثوثة في كل جهةٍ من جهات القرآن. وهاته الرؤية المقاصدية قد غلبت على تفسيره ومدوَّناته.

ومن هنا، فإن استقراء وتتبُّع مصنفات النورسي، يفضي إلى نتيجةٍ، مفادها: أنَّ للقرآن الكريم مقصدًا كليًا جامعًا، تستند إليه جميع المقاصد الأخرى، وتتشعب عنه، وتستمد منه قوتها. ويجلي النورسي ذلك المقصد الجامع الأعظم، والمهامَّ الرئيس الذي جاء به القرآن الكريم بقوله: ''أيهاالإنسان! إن المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية''،[31] مشيرًا إلى أن مقصد المقاصد، هومعرفة الله تعالى، وعبادته. ويومىء إلى ذلك بقوله أحيانًا: ''إنّ القرآن بمجموعه قوت وقوة للقلوب.''[32]

ولما كان أساس وجود الخلق، هذا المقصد الكلي، فقمينٌ بكل إنسان أن يعرف هذا المقصد، مهما كان مستواه العلمي؛ لذا يقرِّر النورسي أنَّ المقصد الأبرز من القرآن الكريم هو إرشاد الجمهور الذين هم أكثرية الناس؛ إذ أن خاصَّةَ الناس يستطيعون الانتفاع من مشرب العوامّ، دون العكس.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن النورسي قد جلَّى فلسفة ومغزى الوصول إلى المقاصد الأساسية الأربعة، وأوضح أن سبيل معرفتها هو طريق الفطرة التي خلق الله تعالى الإنسان عليها؛ ذلك أن كل إنسان يوجِّه إلى نفسه أسئلة فطرية، ليعرف أين المبتدأ؟ وإلى أين المنتهى؟ وماذا يصنع في هذا الوجود؟ ومن سلطان هذا الكون؟[33]

وينجلي للباحث مما سبق بيانه أن النورسي بتقريره لتلك المقاصد الأساسية الأربعة، قد حسم المشكلة التي شغلت الفلسفة منذ نشأتها، وباءت كل محاولاتها بالفشل الذريع، ودامت في معاناتها الفكرية؛ إذ أرادتِ الفلسفة إسعاد الإنسانية عن طريق الحسِّ، وتحميل العقل أزيد من طاقته فحسب، متناسيةً محدودية العقل الإنساني، ومتجاهلةً أن الحسَّ وحده لا يثبت كل شيء. من هنا، كانت الفلسفة إلى الآن معاناةً فكرية فاشلة في طريق البحث عن ماهية الوجود وأسراره، والإجابة عن الأسئلة الفطرية للإنسان.

ويحسن في هذا السياق التعريف بمقاصد القرآن عند النورسي وأهيمتها في بناء الحضرة والعمران.

١. مقصد التوحيد ودوره في بناء الحضارة والعمران

عدَّ النورسي التوحيد من أولى المقاصد الرئيسة في القرآن الكريم، فهو الغاية الكبرى، والمحور الأساس، والركن الرَّصين في مشروعه التجديدي، وهو أمّ مقاصد القرآن العظيم، جاعلاً التوحيد وسيلة فعالة لتجديد الدين في المجتمع، قائلاً: ''ليس هناك أهم، ولا أعظم مسألة في الوجود من التوحيد والآخرة.''[34] ومن هنا، باتَ مقصد التوحيد من أبرز معالم فكر النورسي، وأهمّ مصطلح في منظومته الفكرية؛ إذ كانت جميع أعماله العلمية نابعًا من التوحيد، مسخِّرًا حياته العلمية لتبيانه والذَّود عنه، متصدِّيًا لجميع ضروب التطرف والإلحاد.

وفي هذا السياق، فإنّ النورسي يرسِّخ أن مفهوم (التوحيد الحقيقي) يبرز في ''الإيمان بيقينٍ أقرب ما يكون إلى الشهود، بوحدانيته سبحانه، وبصدور كل شيء من يد قدرته،وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في ربوبيته، ولا نِدَّ له في ملكه، إيمانًا يهَب لصاحبه الاطمئنان الدَّائم، وسكينة القلب، لرؤيته آيةَ قدرته، وختم ربوبيته، ونقش قلمه على كل شيء، فينفتح شباك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه''،[35] وهاته الرؤية النورسية للتوحيد تبين أن التوحيد ليس تصورًا ذهنيًا، أو اعتقادًا قلبيًا فحسب، بل هو أسمى العبادات الإيمانية، وأقوى الفرائض الفطرية.

ويتَّضح من كتابات النورسي أن مفهوم التوحيد عنده قائم على (المشاهدة)، فيقول: ''إن الجمال الإلهي، والكمال الرباني، يظهران في التوحيد، وفي الوحدانية. ولولا التوحيد لظل ذلك الكنز مخفيًا! نعم، إن الجمال الإلهي، وكماله الذي لا يحدُّ، والحسن الرباني ومحاسنه التي لا نهاية لها، والبهاء الرحماني وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، والكمال الصمداني وجماله الذي لا منتهى له؛ لا يشاهد إلافي مرآة

التوحيد!"[36] ومن هنا، فإن التوحيد الحقيقي في النظرة النورسية هو تصديق وإذعان بشكلٍ يمكِّن المرء من الاهتداء إلى ربه من خلال كل شيء.[37]

وقد أبان النورسي أن من ثمرات هذا التوحيد الحقيقي: اللطف، والجمال، والحلاوة، واللذة، والنورانية التي تفضي كلها في الأخير إلى إخلاص التوجه إلى الله سبحانه وتعالى.

أما براهين التوحيد، فقد استشهد النورسي على أن التوحيد مقصِد قرآني، بالأدلة الفطرية، والمنطق العقلي، وبيان ذلك فيما يأتي:

– إنّ جميع الموجودات من الذرات إلى المجرات، كل منها برهان ساطع على وجوب وجود الله سبحانه، وهو الواجب الوجود، والقدير المطلق، وكل سلالة من السلاسل الموجودة في العالم حجة قاطعة على وحدانيته.[38]

– دليل التمانع استشهادًا بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.الأنبياء:٢٢ ذلك أن هذا النظام المحكم الدقيق السائد في هذا الكون الفسيح برهان على وحدانية الله تعالى، وهو منزه عن جميع النقائص؛ ذلك أنها تنشأ من عدم استعداد ماهيات الماديات، والله تعالى منزه عن مجرد الماديات.[39]

وليس من مطالب البحث إشباع القول في جميع شواهد التوحيد عند النورسي، إلا أننا نؤكد أنَّ القرآن الكريم لم يتحدَّث عن شيء بالتفصيل وكثرة الاستدلال، مثلما كتب عن التوحيد؛ ذلك أنه أصل الإسلام، وجميع مشكلات المسلمين نابع من ضعف التوحيد. ومن تتبَّع آيات التوحيد يلفي مدى فعالية التوحيد وإيجابيَّته في بناء حضارة إيمانيَّة ثاوية على تحقيق التَّوازُن المادِّي والرُّوحي للإنسان، وهو الكفيل بإنقاذ إنسان الحضارة المادِّيَّة المعاصرة من أتاوِهة الضَّياع، ومن الأزمات النفسيَّة التي يئنُّ منها.

وينجلي دور التوحيد وموقعه في بناء الحضارة والعمران في أن العمران الحضاري مقصد أساس من مقاصد التوحيد، وهو يحدد أبعاد دور الإنسان في الكون والحياة، ويحقق فعالية الإنسان، ويؤسس دافعية العمران، والترقي فيه. يقول النورسي: "فما أحوج روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة؛ إلى حقائق العبادة، والتوكل، وإلى التوحيد، والاستسلام."[40]

أبرز النورسي موجَبات التوحيد، وتجليَّاته الإيجابية على الإنسان، فكشف أنَّ التوحيد أصل جميع الكمالات، ومنشأ المقاصد الرفيعة، وينبوع الحِكم التي أودعها الله تعالى في خلق الكون، وهو العلاج الشافي لاطمئنان رغبات كل ذي شعور، وذي

عقل، ولاسيما الإنسان. والتوحيد وحده هو الكفيل بإحلال الطمأنينة والسكينة في تلك الرغبات المتأججة عند الإنسان؛ لذا، فإن القرآن الكريم يتحدث عن التوحيد بكل حرارة وشوق، ويكرره بكل حلاوة وذوق. ويجد الأنبياء والأولياء والعلماء منتهى سعادتهم في كلمة التوحيد (لا إله إلا هو).[41]

ووَفقًا للرؤية النورسية، فإن الله تعالى قد وهب الإنسان مقامًا ساميًا، وسخر له هذا الكون الفسيح، وجعله له مهادًا ومسكنًا، ثم نصبه خليفة في الأرض، وحمَّله الأمانة الكبرى التي أبتِ السموات والأرض والجبال أن يحملنها، وفضله على سائر المخلوقات،[42] كل ذلك، ليقوم بوظيفة الاستخلاف في الكون، وإعمار الأرض وَفق منهاج الله تعالى وشريعته، وتحقيق العبوديَّة لله تعالى، والعدل في الأرض، والإحسان للعباد والبلاد،فأمستْ مسؤولية هذا الإنسان عظيمة، ورسالته في الكون هي بناء الحضارة التي تحقق العبودية لله تعالى بمفهومها الشامل لعمل الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾. هود:٦١

ويتجلى من الآية أن الله تعالى كلّف الإنسان بعمارة الأرض، وإصلاح حالها لتصير قابلة للانتفاع بها،كذلك يستفاد منها أن الإنسان مستخلف في الأرض ومكلَّف بعمارتها وَفق الشرع الإسلامي. وأضاف النورسي أن الاستخلاف ذو معنى تعبدي، أي: أنه استخلاف وظيفي، وراجع إلى نيابة كلية شاملة عن سائر الكائنات، واقتضت خلافة الإنسان في الأرض أن: ''يعرض صنائع الخالق البديعة، وينظمها بشكل جميل جذاب في هذه الدنيا.''[43]

وإذا اتّضح هذا، واستبان وجهه، تيسَّر القول بأن النورسي بتدبره في القرآن الكريمقد توصَّل إلى أن الإنسان هو ''قائد الموجودات''،[44] وأن الكون مسخَّر له، فيقول: ''اعلم أن مفتاح العالم في يد الإنسان وفي نفسه. فالكائنات -مع أنها مفتحة الأبواب- منغلقة. فالحق سبحانه أودع في الإنسان -من جهة الأمانة- مفتاحًا يفتح به كل أبواب العالم''،[45] ويبين أن الإنسان أكرم ضيف في قصر الكون، وأنشط موظَّف أذن له بالتصرف في سكنة ذلك القصر، وهو مأمور مكلف عن حرث مزرعة الأرض، ومسؤول عن وارداتها ومصاريفها، ويفتش ويبحث في مملكة الأرض، ويعمل تحت رقابة الله تعالى.[46]

ويبرز النورسي أن التوحيد يمنح معنىً وقيمة وغايةً لحياة الإنسان؛ إذ فيه وقاية للإنسان من السقوط في دائرة السلبية، وانعدام الفاعلية في الحياة، فيقول: ''إن الإيمان مثلما ينقذ الإنسان من الإعدام الأبدي أثناء الموت، فهوينقذ دنيا كل شخص أيضًا من ظلمات العدم والانعدام والعبث.''[47] وإنما سخّر الكون للإنسان؛ ليمارس نشاطه المعنوي والمادي كاملاً؛ إذ جعل الحي القيوم سبحانه الإنسان محورًا للكون، وسخّر الكون له، فمدّ أمامه سفرة عظيمة عظم الكون؛ لتتلذذ أنواع معداته المادية والمعنوية.[48]

ولهاته العبارات التي استلهمها النورسي من روح المقاصد القرآنية، دلالات عميقة، وأبعاد عديدة، وبذا، يظفر الإنسان بقيمته الحقيقية في الكون، وسيادته على الكائنات. وأنه مستخلَف في الأرض من أجل توظيف جميع طاقاته؛ قصد تحقيق وحدانية الله تعالى، وإعمار الأرض.

وغني عن البيان، أن القرآن الكريم قدَّم مجموعةً من المقتضيات المنهاجية تعد مرتكزات أساسية لكل حديث عن تأسيس العمران، وفي مقدمة تلك المرتكزات مفهوم التوحيد بوصفه العمود الفقري في تكوين وبناء الرؤية الكلية عن الكون والحياة والإنسان، في نطاق الرؤية القرآنية. ونتيجةً لذلك، فإن أي حديث عن العمران في القرآن الكريم يجب ألّا ينفصل عن التصور العقدي الناظم لعلاقة الإنسان بالكون ضمن الرؤية القرآنية؛ ذلك أنّ التوحيد هو أو لمقاصد الشارع.

ووفقًا لرؤية النورسي، فإن الأرض -وهي قلب الكون- تعد مشهرًا لعجائب مصنوعات الله البديعة، ومحشرًا لغرائب مخلوقاته الجميلة، وممرًا لقافلة موجوداته الغزيرة، ومسجدًا للعبادة. هذه الأرض تُظهِر من شعاع التوحيد ما يملأ الكون نورًا وضياءً.[49]

وينطلق النورسي من التوحيد المطلق لله تعالى في قراءة الكون، فهو الذي يعالج طلسم الكون، وهذا التوحيد ليس تقريريًا، ولا تلقينًا، ولا ترديديًا، ولا تقليديًا، بل استكشافيًا؛ ذلك أن هذا التوحيد يأخذنا في جولة استكشافية في أعماق النفس الإنسانية، ويطوف بنا في أنسجة الروح، والفكر، والضمير، ويستنطق ذاكرة الكون الموؤدة تحت ركام علوم العصر، لتحدِّثنا عن آثار التوحيد. ولا يتركنا إلا ونحن قد اكتشفنا (التوحيد)، ووجدناه في أشد الأشياء الكونية والنفسية بداهةً. ومن ثمَّةَ، ينغرس في أعماق الأرواح والضمائر الإنسانية، ويهز هذا التوحيد الاستكشافي أغوار النفس البشري، ويفعم الذهن بطاقات الذكاء، ويقوّي في الوجدان أجهزة التلقي عن الكون

والحياة، وينتج من ذلك، أن يستمر المسلم كشَّافًا رائدًا لأعمق الحقائق في الكون والإنسان، وهذه الديمومة لا تتوقف حتى تتوقف حياة المسلم، وبذلك يزيد فهمه، ويتسع وعيه، ويضحى أداةً خصبةً في الوجود ودائرة الحياة.[50]

ومن هنا، فإن مهامَّ الإنسان في هذا الكون، وتحقيقه لجوهر مصطلح العبادة التي كلّف بها بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾الذاريات:٥٦ هو اضطلاع الإنسان بإعمار الكون، قال ابن عاشور: ''فالمعنى أنّه المستغني غنى مطلقًا فلا يحتاج إلى شيء، فلا يكون خلقه الخلق لتحصيل نفع له، ولكن لعمران الكون وإجراء نظام العمران باتباع الشريعة التي يجمعها معنى العبادة.''[51]

ولما كان إعمار الكون ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية؛ فقد أسهب القرآن الكريم في إبراز مهمة الإنسان في هذا الكون الذي هو الساحة التي على الإنسان أن يقوم بمهمته الاستخلافية فيها، ونتيجةً لذلك، هيأ الله تعالى للإنسان كل ما يتوقف عليه العمران؛ لذا سمَّى النورسي الأرض ''قلب الكون''،[52] حيث جعل في الأرض قابليةً للعمران.

وإذا تمهَّد هذا، أدركنا بيسر وسهولةٍ أن رؤية النورسي للتوحيد نابعةً من المقاصد القرآنية الكلية التي تعد رؤية توحيدية إعمارية حضارية، توجه خطوات الإنسان نحو البناء والإعمار؛ ذلك أن التوحيد هو الروح المؤثرة في تحريك وتوجيه الإنسان والمادة. ولذلك لم تدُم الحضارات النائية عن توحيد الله تعالى، وشرعه القويم، والقائمة على العمران والبناء لا غير، بل كانت عاقبتها الزوال والاندثار والانهيار. وقد سجّل القرآن الكريم زوال أكبر الحضارات مدنية وعمرانًا في وقتها، مثل: عاد، وثمود، وقوم فرعون وغيرها؛ لأنها لم تكن على التوحيد.

وتحقيقًا لمقصد التوحيد، ودوره في بناء الحضارة والعمران، نبّه النورسي إلى خطر الفصل الذي حصل بين العلوم الإسلامية، والعلوم التجريبية، وعدّه من أهمّ عوامل ضعف تأثير هذا المقصد العظيم في حياة المسلمين؛ لذا، دعا إلى مزج العلوم الكونية الحديثة، وإدراجها مع العلوم الدينية في رحاب معرفي واحد. وحقيقة الأمر أنّه لا مفرّ من فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، بفتح نبع صافٍ لتلك العلوم بحيث لا يهرب منها أهل المدارس الدينية، ويذكر أنه نبَّه مرارًا بأن فهمًا خاطئا، وتوهمًا مشؤومًا، قد أقاما -لحدالآن- سدّين أمام جريان العلوم.[53]

توصل الباحث بعد عرضه لهذه الشذرات التأصيلية إلى أن النورسي قد أعطى مقصد التوحيد حقه؛ إذ جعله من أولى المقاصد القرآنية، ثمَّ جلَّى دوره الحيوي،

وموقعه المؤثر، في بناء الإنسان، وإعمار الكون، وتأسيس الحضارة. وفي ضوء الرؤية النورسية للتوحيد، فإن الباحث يقترح ما يأتي:

– انتهاض علماء المسلمين الثِّقات بإحياء مقاصد التوحيد في صفوف المسلمين، في العالم، وتوظيف روح التوحيد في بناء الحضارة والعمران؛ ذلك أن التوحيد هو الدافع الرئيس للعمران الحضاري، والحضارة القائمة على التوحيد تضحى متينةً محكمةً لا تهزها عواصف المادة، ولا توهنها رياح الكسل والعجز والتشاؤم.

– الاستفادة من المدرسة المقاصدية لتفسير القرآن الكريم؛ إذ أنها جزء أساس من النبع الذي ينضب منه تأسيس حضارة إسلامية تستلهم حيويتها ونشاطها من مقصد التوحيد، والانتفاع من الرؤية النورسية للتوحيد، في هذا الشأن.

٢. مقصد النبوة ودوره في بناء الحضارة والعمران

يعدُّ النورسي النبوة مقصدًا قرآنيًا رئيسًا، واحتفلت رسائل النور بهذا المقصد احتفالاً كبيرًا،فحدَّثت عن النبوة، وعن النبي محمد ﷺ من حيث أنه أبين حجة، وأصدق شاهد، وأسطع برهان على وجود الله العليم الخبير. ثم جلَّى أن أفعال الله تعالى منزهة عن العبث، وأن افتقار الناس إلى مرشد ضرورة، وهذا يستلزم قطعًا النبوة في نوع البشر. كذلك كشف الحكمة من إرسال الرسل، وفلسفة حاجة الناس إليهم على الشكل الآتي:

– إن قابلياتِ البشر محدودة، وهو يدرك قصور نظره في صنعته، وكثرة الأوهام عليه، وافتقاره في جبلته الإنسانية، وهذا العجز الإنساني، والضّعف البشري، دليل على حاجة الإنسان إلى نبي مرشد؛ قصد الحفاظ على النظام المتقن في العالم. ولما لم يكف ميل الإنسان الطبيعي، وسوق إنسانيته، وقصر نظره، والتباس الأوهام في عقله، افتقر الناس إلى مرشد، وهو النبي. كذلك عدم كفاية قانون الإنسان لتنظيم وتسيير شؤون حلائب الحياة، يقتضي شريعة إلهية حية خالدة مرسلة مع نبي مجتبى. ومن هنا، فإنسرَّنظامالكون، وقصور العقل الإنساني، يقتضيان ضرورة النبوة للبشرية، ذلك‘‘ أن القدرة الإلهية التي لم تترك النمل من دون أمير، والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتمًا البشر من دون نبي، من دون شريعة.‘‘[54]

– إن اعتدال مزاج الإنسان، ولطافة طبعه، وميله الفطري إلى العيش اللائق بالإنسانية لا يكتمل إلا بتحقيق العدالة بين الناس، ولأن عقل كل إنسان غير كافٍ في درك العدالة، فأمستِ النبوة في نوع البشر ضرورة مطلقة.

أورد النورسي شبهةً من شبهات الملاحدة، مفادها: أن أحوال الملحدين وأصحاب الأديان المنحرفة تجري على وفق العدالة والنظام؟

ثم نقضها وفنَّدها، فأجاب بأن تلك العدالة والانتظام إنما منشأهما تذكير أهل الدين وإرشاداتهم؛ ذلك أن الأنبياء أرسوا أسس العدالة والفضيلة، ثم أخذ هؤلاء بالفضيلة وعملوا بها ما عملوا. أضِف إلى ذلك، أن نظامهم وسعادتهم ليس دائمًا بل مؤقتًا، فهو إن كان قائمًا من جهة، فهو منحرف ومائل من نواحي عديدة.[55]

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ قيمة الإنسان مستقاةٌ من مقصد النبوة استردادًا وبناءً وتذكيرًا، وعلى هذا، فإن النبوة مصدر هامّ لاسترداد الإنسان خيريَّته؛ ذلك أن النبوة تتضمن محفِّزات موضوعية فعالة في استرداد وإيجاد دافعية الخير حال تضييعها. أضِف إلى ذلك، أن النبوة تؤكد على صيانة الخيرية والدفع على تنشيطها. كما أنّ الإيمان بالنبوة يؤسس لليقين بأنّ الغلبة المطلقة ستكون للخير، وللدين الحق في المستقبل، حتى يكون الخير والفضيلة غالبين على الإنسانية.[56]

وعلى هذا، فإن النبوة ترمي دومًا إلى تأسيس الفعالية والتدافع الحضاري في حياة المسلم، وهي سبيل جلب السعادة الدنيوية، وبرهان ذلك: أن ما ناله المسلمون من سعادةٍ دنيوية عائدٌ إلى الاقتناع بما جاءت به النبوة من تعليماتٍ ملأت آفاق الكون بالخير سعيًا وكسبًا وعطاءً؛ إذ ترسَّخت فيهم النبوة الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، وكانوا يشاهدون الحكمة في مقصد النبوة، ويتلقون العبر والعظات من حوداث الحياة، بدلاً من الخوف والهلع منها؛[57] من أجل ذلك، فإنَّ الانتماء إلى مسلك النبوة يثمر خدمةً اجتماعيةً للخلق جميعًا؛ ذلك أنّ رأس الأبعاد الوظيفية لمسلك النبوة أن يمسي الإنسان بذَّالاً للخير للناس.

وينبغي الإلماعُ إلى أنّ وظيفة النبوة ليست حكرًا على تعليم العلوم الإلهية والسمو بعالم الروح، بل تمتدُّ لتلقِّن الناس العلوم الإلهية والحكمة الربانية، فجمع فيهم سلطنة الدنيا السعيدة وسعادة الآخرة الخالدة.[58] وبذلك يظهر أنَّ قراءة الأنبياء للكون قد أنجَزتْ نوعين من الرقي للإنسان: المعنوي بالوصول إلى الكمالات الروحية التي ترقّي إنسانية الإنسان، والمادي بالوصول إلى كل أسباب الراحة من منتجات العلوم والتِّكنولوجيا.

من هذا المنظور، فإن تجليّات مقصد النبوة لم تكن حكرًا على الرقي المعنوي الذي ناله الإنسان باتباع الأنبياء، وخروجهم من الضلالة إلى الهداية، والخلاص من عبودية الأشياء إلى عبادة الله تعالى، بل رافق ذلك إثارة القابليات والكفاءات الكامنة

عند البشر في الجوانب العقلية والمادية. ومن هنا، كانت معجزات الأنبياء حوافز عظيمة للبشر؛ قصد استثمار ما أودع الله تعالى فيهم من القدرات، وما سخَّر لهم في الكون من الأشياء. يقول النورسي: ''يبين القرآن الكريم أنَّ الأنبياء عليهم السلام قد بعثوا إلى مجتمعاتٍ إنسانية؛ ليكونوا لهم أئمة الهدى يُقتدي بهم، في رقيهم المعنوي، ويبين في الوقت نفسه أن الله قد وضع بيد كل منهم معجزة مادية، ونصبهم روادًا للبشرية، وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضًا. أي إنه يأمر بالاقتداء بهم واتباعهم اتباعًا كاملاً في الأمور المادية والمعنوية.''[59]

ومما يجب الإعرابُ عنه، أن النورسي بفكره الثاقب، وبصيرته القوية، تمعَّن في المعجزات المادية للأنبياء، وسعى إلى الربط بين تلك المعجزات، وأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من رقي؛ قصد استثمار ما حوله من المواد والأشياء. وفي حدود اطلاع **الباحث**، فإن النورسي قد انكشف في هذا المضمار، مالم يكشفه أحدٌ قبله. ومن الأمثلة التي تجلِّي هذا، أنه يتحدث عن معجزة تسخير الريح لسليمان عليه السلام التي أفادت أنه قطع في يوم واحد مايقطع في شهرين، قائلاً: ''فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء. فيا أيها الإنسان! حاول أن تبلغ هذه المرتبة، واسعَ للدنو من هذه المنزلة ما دام الطريق ممهدًا أمامك... إن عبدًا من عباد يتركه وبنفسه، فحملتُه فوق متون الهواء وأنت أيها الإنسان إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيدًا من قوانين سنتي الجارية في الكون، يمكنك أيضًا أن تمتطي صهوة الهواء.''[60]

ويستطرد فيذكر أن معجزة عيسى عليه السلام بشفاء أصحاب الأمراض المستعصية توحي بأنه ''يمكن أن يُعثر على دواء يشفي أشد الأمراض المزمنة والعلل المستعصية، فلا تيأس أيهاالإنسان! ولا تقنط أيها المبتلى المصاب، فكل داء مهما كان، له دواء وعلاجه ممكن، فابحث عنه، وجِدْه، واكتشفه، بل حتى يمكن معالجة الموت نفسه بلون من ألوان الحياة المؤقتة... أيها الإنسان! بوسعك أن تجد في صيدلية حكمتي دواء لكل داء يصيبك، فاسعَ في هذا السبيل، واكشف ذلك الدواء، فإنّك لا محالة واجده وظافر به.''[61]

ويـــلوح للباحث أن معجزاتِ الأنبياء من منظور النورسي دوافع قوية، وحوافز عظمية، في بناء الحضارة والعمران، ويمكن الاستفادة منها بتطوير علوم الطب والصيدلة مثلما كان ذلك متوفرًا في معجزة عيسى عليه السلام عند معالجته للمرضى وإحيائه للموتى بإذن الله تعالى. كذلك اختراع ضروبٍ متنوعةٍ من تكنولوجيا النقل

والمواصلات مثلما كان ذلك متاحًا في معجزة سليمان عليه السلام عندما قطع مسافة شهرين في يوم واحد. كذلك الانتفاع منم عدن الحديد في تطوير الصناعات المختلفة مثلما كان ذلك سانحًا عند داود عليهالسلام. والاستفادة من الماء وإنقاذ الإنسانيةمن الظمأ والجَفاف مثلما كان ذلك متاحًا في معجزة موسى عليه السلام بعصاه. وهكذا دَواليك.

يستشفُّ الباحث من رؤية النورسي العزم على إرسال رسالةٍ قويمةٍ وقويّة للمسلمين في عصره، وفي واقعنا المعاصَر، وهي: نحن نمتلك الكتاب والسنة، فلماذا تأخرنا وتخلفنا؟ وغيرنا تفوقوا في مضامير الإبداع وميادين الاختراع؟

من أجل ذلك، كان خليقًا بالمسلمين السير في مناكب الأرض، واكتشاف أسرار الكون، والاستفادة منها؛ خدمةً للإنسانية كلها. وهاته الآفاق التي فتحتها المعجزات النبوية للإنسان، فيحقل التقدم العلمي، تومىء إلى ضرورة النبوة في حياة الإنسان. وللنورسي كلمة يُستضاء بها في هذا الصدد، فيقول: ''إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء، إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضًا حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله.''[62]

ووفقًا لرؤية النورسي، فإن الأنبياء قد بينوا للبشر سر وحكمة وجودهم في هاته الدنيا، وأجابوا على أسئلتهم الفطرية من حكمة الخلق والوجود، تلك الأسئلة التي عجزت الفلسفة بفلاسفها، والحكمة بحكمائها، في الإجابة عليها. فالرسول ''يجيب عن ألغاز الأسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات: من أين؟ وإلى أين؟ ومتى تكون؟ أم هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرَّف نفسه إلى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة، وحببها إليهم بنعمه الغالية، أن لا يبيّن لهم بوساطة رسول، ما يريد منهم ومايرضيه إزاء هذه النعم السابغة؟''[63]

٣. مقصدالحشر الجسماني ودوره في بناء الحضارة والعمران

أولى النورسي مقصد الحشر الجسماني عنايةً فائقةً؛ إذ احتلَّ مساحةً عريضةً في تراثه ومدوَّناته، من شرحٍ، ودعوة إليه، وجمع الأدلة في شأنه، والتنويع في بناء تلك الأدلة. فقد جلَّى النورسي أن الحشر الجسماني مقصد قرآني، وقد أقام -في ضوء القرآن الكريم- الحجج العقلية، على ضرورة البعث والنشور، والثواب والعقاب. كما

أبان إمكانية وقوع الحشر عقلاً، وأن حياة الخلق لا تصلح إلا به. ونسوق أبرز البراهين التي استشهد بها؛ قصد إثبات هذا المقصد القرآني على الوجه الآتي:

– إن ثلث القرآن الكريم تقريبًا، وأوائل معظم قصار السور، آيات جلية دالة على الحشر، وأن القرآن الكريم ينبىء عن الحقيقة نفسها بآلاف من آياته الكريمة صراحةً أو إشارةً، ويثبِتها بوضوح. كما يترسَّخ القرآن الكريم في افتتاح ما يقارب أربعين سورة أن الحشر لا ريب فيه.[64]

– استعداد الإنسان غير المتناهي؛ ذلك أن آماله ورغباته غير محصورة، وأن أفكاره وتصوراته، وقوته الشهوية والغضبية غير محدودة، وهذا يومىء إلى أن الإنسان قد خلق للسعادة السرمدية. بيدَ أن ما في الدنيا من فوضى واضطراب لا يسع كمالات الإنسان؛ ومن ثمَّ، فهو بحاجةٍ إلى عالم أرحب لا تزاحم فيه، وإن الذي يشبع الإنسان هي السعادة الأبديَّة المخبوءة في صدف الحشر الجسماني.

– يبين أن مسألة الحشر حقيقة راسخة قوية بحيث لا يمكن أن تزحزحها أيّة قوة مهما كانت حتى لو استطاعت أن تزيح الكرة الأرضية وتحطمها؛ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقرّ تلك الحقيقة بمقتضى أسمائه الحسنى جميعها وصفاته الجليلة كلها. وإن رسوله الكريم ﷺ يصدِّقها بمعجزاته وبراهينه كلها. والقرآن الكريم يثبتها بجميع آياته وحقائقه. والكون يشهد لها بجميع آياته التكوينية وشؤونه الحكيمة.[65] فمؤدّى هذا الكون إلى زوال، وليس فيه ما يمكن أن يكون خالدًا، أويتصف بصفات الخلود، فزواله مؤذنٌ ببداية حياة آخرة. وهو أمر يشهد له نظام الكون والموجودات كلها.

أما دور عقيدة البعث في بناء الحضارة والعمران، فقد توصل النورسي إلى نتيجة صريحة، مفادها: أن هاته العقيدة ضرورية للحياة الإنسانية ولاسيما الاجتماعية؛[66] أنها تحقق المنفعة الفردية للإنسان، وبيان ذلك: أن ما يقلق الإنسان هو التفكير الدائم في مصيره، فإذا لم يؤمن باليوم الآخر، فسيعيش في قلق وإحباط واضطراباتٍ نفسية، قد يفضي إلى الانتحار، أو على الأقلِّ يمسي إنسانًا طالحًا لا نفع فيه. أما إذا كان مؤمنًا باليوم الآخر، فسيشعر بالاطمئنان والسكينة، ويضحى فردًا صالحًا منتجًا. ومن ثمرات عقيدة البعث أنها تربِّي النفس الإنسانية على الصبر وقوة التحمل، وتعزِّز إرادته تلقاءَ المصائب والكوارث التي تصيبه في الدنيا، فيستمرُّ في إعمار الكون.

ووفقًا للرؤية النورسية، فإن عقيدة البعث تثمر المنفعة الاجتماعية المتمثلة في توجيه الصِّلات الأسرية؛ ذلك أن أنها في كثير من الأوقات تتعرض للاضطرابات القاسية، والخلافات الشديدة، بسبب التنازع على المكاسب الدنيوية؛ إذ ''إن كل مدينة

هي بحد ذاتها بيت واسع لسكنتها، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطرًا على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولي عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع."[67]

وليست البلاد بأكملها إلا بيتًا واسعًا جدًا، والوطن بأكمله هو بيت عائلة الأمة، فإذا سيطر الإيمان بالآخرة على الأسرة الصغيرة (العائلة) والأسرة الكبيرة(المجتمع) والأسرة الأكبر (الإنسانية)، وذاع فيها، فتنكشف فيها الفضائل من الاحترام المتبادل والرحمة الجادة، والمحبة الخالصة بلا عوض، وإلا طغت الأنانية التي تقيس الأشياء بميزان دنيوي قصير، فتضحى معاني الفوضى والوحشية والإرهاب حاكمةً ومسيطرةًباسم الأمن والنظام والإنسانية، وتمسي الحياة الاجتماعية متسممًا. ولو وزنت الأشياء بميزان أخروي، لأمست تلك العلاقات الإنسانية مثمرة ومستقرة.[68] ونتيجةً لذلك، يمسي الإنسان إيجابيًا في بيئته، مسهمًا في تنميته؛ من أجل نيل ثواب الآخرة.

أما عن دور مقصد عقيدة البعث في مجال فئة الشباب الذين هم بُناة الحضارات، وعُدّة المستقبل، فقد ألمع النورسي إلى أن لهاته العقيدة دورًا بارزًا في إعداد الشباب للمساهمة في العمران الحضاري؛ ذلك أن الشباب مركز الحياة الاجتماعية، وفورة المشاعر خصيصتهم، فلا تهدأ مشاعرهم، ولا يمتنعون من اقتراف الظلم والدمار، ولا يسلكون السبيل الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا في ظل الإيمان باليوم الآخر. فيضحى الإيمان بالمعاد سببًا رئيسًا في تحويل الشباب والمراهقين من حياةٍ حيوانيةٍ سافلةٍ إلى حياةٍ إنسانيةٍ ساميةٍ. كذلك يمسي عاملاً فعالاً في تهدئة خوفهم، وأنسنة أفعالهم، وإعانتهم على الاستثمار الأفضل لمرحلة شبابهم بحيث ينفعون أنفسهم، ويفيدون مجتمعهم، ويساهمون في بناء الحضارة والعمران. أضِف إلى ما سبق، أن الإيمان بالمعاد يعطي أهمية عظمى لسكان الأرض، يتبادلون منافعها ويتعاونون من أجل خير الإنسانية، وإذا صُرفت سكان الأرض عن هاته العقيدة، فإنها تنقلب إلى ميدان تقاتل واضطراب وصراع. وإذا ما سُلبت الإنسانية حقيقة الإيمان باليوم الآخر، فإن ماهية الإنسان التي هي سامية وحيوية تضحى بمثابة جيفة منتنة ومثوى الميكروبات والجراثيم. ومن هنا، فإن النورسي يوجه سؤالاً إلى علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق وغيرهم من المعنيين بشؤون الإنسان، وأسئلته الفطرية التي دوَّختِ الفلسفة والفلاسفة، بماذا سيملأون هذا الفراغ الذي يئن منه الإنسان؟ وبماذا سيُداوون جروحه الغائرة العميقة؟![69]

كذلك يرى النورسي أن الإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان كائنًا مقتدرًا على فهم الكون ومعضلاته، وإذا فهم الإنسان الكون وقوانينه، فإنه يفهم نفسه أولاً، ثم محلَّه من هذا الكون، فيتحرر من لُغز الخوف، ويصوغ في ضوء ذلك مشاريع الحضارة والعمران، وهذا يمنح الإنسان طاقات الإبداع وقدرات الاختراع، ويبرِز أن الإيمان لا يجعل الإنسان إنسانًا حقًا فحسب، ''بل يجعله سلطانًا؛ لذا كانت وظيفته الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه. بينما الكفر يجعل الإنسان حيوانًا مفترسًا في غاية العجز.''[70]

وإنَّ قراءةً فاحصةً لمنهجية النورسي في الاستدلال على عقيدة البعث، وموجَباتها على الإنسان، وتقويمها بدقةٍ، يبرز **للباحث** أن النورسي من طلائع المجدِّدين الذين جعلوا مشاهد الأنفس وآفاق الكون مسلكًا من مسالك الاستدلال على البعث؛ اقتفاءً بالقرآن الكريم. من هنا، فإن الإيمان باليوم الآخر يطلق القوى الكامنة عند الإنسان في سبيل الإنتاج الدؤوب، ويجعل أبواب الرجاء مفتوحةً في حالتَي المنشط والمكره. ولم يغِب عن النورسي انجلاء دور مقصد المعاد في بناء الكون، وإعمار البلاد، فيقول: ''كما أن الإيمان نور وهو قوة أيضًا. فالإنسان الذي يظفر بالنور الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستندًا إلى قوة إيمانه فيبحر متفرجًا على سفينة الحياة في خضم أمواج الحوادث العاتيةبكمال الأمان والسلام قائلاً: توكلت على الله، ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة إلى يد القدرة للقدير المطلق، ويقطع بذلك سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولةٍ وراحة حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفع طائرًا إلى الجنة للدخول في السعادة الأبدية.''[71]

كما أن العدل إذا لم يتحقق في الدنيا، فيجب أن يتحقق في الآخرة، يقول النورسي: ''فاعلم! أنّا كثيرًا مانرى الظالم الفاجر الغدّار في غاية التنعم، ويمرّ عُمره في غاية الطيب والراحة. ثم نرى المظلومَ الفقيرَ المتدينَ الحسنَ الخُلُق ينقضي عمره في غاية الزحمة والذِّلة والمظلومية، ثم يجئ الموتُ فيساوي بينهما. وهذه المساواة بلا نهاية تُري ظلمًا. والعدالة والحكمة الإلهيتان اللتان شهدت عليهما الكائناتُ منزهتان عن الظلم؛ فلا بد من مجمعٍ آخر ليرى الأول جزاءه، والثاني ثوابه، فيتجلى بالعدالة الإلهية.''[72]

تبعًا لما تقدَّم، تبيَّن للباحث أن مقصد الإيمان باليوم الآخر، في عند النورسي، له دور حيوي في بناء الحضارة والعمران، وحافز قويم، في إعمار الكون؛ ذلك أن النورسي عدَّ عقيدة البعث طاقةً دعوية ضخمةً يجب استثمارها في إحياء الإيمان في

المسلمين، لاسيما عندما يدبُّ الوهن والضَّعف في صفوف المسلمين؛ لأن الإيمان باليوم الآخر له تأثير بليغ في النفوس، يثير عواطف الخوف والرجاء، ويرقق المشاعر، ويحرض على الإنابة إلى الله تعالى، ويستنهض الضمير الديني. ولنيل ذلك، فقد خاطب النورسي الإنسان من حيث العقل والحس والمشاعر والعواطف. كذلك جعل النورسي من الإيمان باليوم الآخر توطئةً لتأسيس الشخصية الإنسانية المسلمة، ومقدمة في بناء الحضارة، وعمران الكون، وتحويل عقيدة البعث إلى طاقة فعالة، وسلوك إيجابي يؤثر في واقع الحياة.

٤. مقصد العدل ودوره في بناء الحضارة والعمران

لا ارتياب في أن للعدل دور حيوي في حياة الفرد والمجتمع، وفي العمران الحضاري. فالعدل من أهم العوامل الحضارية التي يحدِث الشهود الحضاري عند الأقوام المتحضرة، والشعوب المتمدنة، على تراخي العصور، وله دور بارز في تأسيس وحدة الشعوب وإنشاء مستقبل أفضل لها، وإعادة الثقة بالنفس. كذلك يسد العدل الفجوة بين الدولة والشعب، فهو سبب رئيس في بناء الحضارة والعمران؛ ذلك أن عدالة أولياء الأمور في أحكامهم وأقضيتهم وتوزيع الثروات مفضيةٌ إلى تأسيس الحضارة الإنسانية الراقية.[73]

وعند التدقيق في مفهوم (العدالة) عند النورسي، نلمس أن مصطلح العدالة ومصدرها العدل قد ورد على نحوٍ وافرٍ في رسائل النور، وبأبعاد مختلفة، فمنها ما يأخذ بُعدًا خارجًا عن إطار الفاعلية البشرية وتحكمها، وهي العدالة الإلهية. كما نجد إشارات إلى العدالة البشرية، وهي التي تدخل ضمن الفاعلية البشرية، ويسميها (الإضافية) أو (النسبية). وتعد هاته العدالة البشرية جوهر الحضارة التي تحقق السعادة البشرية في الدارين.[74]

من هذا المنطلق، فقد أولى النورسي مقصد العدل عنايةً فائقة؛ إذ أدرك أن العدل أساس الحضارات، وأسُّ عمران الأرض، وبدونه يختل الكون، وتنهار الحضارات، وتسقط المدنيات. بل إن المرء ليندهش أمام النظرة الشمولية للعدل عند النورسي.

لأجل ذلك، فقد سعى النورسي ببصيرته النافذة إلى تأصيل مقصد العدل في القرآن الكريم، فرآى أن ذلك المقصد مبثوثٌ في السور القرآنية كلها، بل في جميع آياتها. ثم يثبت النورسي هاته الفكرة القيِّمة عند تفسيره لسورة الفاتحة قائلاً: ''في ﴿الرحمن﴾ تلميح إلى نظام العدالة والإحسان... وفي ﴿رب العالمين﴾ إيماء إلى العدالة والنبوة

أيضًا.''[75] وهذا التتبع لمقصد العدل عند النورسي برهانٌ ساطع على مدى عنايته بالعدل، وعمقه في الاستنباطات القرآنية.

ولايفوتني الإلماع هنا إلى أن النورسي قد تحدَّث عن العدالة من حيث أنها أساس من أسس مدنية القرآن الكريم، فينشأ عنها السلام، ويزول بها الشقاء،[76] بل جلَّى أن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، في حين أن العدالة القرآنية لا تضحي بحياة برىء واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة؛ ذلك أن قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾، المائدة:٣٢ يضع سرين عظيمين أمام نظر الإنسان:

الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة.

الثاني: لو قتل مغرور بريئًا لحرصه، وهوى رغباته، فإنه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع.[77] ومن هنا، فإن النورسي يرى: ''أن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم ''العدل''؛ إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل.''[78]

ولم يكتفِ النورسي بذلك، بل نعتَ العدالة بسنن الكون، وأساس نظامه، فيقول: ''اعلم! أن الاقتصاد والطهر والعدالة سنن إلهية جارية في الكون، ودساتير إلهية شاملة، تدور رحى الموجودات عليها.''[79]

أما في الحقل الاجتماعي، ونطاق ترسيخ أصول العدالة الاجتماعية، فقد بيَّن أن العدالة التي هي حقيقة قرآنية، ودستور إسلامي، يجب أن توغل في أعماق الحياة الاجتماعية، بحيث أن إفساد هاته الحقيقة ممتنع كامتناع إفساد نظام الكون، والإخلال به، وتشويه صورته.[80]

وأما في الميدان السياسي، ومجال حقوق الإنسان، فقد كان النورسي خبيرًا بأمراض عصره، وما تصيب الأمة الإسلامية من المصائب والمحن نتيجة مظالم حكام المسلمين، بسبب عدم التسوية بين المسلمين، في منح الحقوق السياسية، أو توزيع ثروات الدولة، أو تضعيف المؤسسة القضائية. ولذلك نبَّه النورسي إلى: ''أن العدالة التي لا مساواة فيها ليست عدالة أصلاً.''[81] ويستطرد شارحًا وجهة نظره في المساواة بقوله: ''العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة

والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواءفي نظر العدالةالإلهية مثلما أنهم سواءفي نظر القدرة الإلهية؛ وهذه سنة دائمة.''[82]

من هذا المنظور، فقد اضطلع النورسي بتقسيمٍ نفيسٍ للعدالة؛ إذ قسمها إلى إيجابية وسلبية، أما الإيجابية فهي إعطاء كل ذي حق حقه، وهذا يحيط بكل ما في هذه الدنيا وشامل لها، وهذا القسم ظاهر ظهور الوجود والحياة. وأما السلبية فهي تأديب غير المحقين، وذلك بإحقاق الحق بإنزال الجزاء والعذاب عليهم. وثمة أمارات تدل على هذه الحقيقة في الدنيا، مثل صفعات التأديب التي نزلت بقوم عاد وثمود، بل بالأقوام المتمردة في هذا العصر.[83]

ويوجِّه النورسي الحكام إلى حسنِ السيرة مع الشعوب متمثلين أخلاقَ العظام من الأنبياء والمرسلين أصحاب الحق والعدل، فيقول: ''أيها الحكام! ويامن تسلمتم أمر البلاد! إن كنتم تريدون أن تسود العدالة أنحاء مملكتكم، فاقتدوا بسليمان عليه السلام واسعَوا مثله إلى مشاهدة ما يجري في الأرض كافة، ومعرفة ما يحدث في جميع أرجائها؛ فالحاكم العادل الذي يتطلع إلى بسطراية العدالة في ربوع البلاد، والسلطان الذي يرعى شؤون أبناء مملكته، ويشفق عليهم، لا يصل إلى مبتغاه إلا إذا استطاع الاطلاع -متى شاء- على أقطار مملكته، وعندئذٍ تعم العدالة حقًا، وينقذ نفسَه من المحاسبة والتبعات المعنوية.''[84] كذلك يوجه عنايته إليهم ليحسنوا التعامل مع الرعية مسترشدين بالعدالة؛ صونًا لحكمهم وحفاظًا على هيبتهم، فيقول: ''العدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية، لتصان هيبة الحكومة وعظمة الدولة.''[85]

وفيما يتعلق بمجال الحضارة والعمران، فقد أجال النورسي نظره في مقصد العدل، وكشف أنه خصيصة ثابتة للبنيان الحضاري الإسلامي الشامل للكيان السياسي، والجهاز الإداري، والرصيد الأخلاقي، فتعمق في استجلاء تلك الخصيصة الحضارية، وذلك حين عقد -بحكمته العميقة- مقارنة بديعة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فيقول: ''نعم! إن نقطة استنادها (المدنية-الحضارة الإسلامية) هي الحق بدلاً من القوة. والحق منشأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبة والتجاذب. وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية. وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذَّود عن البلاد عند اعتداء الأجانب. ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد.''[86]

في حين أن المدنية الغربية المعاصرة مبتناة على خمسة أسس سلبية؛ إذ نقطة استنادها هي القوة، وشأنها الاعتداء، وهدفها المنفعة، وهاته شأنها التزاحم، ودستورها في الحياة الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع، والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم، وخدمتها للبشرية فاتنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة.[87]

هكذا يتبيّن لنا، من المقارنة بين الحضارَتين، أنَّ العدالة لها منزلة منيفةعند النورسي؛ إذ عدَّها إحدى الخصائص الأربع التي تولِّدها الحضارة الإسلامية في سياساتها، وإداراتها، وأخلاقها، وتنظيمها، وتنشئة أبنائها، واعتنائها ببثِّ الفضيلة بين جميع أفراد المجتمع، مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

وتأسيسًا على ما سبق، فقد جعل النورسي من أكبر العقبات التي تعرقل طمأنينة المجتمع وأمنه واستقراره هو ترك الساسة لتطبيق العدالة والمساواة بين الناس، وعدم منحهم الحريات الضرورية لحياةٍ طيبةٍ للناس؛ لأنه إذا ترُك المساواة بين الناس، سواء من مؤسسات القضاء في قضائها وقراراتها، أومن الكوادر السياسية والإدارية في إعطاء الحقوق لجميع المواطنين بغضِّ النظر عن لغاتهم وجنسياتهم ومعتقداتهم وسائر ما لهم من الحقوق أو من أجهزة الدولة الأخرى في إعطاء الفرص بدرجات متساوية للمواطنين في الارتفاق بإمكانيات الدولة على حد سواءأو في غيرها، فإذا ترك المساواة بين الناس من ذكرنا فيما ذكرنا استحالت العدالة، واختل توازن المجتمع.[88]

وقد وصَّلت الرؤية النورسية للحاكم العادل نظرية العدل إلى مالم يسبق إليه مثيلٌ؛ إذ الحاكم العادل عند النورسي ليس هو ما تمَّ التحدُّث عنه آنفًا فحسب، بل هو الذي: ''يجد لذة ومتعة ورضى عندما يأخذ حق المظلوم من الظالم، ويجعل الحق يأخذ نصابه، ويفتخر لدى صيانته الضعفاء من شرور الأقوياء، ويسرّ لدى منحه كل فرد ما يستحقه من حقوق.. كل ذلك من مقتضيات الحاكمية والعدالة وقواعدهما الأساس.''[89] والدولة عند النورسي هي العدالة، والشورى، وحصر القوة في القانون.[90]

ولتحقيق مقصد العدالة، فإن من المحال عند النورسي مقارنة العدالة بالقومية والعنصرية؛ ذلك أن الأسس المتبعة فيهما أسس ظالمة لا تتبع العدالة، ولا توافق الحق؛ لأن تلك الأسس لا تسير وَفق العدالة، إذ الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنى له أن يبلغ العدالة![91]

ويجلو للباحث أن استجلاء النورسي لمقصد العدالة بهاته الكثافة في الكمية، والدقة في النوعية، قد أوصل علم المقاصد القرآنية إلى أفق مبين، لاسيما أن النورسي قد مزج هذا المقصد بواقع الحياة البشرية، متحديًا به مسلكيَّات العدالة المزيَّفة التي تدَّعيها المدنية المعاصرة. لقد كان النورسي موضوعيًا في تناوله لمقصد العدل، وبحث في القرآن الكريم ليعلن بكل صراحةٍ ودون مواربةٍ أن العدل أصل أصيل في القرآن الكريم، وهو أساس تقدم الشعوب، وازدهار الحضارات، وبدونه، فلا حديث عن بناء الحضارة والعمران. لقد هزَّ النورسي قلوب المسلمين، واعتبر أن الحلَّ الحضاري للمسلمين يلوح في تطبيق المقاصد القرآنية في الحياة.

خامسًا: دور مقاصد القرآن الكريم عند النورسي في بناء الحضارة والعمران

اعتنى القرآن الكريم ببناء الحضارة، وازدهار العمران؛ ذلك أن القرآن المجيد كتاب كل زمانٍ، وكل مكانٍ، ودستور الله تعالى إلى الإنسانية كلها، تضمَّن الوحي الإلهي وجميع أساسياته. تستطيع الإنسانية بانتهاج القرآن الكريم الحصول على الهداية والنور والرحمة، والتحلي بجميع الفضائل، والتخلي عن كل الرذائل.

إنّ للمقاصد القرآنية التي رسَّخها النورسي، دور حيوي، في بناء الحضارة والعمران؛ إذ تلك المقاصد تقرِّر أن الله تعالى جعل الإنسان خليفته في الأرض، وأسند إليه مهمة عمارة الكون، وتأسيس الحضارة الإنسانية.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ هاته المقاصد تصنع الإنسان الصالح الكفوء الأمين القوي القادر على إعمار الكون، وبناء الحضارة، والانتهاض بمهمة الاستخلاف، وهذا الكون الذي سخره الله تعالى لنا يستحقُّ من الإنسان العمران، يُعمَّر بالعدل والحق، ويُقام فيه حضارة لا تغيب فيها القيم والأخلاق،بيدَ أن الإنسان الطالح الفاسد الفاقد لعنصر التزكية لا يمكن أن يحقق تنمية شاملة ولا قاصرة، فضلاً عن تحقيق العمران الإنساني والكوني.

كذلك، فإن هاته المقاصد القرآنية لا تسمح بالانحرافات الحضارية التي تمسي مدمِّرة للإنسان والبيئة والكون. وتعمل هذه المقاصد على الاستفادة من مسخرات الأرض والسموات، وإحياء الأرض، وتنمية البيئة، والعدالة في التوزيع، وتحقيق السلام العالمي. ومن خلال هاته الرؤية النورسية للمقاصد يستطيع المسلمون الإجابة على التحديات الحضارية.

ومما تجدر بالإشارة إليه هنا، أن الباحث قد جلَّى دور مقاصد القرآن الكريم عند النورسي في بناء الحضارة والعمران، حين الكتابة عن المقاصد مقصدا مقصدا.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن مقاصد قرآن عند النورسي -يقينًا- تولِّد الحضارة والعمران الإنساني، إذا أحسن الإنسان التواصل والتفاعل مع القرآن الكريم ومقاصده.

الخاتمة

انتهى الباحث بعد التفاصيل الآنفة الذكر إلى نتائج، والتوصيات نجملها فيما يأتي:

أولاً: النتائج

١. يسجّل الباحث أنّ البحث في مقاصد القرآن الكريم وإن كان قديما، فإنّ للنورسي حضورا نوعيا قويا فيه يتجلى في رسائله؛ ذلك أن النورسي انتهج منهجية مستقلّة في اكتشاف مقاصد السور القرآنية، بل ومقصد كل آية في القرآن الكريم؛ إذ قرَّر أن كل سورة من سور القرآن في حكم قرآن مستقلٍ، وأن القرآن خطاب لجميع طبقات البشر. وهذا البُعد المقاصدي للقرآن في الرؤية النورسية، يعدُّ خطوةً بنَّاءة في تأسيس المدرسة المقاصدية التي لها أثرٌ عظيم في بناء الحضارة والعُمران.

٢. قرَّر النورسي في معظم مؤلفاته المقاصد الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم، وهي: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة، مجليًا أن هاته المقاصد، المبثوثة في كل جهةٍ من جهات القرآن.

٣. إن من أبرز آليات الاستنباط عند النورسي هي: الاستنباط بدلالة الإشارة، ودلالة النص، ودلالة المفهوم، وتنقيح المناط، وتحقيق المناط، والقياس الأولوي، والاستقراء، وغير ذلك.

٤. عدَّ النورسي التوحيد من أولى المقاصد الرئيسة في القرآن الكريم، وكان مقصد التوحيد من أبرز مهايع رسائل النور، وأضخم مصطلح في منظومته المقاصدية؛ إذ كان جميع أعماله العلمية نابعًا من التوحيد، مسخِّرًا حياته العلمية لتبيانه والذَّود عنه، متصدّيًا لجميع ضروب الإلحاد، مبرِزًا موجَبات التوحيد، وآثاره الإيجابية على الإنسان، كاشفًا أنَّ التوحيد أصل جميع الكمالات، وأنه استكشافي، يأخذنا في جولة استكشافية في أعماق النفس الإنسانية، ويساهم في بناء العمران الحضاري.

٥. أثبت النورسي أن النبوة من مقاصد القرآن العظيمة، وأنه مصدر هامّ لاسترداد الإنسان خيريَّته. كذلك فإن النبوة تؤكد على وقاية الخيرية والدفع على تنشيطها. كما أنّ النبوة تؤسس لليقين بأنّ الغلبة المطلقة ستكون للخير، وللدين الحق في المستقبل.

وهي تروم دومًا إلى تأسيس الفعاليّة والتدافع الحضاري في حياة المسلم، وهي سبيل جلب السعادة الدنيوية، وتمدُّ المسلم بعناصر القوة المعنوية، كما تدفعه لكسب عناصر القوة المادية. كذلك تعدُّ معجزات الأنبياء من منظور النورسي حوافز عظمية، في بناء الحضارة والعمران، وذلك بتطوير علوم الطب والصيدلة مثلما كان ذلك متوفرًا في معجزة عيسى عليه السلام عند مداواته للمرضى وإحيائه للموتى بإذن الله تعالى. كذلك اختراع تكنولوجيا النقل والمواصلات مثلما كان ذلك متاحًا في معجزة سليمان عليه السلام عندما قطع مسافة شهرين في يوم واحد، ومعجزات أخرى.

٦. جلَّى النورسي أن عقيدة البعث مقصد قرآني، وقد أقام -في ضوء القرآن الكريم- الحجج العقلية، على ضرورة البعث والنشور. كما برهن على إمكانية وقوع الحشر عقلاً. وإن ثلث القرآن الكريم تقريبًا، وأوائل معظم السور القصار، آيات جلية دالة على الحشر، وأن القرآن الكريم ينبىء عن الحقيقة نفسها بآلاف من آياته الكريمة صَراحةً أو رَمزًا. كما يترسَّخ القرآن الكريم في افتتاح ما يقارب أربعين سورة أن الحشر لا ريب فيه. وأبان النورسي أن عقيدة الحشر ضرورية للحياة الإنسانية ولاسيما الاجتماعية، وتثمر المنفعة الاجتماعية المتمثلة في ترشيد العلاقات الأسرية، ولها دور بارز في إعداد الشباب للمساهمة في العمران الحضاري، وتحويل الشباب والمراهقين من حياة حيوانية سافلة إلى حياة إنسانية سامية، ويساهمون في بناء الحضارة والعمران.

٧. أولى النورسي مقصد العدل عنايةً فائقة؛ إذ وصفه بأساس الحضارات، وأصَّل مقصد العدل في القرآن الكريم، فرآى أنه مبثوثٌ في السور القرآنية كلها، وأنه من أسس مدنية القرآن الكريم، فينشأ عنها السلام، ويزول بها الشقاء، وعدَّ العدالة من سنن الكون، وأساس نظامه، في الحقل الاجتماعي، والملف السياسي، ومجال حقوق الإنسان، وفيما يتعلق بمجال الحضارة والعمران، فقد أسهمت مدوَّنات النورسي، بشكلٍ جوهري، في إبراز مقصد العدل كخصيصة ثابتة للبنيان الحضاري الإسلامي الشامل للكيان السياسي، والجهاز الإداري، والرصيد الأخلاقي.

٨. تعدُّ الرؤية النورسية للمقاصد القرآنية، تلك الحلقة التي ربطت بين تجليات كتاب الله تعالى المسطور (القرآن)، والظواهر العلمية لكتاب الله تعالى المنظور (الكون)، والتي من خلالها تُفكُّ مغاليق الوجود والكون والإنسان والغاية. كما أنها تلك الإلتماعة المنهجية المعرفية التي توفِّق بين علوم الوحي والعلوم التجريبية، فتكوِّن تكاملاً معرفيًا؛ قصد إحقاق استخلاف الإنسان، من خلال استعمار الكون، وبناء الحضارة.

ثانيًا: التوصيات

١. انتهاض الباحثين في العلوم الإسلامية بإجراء مزيدٍ من الدِّراسات عن المقاصد القرآنية في الرؤية النورسية؛ ذلك أن مفكرًا بقامة النورسي، لا تفيه هذه الدراسة حقَّ قدره، وتفتقر نصوصه إلى مزيدٍ من التمعن والتأمل. وهذه الدراسة محاولةٌ للاقتراب من أفكاره التي لها صلةٌ وثقى بالمقاصد القرآنية.

٢. اتخاذ جميع الوسائل لنشر أفكار بديع الزمان النورسي وأمثاله من علماء المسلمين؛ قصد تنمية الفكر المقاصدي في أوساط المسلمين.

٣. تأسيس مدرسة مقاصدية لتفسير القرآن الكريم، مسترشدةً بهدي علماء التفسير، من المتقدمين والمتأخرين؛ علَّ ذلك يساهم في إيجاد حلول شرعية، لمشكلات العصر، والقضايا المعاصرة، ويلعب دورًا حيويًا في بناء الحضارة والعمران.

٤. السعي للاستفادة من التطبيقات المقاصدية الثاوية في رسائل النور.

٥. اعتناء الباحثين بقراءة رسائل النور، والعكوف على استنباطات ومقاصد وتدبرات واجتهادات الأستاذ النورسي، وترجمتها إلى برامج عملية تطبيقية، ليستفيد منها المسلمون نظريًا وعمليًا وعلميًا.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.
- أبو حليوه، إبراهيم سليم. بديع الزمان النورسي وتحديات عصره، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي واتجاهاته، ٢٠١٠م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.
- البقاعي، برهان الدين أبيا لحسن إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، بيروت: دارالكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي،تحقيق: عبدالرزاق المهدي.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. الموافقات، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.
- النورسي، سعيد. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠١١م.
- النورسي، سعيد. السيرة الذاتية، ترجمة واعداد: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركةسوزلرللنشر، ٢٠١١م.
- النورسي، سعيد. الشعاعات،ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠١١م.
- النورسي، سعيد. الكلمات،ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠١١م.
- النورسي، سعيد. المثنوي العربي النوري، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠١١م.
- النورسي، سعيد. المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركةسوزلرللنشر، ٢٠١١م.
- النورسي، سعيد. صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركةسوزلرللنشر، ٢٠١١م.
- النووي، محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م.
- الوهبي، فهد بن مبارك بن عبد الله، منهج الاستنباط من القرآن الكريم، جدة،مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ط١، ١٤٢٨هـ.

ثانيًا: الدوريات

- الأحمر، عبدالسلام، ''المقاصد القرآنية في فكر النورسي''، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، عدد٩ (يناير٢٠١٤م).
- الدغامين، زياد خليل محمد. ''مقاصد القرآن في فكر النورسي: دراسة تحليلية''، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر،عدد ٢١ (٢٠٠٣م).
- عبدالرحمن، أحمد قاسم، ''سعيد النورسي وأثره في تفسير القرآن الكريم''، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية.
- ئوز، علي قاطي، ''مقاصد القرآن من خلال رسائل النور''، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، عدد٩ (يناير٢٠١٤م).

ثالثًا: المؤتمرات والندوات

- جيجك، محمد خليل. ''النظرة الشمولية إلى العدالة عند النورسي''، المؤتمر العالمي الثامن لبديع الزمان سعيد النورسي: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية من خلال رسائل النور، ٢٠٠٧م.
- جيدل، عمار. ''أهمية مقصد النبوة في رسائل النور''، المؤتمر العالمي العاشر لبديع الزمان: دور النبوة ومكانتها في البحث عن الحقيقة في منظور رسائل النور، مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، ٢٠١٣م.
- الكامل، محمد أحمد، العدالة جوهر الحضارة، المؤتمر العالمي الثامن لبديع الزمان سعيد النورسي: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية من خلال رسائل النور، ٢٠٠٧م.

* * *

الهوامش

[1] دكتوراه في معارف الوحي والتراث/الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، مدرس بجامعة صلاح الدين، كلية العلوم الإسلامية، إقليم كوردستان العراق، أربيل.

[2] الدغامين، زياد خليل محمد، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، عدد ٢١ (٢٠٠٣م).

[3] ئوز، علي قاطي، ''مقاصد القرآن من خلال رسائل النور''، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، عدد٩(يناير ٢٠١٤م).

[4] الأحمر، عبدالسلام، ''المقاصد القرآنية في فكر النورسي''، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، عدد٩(يناير ٢٠١٤م).

[5] أبو حليوه، إبراهيم سليم. بديع الزمان النورسي وتحديات عصره، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي واتجاهاته،٢٠١٠م.

[6] عبدالرحمن، أحمد قاسم، ''سعيد النورسي وأثره في تفسير القرآن الكريم''، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، د.ت.

[7] البقاعي، إبراهيم بن عمر. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ، ج١، ص١٥٣.

[8] البقاعي، مرجع سابق، ج١، ص١٥٥.

[9] ئوز، مقاصد القرآن من خلال رسائل النور، مرجع سابق، ص١٥٩.

[10] ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس، الأردن، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م، ص٢٠٣.

[11] الشاطبي، إبراهيم بن موسى. الموافقات، دار ابن عفان، الأردن، ١٤١٧هـ، ج٤، ص١٤٤.

[12] ئوز، مقاصد القرآن من خلال رسائل النور، مرجع سابق، ص١٥٩.

[13] البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص١٨.

[14] المرجع السابق، ج١، ص١١.

[15] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، ج١، ص١٣.

[16] الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق، ج٤، ص٢٦٨.

[17] النورسي، سعيد. المثنوي العربي النوري، القاهرة: شركة سوزلر للنشر،٢٠١١م، ص٨٥؛ النورسي، سعيد. الكلمات، القاهرة: شركة سوزلر للنشر،٢٠١١م، ص٢٦٦.

[18] النورسي، سعيد. المثنوي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر،٢٠١١م، ص ٢١٢.

[19] النورسي، سعيد. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، القاهرة: شركة سوزلر للنشر،٢٠١١م، ص٢٣.

[20] النووي، محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت: دار الفكر، ط١٩٩٦،١م، ج٣، ص٣٣٤.

[21] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج١، ص٥٧٣.

[22] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١٤٠٥،١هـ، ص٣٨.

[23] الوهبي، فهد بن مبارك بن عبدالله، منهج الاستنباط من القرآن الكريم، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ط١٤٢٨،١هـ، ص٤٥.

[24] النورسي، سعيد. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص٢٣.

[25] المرجع السابق، ص٤٥.

[26] المرجع السابق، ص ٥٦.

[27] المرجع السابق، ص٥٦.

[28] المرجع السابق، ٥٧.
[29] المرجع السابق، ص٥٥.
[30] المرجع السابق، ص٢٢؛ النورسي، سعيد. صيقل الإسلام، القاهرة: شركة سوزلر للنشر،٢٠١١م، ص٢٧.
[31] النورسي، سعيد. الكلمات، مرجع سابق، ص٢٩٣.
[32] النورسي، سعيد. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، مرجع سابق، ص٣٦.
[33] المرجع السابق، ص٢٢-٢٣.
[34] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ٥٢٦.
[35] المرجع السابق، ص٣٢٦.
[36] النورسي، سعيد. الشعاعات، القاهرة: شركة سوزلر للنشر،٢٠١١م، ص٨.
[37] المرجع السابق، ص١٩٧.
[38] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٧٠٩.
[39] النورسي، صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص١٢٤.
[40] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص١٤.
[41] النورسي، اللمعات، مرجع سابق، ص٥٠٣.
[42] النورسي، الشعاعات، مرجع سابق، ص٢٥٢.
[43] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص ١٠٩.
[44] المرجع السابق، ص٦٥.
[45] النورسي، المثنوي العربي، مرجع سابق، ص٣٢٣.
[46] النورسي، الشعاعات، مرجع سابق، ص٢٥٨.
[47] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٥٣٢.
[48] النورسي، اللمعات، مرجع سابق، ص٥٤٠.
[49] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٧٩٥.
[50] النورسي، المثنوي العربي، مرجع سابق، ص٣٩.
[51] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ، ج٢٧، ص٢٩.
[52] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٧٩٥.
[53] النورسي، صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص٤٠٤.
[54] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٨٢٧.
[55] النورسي، صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص١٢٥-١٣٠.
[56] جيدل، عمار. "@أهمية مقصد النبوة في رسائل النور"، المؤتمر العالمي العاشر لبديع الزمان: دور النبوة ومكانتها في البحث عن الحقيقة في منظور رسائل النور، مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، ٢٠١٣م، ص ٢٥٩-٢٦٠.
[57] النورسي، صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص٤٧٨.
[58] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٤٨١.
[59] المرجع السابق، ص٢٨٠.
[60] المرجع السابق، ص٢٨١.
[61] المرجع السابق، ص٢٨٢.
[62] المرجع السابق، ص٢٨٠.
[63] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٦٤.

[64] النورسي، الشعاعات، مرجع سابق، ص٢٣١-٢٣٢.
[65] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٩٤-٩٥.
[66] المرجع السابق، ص١٠٢.
[67] النورسي، الشعاعات، مرجع سابق، ص٢٦٩.
[68] المرجع السابق، ص٢٦٩.
[69] النورسي، المكتوبات، مرجع سابق، ج١، ص١٠٤.
[70] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٣٥٦.
[71] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٣٥٢.
[72] النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، مرجع سابق، ص٦٣.
[73] جيجك، محمد خليل.''النظرة الشمولية إلى العدالة عند النورسي''، المؤتمر العالمي الثامن لبديع الزمان سعيد النورسي: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية من خلال رسائل النور، ٢٠٠٧م، ص٦١١.
[74] الكامل، محمدأحمد، العدالة جوهر الحضارة، المؤتمر العالمي الثامن لبديع الزمان سعيد النورسي: العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية من خلال رسائل النور، ٢٠٠٧م، ص١٥.
[75] النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، مرجع سابق، ص٢٣.
[76] النورسي، الكلمات، ص٨٤١.
[77] المرجع السابق، ص٨٤٨.
[78] النورسي، اللمعات، مرجع سابق، ص٤٧٧-٤٧٨.
[79] المرجع السابق، ص٤٧٧.
[80] المرجع السابق، ص٤٧٨.
[81] النورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص٨٦٠.
[82] المرجع السابق، ص٨٤٨.
[83] المرجع السابق، ص٩١.
[84] المرجع السابق، ص٢٨٤.
[85] المرجع السابق، ص٥١.
[86] النورسي، سعيد. السيرة الذاتية، شركة سوزلر، القاهرة، ط٦، ٢٠١١م، ص١٧١.
[87] المرجع السابق، ص١٦٩.
[88] جيجك، النظرة الشمولية إلى العدالة عند النورسي، مرجع سابق، ص٦٢٠.
[89] النورسي، اللمعات، مرجع سابق، ص٥٣٦.
[90] النورسي، صيقل الاسلام، مرجع سابق، ص٤٩٦.
[91] النورسي، المكتوبات، مرجع سابق، ج٢، ص٧٠.

منهج الدعوة إلى السلم مع الآخر عند الرومي والنورسي
دراسة مقارنة

الملخص

د. عارف الزغول[1] / د. عبدالكريم علي جرادات[2]

يعدُّ السلم من أهم العناصر الأخلاقية في الموروث الصوفي، وهو عندهم سلم بلا شرط أو بدل لكل أفراد البشر، وبصرف النظر عن جنسهم أو لونهم أو نسبهم أو مذهبهم أو دينهم، فالسلم في المسلك الصوفي فوق القدرة والخشونة؛ لأن أثرهما سطحي ومؤقت وردة الفعل عليهما عنيفة، بينما السلم فهو عميق دائم هدفه التعايش السلمي واحترام الآخر والتخلي عن التعصب بكل أشكاله، وقد حرص الرومي والنورسي، على الدعوة إلى السلم والسلام وكان فكرهما متسامحًا متساهلًا مع كل الأفكار والمعتقدات وحرِص كل منهما حسب منهجه، على إقرار السلم والصلح بين المسلمين وبين بني البشر كافة، وتبنى مولانا الرومي التصوف الإسلامي المتمثل بالطريقة القائمة على الشريعة، وعدّ الطريقة السبيل الوحيد للحوار بين الأديان والمذاهب والمعتقدات والأعراق والتفاهم بينهم، فمن الصعوبة بمكان جمع شخصين من ديانتين مختلفتين للحوار بواسطة الشريعة، وهنا تبرز ليبرالية التصوف وحرية الطبع فيه، فكان يتساوى في الطريقة المجوسي والبرهمي والمسيحي واليهودي والمسلم، وحتى عابد الأصنام، فالجميع كانوا يجلسون قبالة بعضهم في خانقاه واحدة، ويشتركون في السماع والذكر الخفي والجليّ. ولعلّ ما يدلل على مصداقية ذلك ما نجده في الهند؛ فالمسلمون والهندوس إخوة في الإنسانية ومتساوون في طرق التصوف، أما الإمام النورسي، المتأثر بالرومي، فخالفه واعتمد على القرآن والشريعة وعلى العقل والمنطق في دعوته للسلم، دون أن يغفل الطريقة، وأثرها في إقامة السلم والإخاء بين المسلمين.

سيعمل البحث على دراسة مواطن الدعوة للسلم والإخاء في آثار الرومي والنورسي والمقارنة بين منهج الشيخين الجليلين في دعوتهما للسلم.

الكلمات المفتاحية: الرومي، النورسي، السلم، الآخر، الطريقة، الشريعة.

* * *

A Comparative Study of the Methods of Rumi and Nursi in Da'wa and Establishing Peace with the Other

Abstract

Dr. Arif al-Zoghoul / Dr. Abdul Karim Ali Jaradat

Peace is one of the most important moral elements in the Sufi tradition. In Sufism peace is without conditions or return for all mankind regardless of a person's gender, color, race, religion or belief, peace in the Sufi path is preferred over power and coarseness because their effect is superficial and temporary while peace has deep and lasting effect of people's lives. Peace brings about peaceful co-existence with the other on basis of mutual respect and tolerance. Rumi and Nursi were keen to call for peace and tranquility. Their discourse was tolerant for all ideas and beliefs. Each of them, in accordance with his own methodology, was passionate to call for peace and reconciliation among Muslims and among all human beings. Rumi adopted the Sufi Way or Tariqah which is based on shari'a. According to Rumi, Tariqah is the solo path to gather people from different religions and sects. For him, it is very difficult to gather two people who belong to different ideologies by Shari'a, while it is easy to do that by the Tariqah. This discourse shows the liberal aspect of Sufism. In this manner, the Magi, the Brahma, the Christian, the Jew, the Muslim, and even the worshippers of idols are equal and can all participate in hearing and reciting remembrance of God or Zikr, silent or recited out loud. Coexistence between Muslims and Hindus in India might be a good example of what is discussed in this research. They are brothers in humanity and equal in the ways of Sufism. Nursi, who is influenced by Rumi, on the other hand, disagrees with him and relies on the Qur'an, the Sharia, reason and logic in his call for peace. Nevertheless, he does not forget Tariqah and its impact on establishing peace and brotherhood among Muslims. This research study examines the call for peace and brotherhood in the works of Rumi and Nursi and compares their approaches.

Keywords: Rumi, Nursi, peace, The Other, Method, Shariah.

* * *

مقدمة

إنّ انتشار الحروب والقتل والعنف في بعض المجتمعات وخاصة في منطقتنا مردّه الاختلاف الديني والمذهبي والقومي والسياسي ويجب السعي إلى إقرار السلام في هذه المجتمعات والتخلص من التمييز المذهبي والقومي فجاء التصوف الإسلامي المستمد من الشريعة الإسلامية ليعمل على فهم الأديان والمذاهب المختلفة، حيث نجد في العصور الإسلامية بعض الفِرق الصوفية شافعية وبعضها حنفية وأخرى حنبلية، بل إن البعض كان ظاهرياً والآخر شيعياً، وقلّما حدث اختلاف بين تلك الفرق لذلك كان الهدف الأساس للتصوف هو الوصول إلى السلام بين المسلمين وبين بني البشر والذي يعد أعلى مرتبة من السلم الاجتماعي والسياسي فالله عز وجل يدعونا إلى دار السلام ﴿واللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾يونس:٢٥ والإسلام في مجمله مأخوذ من السلام ومبني عليه فكيف له بأن يكون دين قتال وجدال؟! حتى إن الجهاد في الإسلام يحمل معانيا غير معنى قتال المعتدين لقوله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾العنكبوت:٦٩ فكل ما يتصل بعبادة الخالق هو جهاد وأعلى مراتبه الجهاد الأكبر وهو الجهاد مع النفس. وكما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام فى دعائه ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾إبراهيم:٣٥ فطلب عليه السلام، السلمَ والأمن قبل التحصين من الشرك وهو دليل عميق على أن تحقيق الرخاء والسعادة في الكون قائم على وجود الأمن والسلم، الذي أمر بهما القرآن في غير آية: منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. البقرة:٢٠٨

إن أسلوب التصوف يتبع الشريعة من الناحية النظرية أي الأسلوب الذي عينه الدين وهو التوحيد والطهارة والصلاة والصوم والحج والجهاد والزكاة وبيان المعاملات في الدنيا والحساب في الآخرة، أما من الناحية العملية فالتصوف "هي الطريقة التي يتحقق من خلالها إجراء هذه التشريعات وهذه المعاملات وهي التي تزين الأعمال بصفاء الضمائر وتهذيب الأخلاق من الملوثات كالرياء، والجفاء، والشرك الخفي، والحقد، والحسد، والمكر، والغرور"[3] و "يقتصر عمل الشريعة على هداية الناس إلى الطريق القويم أما الطريقة فهي السبيل للوصول إلى الحقيقة".[4]

إن الادعاءات والاتهامات التي توجه للتصوف من أنه ليس إلا التكدي والبطالة والكسل وتربية البطون والانزواء ما هي إلّا اتهامات باطلة فكل من يتصف بها من الصوفية فهو ليس منهم بل هو دخيل يعمل لمصلحته الدنيوية ولا يمكننا أن نعده من

الصوفية، فالصوفيون الحقيقيون انتقدوا وحاربوا هذه الظواهر التي كانت قلة من الدجالين والمنافقين يمتهنوها.

التصوف والتربية

إذا عرفنا التربية بأنها عملية لإكساب الإنسان الصفات الحسنة التي تمكنه من القيام بأعمال الحياة وتجعل منه إنسانًا مقبولًا لنفسه وللآخرين، فإن التصوف يعمل على إكساب الإنسان صفات وأعمال محببة يقول أبو محمد الحريري في التصوف ''هو التقرب من كل صفة حسنة وتجنب كل صفة سيئة''.[5]

إن الهدف الأصلي للتصوف هو تربية النفس وتأمين حرية الإنسان فالتربية الصوفية هي ''تجنب الغفلة عن الحقيقة''.[6] ولقد أخذت التربية الصوفية دعوتها للتعايش السلمي والصلح والسلام من الفكر الإسلامي الأصيل الذي أكدت عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان في الوقت الذي كانت فيه هذه المفاهيم غائبة عن أذهان البشر فمنع الإسلام الكراهية والحقد والعداء لأتباع الديانات الأخرى وضَمّن سبحانه وتعالى دعوته هذه في ثلاث مجموعات من آيات القرآن الكريم الأولى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.البقرة:٢٥٦ والمجموعة الثانية تتضمن إتباع أسلوب المحبة والإحسان مع غير المسلمين وتحديد علاقات المسلمين وسلوكهم مع الأديان الأخرى، فلم ينههم عن معاداتهم فحسب بل أوجب عليهم معاملتهم بإحسان ومحبة ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.الممتحنة:٨ وتؤكد المجموعة الثالثة من هذه الآيات على التعايش السلمي مع الأديان الأخرى؛ فيجب محاورتهم على أساس التعقل والمنطق؛ لأن ذلك هو الأفضل والأكثر تأثيرًا من أسلوب الحدة والخشونة اللذين يولدان العصبيات الدينية لقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.العنكبوت:٤٦

تصوف النورسي

وِلد النورسي ''لأب صوفي مشهور بورعه''[7]وبدأ النورسي حياته الدينية والعلمية كسائر أبناء عصره بالتتلمذ على يد كبار مشايخ الصوفية ولم يكن تدريس العلوم الشرعية في ذلك الزمان منفصلًا عن روح التصوف، فوجود كل واحد منهما مهم لوجود الآخر، إلا أن النورسي لم يكن مؤمنًا بالتصوف التقليدي الذي ينعزل به الإنسان عن البشر وينأى بنفسه عن حياتهم الاجتماعية والسياسية وعن همومهم، بل

كان من الداعين إلى إصلاح التصوف والتجديد فيه، ويُذكر أن النورسي أول ما ألف المثنوي العربي الأقرب إلى الروح والقلب والى روح التصوف كما هو المثنوي الفارسي، على خلاف رسائل النور التي استمدها من ضياء القرآن وتشريعاته ويذكر النورسي بأن مثنويه كان بمثابة ''مشتل رسائل النور وغراسها قد سعى فيه كالطرق الخفية إلى المعرفة الإلهية في تطهير الأنفس وداخل الإنسان فوفق إلى فتح الطريق بواسطة الروح والقلب''،[8] والمتمعن بتفاصيل حياة النورسي ومؤلفاته تنكشف له الصبغة الصوفية في شخصيته، وأكثر ما نشاهدها في مثنويه فهو يستخدم إشارات ورموز صوفية متعددة، وكان الإمام النورسي حريصًا على عدم تأسيس فرقة وطريقة صوفية، ولو فعل ذلك لتبعه الكثير وسلكت مسلكه الجماهير، فاختار الإمام النورسي طريق الشريعة التي تعتمد على الحجج العقلية والأدلة المنطقية ورجحها على الروحانيات؛ لأن الزمن كان زمن التحديات ويعتمد على العقل والمنطق والبرهان، فكان يقول لطلبته بأن'' يكونوا محققين كي يتمكنوا من الإثبات والإقناع، وان يكونوا أيضًا حكماء مدققين كي لا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر، وعليهم أن يزنوا الأمور بميزان الشريعة''[9] فكانت الشريعة عنده هي المعيار الثابت لقياس الحقائق، فركز على التربية الشرعية مع طلابه لقناعته بعجز التصوف في ذلك الوقت عن مواجهة تحديات تلك المرحلة وعجزه أيضا عن تحقيق ما كان يربو إليه الإمام في دعوته، ولم يكن النورسي ليقبل بأن يطلق عليه لقبًا صوفيًا وذلك لما كان يراه من تصرفات البعض منهم المخالِفة لواقع دعوته ويؤكد ذلك بقوله'' أنا لست شيخًا صوفيًا، وإنما أنا عالم ديني، ولكني لم اقل لمن أتاني إلا أن الزمان ليس زمان الطريقة''،[10] ومع كل ما سلف فإنه لم يتنكر للطريقة ولم ينفها بل يذكر بأن'' أعلى مراتب الطريقة وأسمى درجات الحقيقة لا يعدوان كونهما أجزاء من كلية الشريعة، وهما دائمًا وأبدا يبقيان بحكم الخادم للشريعة ووسيلة إليها ومقدمة لها''،[11]وكل من يقول من المتصوفة ''أن الشريعة قشر ظاهري، وحقيقتها هي لبها ونتيجتها وغايتها'' فهو واهم، وأما المتصوفة الحقيقيون أهل الطريقة وأصحاب الحقيقة ''فإنهم كلما تقدموا في مسلكهم وارتقوا في معارجهم، وجدوا أنفسهم منجذبين أكثر إلى الحقائق الشرعية، متبعين لها، مندرجين ضمن غاياتها ومقاصدها''.[12]

وقد عمل الإمام النورسي على مهاجمة المتصوفة الذين غيبوا عقولهم في طرقهم، ونعتهم ''بالجهلاء المجذوبين الفاقدين للعقل''،[13] ويذكر النورسي أن'' التصوف، والطريقة، والولاية، والسير والسلوك حقيقة روحانية نورانية مقدسة، طافحة باللذة

والنشوة"[14] ودافع عن الطريقة الحقّه التي تخدم الشريعة وذكر فوائدها ويقول بأنه "لو صرفنا النظر عن النتائج السامية التي توصل إليها الطريقة سواء منها الدينية أو الأخروية أو الروحية، ونظرنا فقط إلى نتيجة واحدة منها ضمن نطاق العالم الإسلامي نرى أن الطريقة هي في مقدمة الوسائل الإيمانية التي توسع من الأخوة الإسلامية بين المسلمين وتبسط لواء رابطتها المقدسة في أرجاء العالم الإسلامي".[15] يؤكد النورسي في الاقتباس السابق بأن الطريقة هي أنجع وسيلة لتحقيق الإخوة بين المسلمين.

أهم مزالق التصوف عند النورسي

١- ترجيح بعض السالكين من الطرق الصوفية الولاية على النبوة.

٢- تفضيل قسم من المفرطين، الأولياء على الصحابة الكرام.

٣- ترجيح بعض المتطرفين والمتعصبين جدا للطريقة لأوراد طريقتهم وآدابها على أذكار السنة النبوية.

٤- إن بعض المتطرفين من أهل التصوف يظنون خطأ أن "الإلهام" بمرتبة "الوحي".

٥- تفضيل بعضهم الكرامات والأذواق والأنوار على فروض الدين.[16]

أهم ثمرات وفوائد الطريقة عند النورسي

١- ظهور الحقائق الإيمانية وانكشافها ووضوحها إلى درجة عين اليقين بواسطة الطريقة الصحيحة المستقيمة.

٢- هي تحقيق الوجود الحقيقي للإنسان بانسياق لطائفه جميعا إلى ما خلقت لأجله.

٣- التخلص من وحشة الانفراد والوحدة، والشعور بالأنس المعنوي في الحياة الدنيا.

٤- خلاص الإنسان من الوحشة الهائلة التي تكتنفه في حياته الدنيا؛ وذلك بما تقوم به الطريقة الصائبة الصافية من تفجير ينابيع محبة الله ومعرفته في الإيمان.

٥- الشعور بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية وتقديرها بواسطة القلب.

٦- نيل مقام التوكل، ودرجة الرضا، ومرتبة التسليم .

٧- نجاة الإنسان من الشرك الخفي والرياء والتصنع وأمثالها من الرذائل وذلك بالإخلاص الذي هو أهم شرط لدى سالك الطريقة واهم نتيجة لها.[17]

موقفه من المذاهب

في إحدى مخاطبات الإمام للناس يوصيهم بأنه إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾الحجرات:١٠ وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية"[18] وكأنه رحمه الله يعيش في عصرنا ويصف حالنا كيف أن أعداء الدين أوقعوا الفتن المذهبية بين المسلمين وأوصلوهم إلى الذل والهوان.

ولا يرى الإمام النورسي أي مشكلة في تعدد المذاهب وهي بنظره على اختلاف وليس خلاف ومن الطبيعي أن يكون هناك آراء متعددة ولكن هدفها واحد وهو الوصول إلى الحقيقة "فتصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح، ولكن إن كانت المناقشة والبحث، عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار، بل تتولد شرارة الفتن، فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقا في المقصد والغاية، ذلك لأنه ليس من اجل الحق، فترى فيه الإفراط البالغ دون حدود، مما يفضي لانشقاقات غير قابلة للالتئام. وحاضر العالم شاهد على هذا."[19] وحرص النورسي على السلم بين أفراد البشر وحارب الظلم بشتى أنواعه وشدد بأن لا يحمل المؤمن لأخيه المؤمن أي حقد أو عداء مخاطبًا إياهم بقوله أن"خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف"،[20] ونبه أهل المسالك والمذاهب إلى اجتناب التعصب الأعمى "فعندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول" إن مسلكي حق أو هو أفضل "ولكن لا يجوز لك أن تقول: "أن الحق هو مسلكي أنا فحسب" لان نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكًا ولا حكمًا يفضي إلى بطلان المسالك الأخرى"،[21] ونبه إلى أن العناد والتنافر والتفرقة يصيبان الحياة الاجتماعية بضرر بالغ وأن الحديث النبوي الشريف "اختلاف أمتي رحمة" لا يعني التفرق والتحزب والاعتداد بالرأي، فالحقيقة تتظاهر جلية من تصادم الأفكار ومناقشة الآراء وتخالف العقول، وما هذا الاختلاف الذي ورد في الحديث النبوي الشريف إلا هو الاختلاف الايجابي البناء المثبت، ومعناه أن يسعى كل

واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا، أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلًا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل ايجابي بناء''.[22]

نظرته إلى التعصب القومي

لقد كان العلامة سعيد النورسي يبغض التعصب بكل أشكاله وشتى ألوانه فنفى عن نفسه صفة التعصب لقوميته الكردية لأن هذه القوميات من المفروض أنها تحللت في الإسلام ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، لذلك كانت نظرة النورسي للقومية السلبية والنظرة العنصرية ''نظرة السم القاتل وبأنها مرض أوربي خبيث سار، وذلك حسب الأمر النبوي الجازم بأن الإسلام يجب العصبية الجاهلية، ولقد بذلت ما وسعني من الجهد لعلاج هذا الداء الخبيث''.[23]

ويبين الشيخ الجليل بأن الله سبحانه وتعالى خلق الأمم والشعوب للتعارف وليس للتنافر فيقول في كتابه العزيز ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾،الحجرات:١٣ أي ''خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا''[24] وإن كانت الطائفة أو العرق يفرق بين بني البشر فهناك ألوف المشتركات تجمع بينهم'' فخالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، وهكذا واحد، واحد... إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة''،[25] وصنف النورسي القومية على نوعين نوع ''سلبي مشئوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر. وهذا يولد المخاصمة والنزاع... وان التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله، بسبب من الفكر القومي، هلاك عظيم، وخطب جسيم''،[26] والنوع الآخر القومية الايجابية ''النابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية، هذا الفكر الايجابي القومي، ينبغي أن يكون خادما للإسلام، وان يكون قلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلا عنه''،[27] وقد دعا على الدوام إلى ''وحدة العقيدة ونبذ القوميات الزائفة''.[28]

السلم عند الرومي

إن الدين الإسلامي دين رحمة وشفقة ودين استدلال ومنطق وليس دين سيف وإجبار وإنّ نشرَ السلام والحق والعدل بالقوة يبقى عملًا سطحيًا، فلم تفلح القوة في دمج المخالفين للدين في إطار التربية الإسلامية الصحيحة، وبقيت عباداتهم بحدود التقليد، وبما أن العالم الآن أصبح قرية صغيرة فواجب علينا معاملة المخالفين بالمنطق والحوار المبنيين على السلام، وتتجلى هذه الدعوة بوضوح في أفكار الصوفية وتربيتهم، وإن أشهر من نادوا بهذه الدعوة من متصوفة الفرس هو مولانا جلال الدين الرومي، فهو من أهم من نادوا بتجديد الحياة الدينية وإحياء الكرامة الإنسانية وتمثل ذلك في أشعاره التي تشتمل المباحث التالية:

- الوعي الإنساني

يرى مولانا أن الإنسان لا يستطيع الحصول على حريته إلا إذا استطاع التحرر من الأسر الفكري التلقيني والتقليدي، والإنسان يمثل محور التصوف عند مولانا وليس عقيدته، لأن الإنسان نقطة ارتكاز الوجود، واعتبر مولانا الحروب والخلافات بين الأديان والمذاهب نتيجة لعدم المعرفة والنظرة السطحية، وباعتقاده أن الفرق بين المشرع والصوفي يكمن في أن المشرع يحكم من خلال سماعه أما الصوفي فيحكم من خلال سماعه ومشاهداته، فالصوفي يحكم على الأمور من خلالهما لذلك نجده على صلح دائم مع المشرع والحكيم والفيلسوف ويحول كل عداء أو خلاف إلى سلام وصفاء وصداقة فالجميع يتساوى في نظر الصوفية وبقول مولانا الجميع على صبغة الله التي صبغهم عليها:

صبغة الله هست خم رنگ هو پيسها يك رنگ گردد اندر او[29]

هي صبغة الله التي صبغها للبشر وكل ما هو مختلف هو واحد تحت اسمه.

في إشارة للآية القرآنية الكريمة: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾. البقرة:١٣٨

الأديان في نظر مولانا تشترك بالتوحيد وتشترك بعقيدة الموت والحشر والنشر والحساب والكتاب والمعاد وأن دعوة الأنبياء واحدة إلا أن الخلاف ظهر بين الأفراد وليس بين الأديان كما يقول مولانا:

نام احمد نام جمله أنبيا است چون كه صد آمد نودهم پيش ما ست[30]

إن اسم أحمد اسم لجملة الأنبياء فهو يمثل كل ما سبقه منهم.

لقد كان مولانا مؤمنًا بحرية الأديان واحترامها جميعا لقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. البقرة:٢٨٥

وكان يعتقد بأن كل هذه الحروب ليس لها أساس سوى الجهل والنفاق والأنانية وأن السلام الشامل وتساوي البشر ووحدة الأديان من أهم مرتكزات التربية الصوفية وأن الوطن والقومية ليس لهما أي معنى خاص في هذه التربية، فالوطن هو الحياة الأبدية التي ترتقي إليها الروح بعد فناء الجسد:

ما ز بالاييم وبالا می رویم
ما ز دریاییم ودریا می رویم
ما از آن جا واز این جا نیستیم
ما ز بی‌جاییم وبی‌جا می رویم
خوانده‌ای انا الیه راجعون
تا بدانی که کجاها می رویم[31]
نحن من العالم الاعلى وسنعود إليه
نحن من بحر الفيض وعائدون إليه
نحن من ذلك المكان ولسنا من هذا
نحن في اللامكان ونعود للمكان
اقرأ إنا إليه راجعون
تعلم إلى أين نحن ذاهبون

- الجنس والعرق:

التربية الصوفية في نظره ليست قائمة على الجنس والعرق أو على الاختلاف الديني والعقائدي لذلك نجد الحاكم والمحكوم والغني والفقير واليهودي والمسيحي والمسلم يجتمعون في مكان واحد دون أدنى تعصب؛ لذلك يجب القول بأن أهم عوامل إحلال السلام التحرر من قيود التعصب الديني والعقدي، حيث يرى مولانا أن هذه الاختلافات والألوان الدينية هي وليدة المجتمع البشري ومُحدثة في العالم الدنيوي أما في العالم الأخروي العالم الرباني فإن الوحدة هي الأساس ولا وجود لهذا الاختلاف، والإنسان إذا لم يتخلص من هذا اللون الديني والطائفي وتلقيناته سيبقى التعصب مذهبه لأنه استمد دينه عن طريق التقليد الأعمى والجهل فهو يتصور أن الاعتداء والكراهية لمن يخالفه هما اللذان يقربانه من الكمال في الدين، أما التربية

الصوفية فتمحو الألوان كلها وتوصل سالكها إلى العالم الإلهي الذي لا لون له، عندها يترفع الإنسان عن أي خلاف وعداء؛ لأن العالم الرباني هو عالم الوحدة ويتساوى فيه الجميع فالتسامح بين الناس ينبع من هذا الأساس.

لقد ذكر مولانا أن البشرية في عصره قد غرقت في بحور التعصب الديني والطائفي فكانت في زمانه الحروب الصليبية، وقتل المسلمين لبعضهم وحرق وهدم لمدارسهم وكانوا يتصورون أن ما يفعلونه هو في سبيل نصرة الإسلام وإرضاء لوجه الله عز وجل، إن ما ذكره مولانا ينطبق تماما على زمننا الحاضر؛ فالأديان والطوائف والمذاهب تتقاتل كلها في سبيل الله عز وجل وهو جلّ جلاله براء من عملهم هذا.

- الحب والعشق

ويرى مولانا جلال الدين أن أحد الأمور الأخرى ذات الأهمية الكبيرة في إحلال السلام هي تربية الإنسان على الحب والعشق فعندما يصبح الإنسان محبا عاشقا يتطهر من صفاته الذاتية ويصل إلى مرحلة الفناء فيتخلص من قيود الرغبات ويتسع وجوده ليتناسب مع وجود المعشوق الحقيقي وهو الخالق عز وجل فالعشق في تربية مولانا الصوفية باعث على الوحدة والسلام وإن كل هذه الاختلافات الموجودة بين الأديان ما هي إلا حجاب ظاهري يغطي صورة العشق الإلهي وكما يقول مولانا.

''العشق هو الذي يقرب المسافات ويزيل الاختلافات بين روحين متخاصمتين''.[32]

وقد كتب مولانا في الحب والعشق، يقول ''إن جميع المرضى يتمنون البرء من سقمهم، إلا أن مرضى الحب يستزيدون من المرض ويحبون أن يضاعف في ألمهم وحنينهم. لم أرَ شرابا أحلى من هذا السم، ولم أرَ صحة أفضل من هذه العلة، إنها علة ولكنها تُخلص من كل علة، فإذا أصيب بها الإنسان لم يصب بمرض قط، إنها صحة الروح، بل روح الصحة. يتمنى أصحاب النعيم أن يشتروها بنعمتهم ورخائهم.

أيها الحب بك القلب اشتغل يا طبيبا فيه تنزاح العلل

لم أرَ طاعة أفضل من هذا الإثم. إن الأعوام التي تنقضي بغيره لا تساوي ساعة من ساعات الحب''.

ويرى ''أن للحب شعلة إذا التهبت أحرقت كل ما سواه، فلا كبر، ولا خيلاء، ولا حزن، ولا حسد، ولا بخل، ولا عيب من عيوب النفس''.[33]

– أصل الإنسانية

عامل مهم آخر من عوامل إحلال السلام في التربية الصوفية في نظر مولانا هو التركيز على أصل الإنسانية فالاختلافات الواقعة بين البشر بسبب الدين والمعتقدات لا تتفق وفطرة الإنسان وأصل دعوة الأنبياء. فالحقيقة الإنسانية لا لَوْن دينيًا أو عقديًا لها وإن الأصل الإنساني هو القاسم المشترك الذي يجمع بين أفراد البشر فمن الصواب العودة لهذا الأصل؛ لأن الفطرة الإنسانية بعيدة كل البعد عن أي لون ديني أو عرقي أو طائفي، وقد سبق الصوفية الكثير من الفرق في هذا الأمر، فهم ينظرون إلى جميع الأديان والمذاهب والأعراق نظرة واحدة ولا يعادون أيا منها بقول مولانا:

از نظرگاه است ای مغز وجود،
اختلاف مومن وگبر وجهود.[34]

اعلم يا عقل الوجود أن الرأي هو سبب الاختلاف بين المسلم والمسيح واليهود.

إن نظر الإنسان القاصر لا يستطيع إدراك الحقيقة المطلقة أو فهمها كما هي، لذلك يلجأ للتأويل والتفسير ومن هنا فإن الاختلاف على الحقيقة يكون ناشئًا من اختلاف هذه التأويل.

منبسط بوديم ويک گوهر همه،
بی سر وبی پا بوديم آن سر همه.
يک گهر بوديم همچون آفتاب،
بی گره بوديم وصافی همچو آب.
چون به صورت آمد آن نور سره،
شد عدد چون سايه های کنگره.
کنگره ويران کنيد با منجنيق،
تا رود فرق از ميان اين فريق.[35]

كان الناس على فطرة واحدة وجوهر واحد، تدخّل العقل بحركة فضولية وغير سوية في عمل الروح وهمتها، فتعددت الآراء والأفكار وأصبح كل منها بمثابة قلعة تحجب الحقيقة، حطموا هذه القلاع حتى يزول الفرق بين هذا الفريق وذاك.

استنادا لما يقول مولانا، نحن البشر نشترك جميعا في أصل الإنسانية وإن الخلافات الموجودة بين عقائد البشر هي من صنع الشيطان الساكن في داخلنا والذي أبعدنا عن حقيقة وجودنا الإنساني كما يصف ذلك مولانا:

تفرقه در روح حيواني بود نفس واحد روح انساني بود[36]

إن التباين يكمن في الروح الحيوانية وإن الروح الواحدة تكمن في الإنسانية.

فالإنسان الذي لا يدرك قدر روحه الإنسانية وعظمتها وسعتها ليس بإنسان بل حيوان في حظيرة الدنيا ومن هنا وبسبب الوحدة الإنسانية ينتهي الخلاف بين الأديان، ولا يبقى خلاف بين البشر فكلها خلافات نسبية.

إن لمعرفة الأصل الإنساني دور كبير في تحقق السلام وأن الأنبياء هم الأصل الإنساني، لذلك لم نجد بينهم أي خلاف أو عداء وكانت رسالتهم واحدة وهي الصلح والسلام ووحدة البشرية من منطلق الإنسانية.

وبنظر مولانا فإنه لا يمكن أن يقع خلاف بين أصل الشريعة وأصل الطريقة؛ لأن الشريعة في نظره مقدمة للدخول في الطريقة، وإن التسامح وسيلة قوية لإقامة السلام بين الأديان والمذاهب ولا يمكن أن يتحقق التسامح إلا بالتعقل والتفكر:

چو فرمودهست حق كالصلح خير
رها كن ماجرا را اى يگانه.[37]

بما أن الحق سبحانه أمرنا بأن الصلح خير، فلم لا تترك العداء والتعصب لرأيك.

ويقول مولانا إنه إذا كانت الطرق مختلفة فالمقصود واحد، ألا ترى أن الطرق إلى الكعبة كثيرة فالناس تأتي من الروموالشاموالصين والهند واليمن والفرق بين هذه الطرق كبير وواسع، ولكن إذا نظرت إلى المقصود فهو واحد يجتمعون على محبته حيث تزول الخلافات والاتهامات التي كانت بينهم في الطريق من تكفير وإبطال للعقائد.

الأضداد في نظر مولانا مصيرها التوائم والتوافق والتصالح وهذا ضروري لاستمرار حياة البشر:

خشمهاى خلق ، بهر آشتى است دام راحت دائما بى راحتى است.[38]

الخلافات بين البشر تفضي إلى الصلح والتعاسة جاذبة للسعادة دائما.

المحبة وإصلاح النفس

ويدعو مولانا الناس إلى المحبة فهي السحر الذي يضمن استمرار حياة البشر:

از محبت تلخها شيرين شود
از محبت مسها زرين شود

المرارة تتحول إلى حلاوة بالمحبة
ويصبح النحاس ذهبًا بالمحبة أيضا
از محبت شاه بنده می شود
از محبت مرده زنده می شود
بالمحبة يصبح الملك عبدا
ويحيى بها الميت أيضا

ويتساءل مولانا كيف للإنسان الانشغال بمحاربة الآخرين وينسى نفسه التي هو في حرب دائمة معها فالأولى الانشغال بالنفس بدل الانشغال بالآخرين:

جنگ فعلی هست از جنگ نهان
زين تخالف آن تخالف را بدان
الحروب الواقعية ناتجة عن حروب النفس الخفية
فاعلم أن هذا الخلاف ناتجًا عن ذاك الخلاف
هست احوالم خلاف همديگر
هريكى با هم مخالف در اثر
إن أحوالي كلها مخالفة لبعضها
وكل اثر لها مخالف للآخر
موج لشكرهای احوالم ببين
هر يكى باديگرى در جنگ وكين
انظر إلى أحوالي كالجيوش تموج
وهي مع بعضها في عداء وحروب
می نگر در خود چنين جنگ گران
پس چه مشغولی به جنگ ديگران

لو نظرت إلى الحرب العظيمة الدائرة في نفسك، لما انشغلت بمحاربة من هم حولك.

الخاتمة

إن نظرة مولانا إلى السلم نظرة صوفية اجتماعية مستمدة من الشريعة الإسلامية، فالسلم عنده نابع من وحدة الأديان ووحدة الإنسان وما الحروب وسفك الدماء والظلم بين بني البشر إلا لجهلهم ونظرتهم الضيقة وبعدهم عن الحقيقة الربانية، لذلك

لن يتمكن الإنسان من إقامة علاقات إخوة وصداقة مع الآخر ما دام أسير تعصبه القومي والمذهبي.

وقد لخص مولانا نظرته حول الأديان والعقائد والاختلافات الناشئة بينها بقوله ''أن الدين في الأصل واحد وتفرع فنشبت الحروب بين الأفرع، وستعلمون يوم القيامة عندما تصبحون واحد وتنظرون إلى مكان واحد ويكون لسانكم واحد بأن دينكم واحد''.[39]

يحث مولانا الإنسان إلى نبذ التعصب والنظرة السطحية الضيقة ويدعوه إلى التسامح والعفو والإحسان والستر والتساهل، لتيقنه بأن هذه الأمور مجتمعة تساعد على تهيئة أرضية مناسبة لإقرار السلم الاجتماعي والتصالح بين بني البشر.

مجمل القول أن التصوف في نظر الرومي هو عامل ومقوم أساس من مقومات السلم الاجتماعي لأن الإنسان إذا كان في سلم مع ربه ونفسه فمن المؤكد أيضًا أنه سيكون في سلم مع الآخر، فاستخدم الطريقة لإثبات ما تحث عليه الشريعة من إقامة للسلم والسلام بين بني البشر.

ومع أن الإمام النورسي كان شديد الإعجاب بمولانا وأفكاره ومتأثرًا به، إلّا أنه اتبع منهجًا مغايرًا له في دعوته للسلم وقد يكون ذلك بسبب العصر والتحديات التي كانت في زمنه، زمن المادة المعتمد على البراهين والأدلة الحسية والمنطقية، وحاول النورسي في مناسبات عدة نفي صفة التصوف عن نفسه حتى لا يتوهم الناس بأنه صوفي ويضيع كل ما بناه على أساس الشريعة، ويتخذه الناس حجة لتغليب الطريقة على الشريعة بسبب تبنيه لها وعمله بها، فلم يكن راضيًا لأي مسلم بأن يكون جزءا خاملا وغير فعال في هذه الأمة، لذلك كان يوجه خطابه للعقل والروح والقلب معًا، ومما يذكر بأن التصوف في عصره وصل إلى حالة غير مرضيه فانتشر الدجل والكذب بين بعض المتصوفة وتناقضت أقوالهم مع أعمالهم مما أدى إلى كره الناس لهم، ولم يكن الإمام النورسي وهو الملم بالعلوم العقلية والنقلية منذ صغره أن يوجه النقد للمتصوفة إلّا بهدف الإصلاح، فاختار طريق الشريعة كأسلوب مباشر لحض الناس على الإخوة والسلم ونبذ التعصب، بينما عاش جلال الدين الرومي في عصر غلب عليه طابع التصوف فاتبع الطريقة في دعوته للناس إلى السلم، ولم يغفل عن الشريعة وعن أهميتها في إقامة السلم بين بني البشر وعدّها الأساس، وأكد في مثنويه على التلازم الوثيق بين الشريعة والطريقة وأهتم بهما معًا إلّا أن دعوته للسلم مع الآخر

كانت بواسطة الطريقة المستمدة من الشريعة فكان الشرع بالنسبة له كالمصباح الذي تحمله الطريقة في سعيها للوصول إلى الحقيقة.

* * *

الهوامش

[1] أستاذ مشارك في اللغة الفارسية وآدابها، جامعة اليرموك الأردنية.
[2] أستاذ مشارك في اللغة الفارسية وآدابها، جامعة آل البيت الأردنية.
[3] التصفية في أحوال المتصوفة (صوفي نامه)، قطب الدين أبو المظفر بن اردشير العبادي، ص١٧.
[4] تاريخ التصوف، قاسم غني، ص ٢٥٨.
[5] مناقب الصوفية، قطب الدين عبادي المروزي، ص٣٣.
[6] شرح فصوص الحكم، خواجه محمد بارسا، تحقيق جليل نجاد، ص ٤٥٩.
[7] النورسي، سعيد، رسائل النور، السيرة الذاتية، ط٢، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، سوزلر للنشر، ١٩٩٨، ص٣٥.
[8] المثنوى العربي، ص ٤٩.
[9] الطنطاوي، عبدالله، منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي، دار العلم، دمشق، ص٦٣.
[10] النورسي، سعيد، كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط٣، ٢٠٠١، ص٥٨٣.
[11] كليات رسائل النور، ص٧٩.
[12] كليات رسائل النور، ص ٥٨٤.
[13] كليات رسائل النور، ص ٥٦٦.
[14] كليات رسائل النور، ص ٥٧١.
[15] كليات رسائل النور، ص ٥٧٤.
[16] كليات رسائل النور، ص ٥٩٠.
[17] كليات رسائل النور، ص ٥٩٢.
[18] كليات رسائل النور، ص ٣٥٠.
[19] كليات رسائل النور، ص٣٤٧-٣٤٨.
[20] كليات رسائل النور، ص ٣٤١.
[21] كليات رسائل النور، ص٣٤٢.
[22] كليات رسائل النور، ص ٣٤٧.
[23] كليات رسائل النور، ص ٧٩.
[24] كليات رسائل النور، ص ٤١٣.
[25] كليات رسائل النور، ص ٤١٤.
[26] كليات رسائل النور، ص ٤١٤-٤١٥.
[27] كليات رسائل النور، ص ٤١٥.
[28] سعود جاسم، ليث، الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات الزائفة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ص١٧.
[29] مولوى، جلال الدين محمد، مثنوى معنوى، به كوشش توفيق سبحانى، بيت ١٠٦٣.
[30] مولوى، جلال الدين محمد، مثنوى معنوى، به كوشش توفيق سبحانى، ص ٤٨.
[31] مولوى، غزليات شمس، فروزانفر، طهران، غزل ١٦٧٣.

[32] زرين كوب، عبدالحسين، بحر در كوزه، ص ٢٨٨.
[33] حكايات وعبر من المثنوي، جلال الدين الرومي، السيد محمد جمال الهاشمي، ص٣٢.
[34] مثنوى معنوى، دفتر سوم، بيت ١٢٥٨.
[35] مثنوي معنوي، دفتر دوم، ص ٦٣٤.
[36] مثنوي معنوي، دفتر ششم، ص ١٢٣.
[37] مولي، غزليات شمس، تحقيق فروزانفر، غزل ٢٣٤٥.
[38] جلال الدين الرومي، المثنوي المعنوي، المجلد الثالث، ص٣٢٦.
[39] جلال الدين الرومي، فيه ما فيه، ص ٤٣.

تفعيل الإيمان... حلاً لأزمة الإنسان

الملخص

أ.د. محمد عبدالله الشرقاوي[1]

عرض تفعيل الإيمان كما عبّرت عنه رسائل النور، موافق لما وردت به الأصول الإسلامية، وهو مسلك يجعل الإيمان مصدرا رئيسا لتخليص إنسان العصر من أزماته المستحكمة، وإسعافه للخروج من معيشته الضنك، وأساس ذلك إيمان قابل للتفعيل إيمان تحقيقي المتجاوز الإيمان الوراثي، إيمان يجمع العلم إلى العمل، ويمزج بينهما مزجا كليا، يستوعب كلّ ملكات الإنسان وجميع أوضاعه.

البحث:

نحاول في هذا البحث الإجابة عن السؤال الآتي:

هل يمكن للإيمان أن يقود إنسان هذا العصر إلى التخلص من أزمته وضنك معيشته؟... وكيف ومتى يتحقق ذلك؟

ويتمحور البحث على مبحثين اثنين؛ هما:

المبحث الأول: تفعيل الإيمان.

المبحث الثاني: جدوى الإيمان الحي وآثاره الفاعلة للفرد والمجتمع.

* * *

Putting Belief into Action: A Solution to the Human Crisis

ABSTRACT

Prof. Dr. Mohammed Abdullah al-Sharqawi

This research focuses on the importance of activation of faith as expressed by Risale-i Nur, in accordance with Islamic principles. It shows how to make faith a major tool in the hands of the modern man to resist dire calamities of this era. Real and activated faith, not the inherited one, is also a mean to rescue man from harsh psychological troubles. This research study is an attempt to

answer the following question: Can faith lead man of this age to get rid of his crisis and his rough livelihood? How and when will this goal be achieved? The research is based on two topics; the first topic is activating faith and the second topic is the benefits of living faith and its real effects on individual and society.

* * *

المبحث الأول: تفعيل الإيمان

إذا كانت بنية الدين الكلية تتشكل من: الإيمان والعمل الصالح معاً، وإذا كان الإيمانُ روحَ الدين المسئول عن بقائه حياً نابضا، بمعنى أن يكون الإيمان هو الحافز والمنطلق إلى الأعمال الصالحة؛ فإن هذا الإيمان إذا ما فُعِّل تفعيلاً صحيحاً، (أو، شُغِّل تشغيلاً حقيقياً حسب تعبير الأستاذ سعيد النورسي) يُزهر، ومن ثم يعطي ثمرته التي تنفع صاحبها وتنفع الإنسانية كلها دون تمييز.

لقد ربط ''الذكر الحكيم'' الإيمان بالأعمال الصالحة النافعة برباط وثيق محكم في عشرات من الآيات الكريمة. فلا يذكر الإيمان إلا مرتبطا بالعمل الصالح، فتفعيل الإيمان أو تشغيله إذاً، هو الطريق إلى العمل الصالح، وهو الصراط الوحيد إلى تحقيق الحياة الطيبة السعيدة في هذه الحياة الدنيا (هنا والآن) والفوز بالنجاة والخلود في الحياة الآخرة (هناك فيما بعد).

ولكن كيف ومتى يكون الإيمان فاعلا مثمراً؟

إيماننا -في الأغلب الأعم- إيمان وراثي تقليدي، ومن ثمّ فهو إيمان شكلي، ومن هنا فإنه لا يتسم باليقينية والرسوخ التام، لأنه لم يكن نيله نتيجة النظر والتفكر والتدبر والاعتبار، ولأنه لم يتغذ بذكر الله الموصول بآياته المسطورة (القرآن) وآياته المنثورة (الكون)، فهو لا يتحقق باليقينية القاطعة. ولتفعيل إيماننا لابد أن يتآلف العقل والقلب والروح معاً في تلقي آيات الوحي في القرآن والكون معاً.

ورسائل النور مصممة -كما اكتشف الدكتور كولن تيرنر- لكي تقود المسلمين من إيمان تقليدي إلى إيمان تحقيقي (قائم على التفكير والتأمل) ولكي تُغير المؤمنين من عبادة أنفسهم إلى عبادة الله تعالى.

ويمكننا أن نذكر بعض المسائل التي تعمل كآليات لتشغيل الإيمان مثل: ''تجديد الإيمان''[2]: شرح الأستاذ سعيد النورسي ذلك شرحاً بديعاً فقال: ''إن الإنسان لكونه يتجدد يتجدد بشخصه وبعالمه الذي يحيط به فهو بحاجة إلى تجديد إيمانه دائماً، لأن الإنسان الفرد ما هو إلا أفراد عديدة، فهو فرد بعدد سنين عمره، بل بعدد أيامه، بل

بعدد ساعاته حيث أن كل فرد يعد شخصاً آخر، ذلك لأن الفرد الواحد عندما يجري عليه الزمن يصبح بحكم النموذج، يلبس كل يوم شكل فرد جديد آخر...'' ثم يزيد المسألة وضوحا بقوله: ''ثمّ إن الإنسان مثلما يتعدد ويتجدد هكذا، فإن العالم الذي يسكنه سيار أيضا لا يبقى على حال. فهو يمضي ويأتي غيره مكانه، فهو في تنوع دائم، فكل يوم يفتح باب عالم جديد.'' ذلك أنّ ''الإيمان نور لحياة كل فرد من أفراد ذلك الشخص من جهة كما أنه ضياء للعوالم التي يدخلها، وما ''لا إله إلا الله'' إلا مفتاح يفتح ذلك النور. ثم إن الإنسان تتحكم فيه النفس والهوى والوهم والشيطان وتستغل غفلته وتحتال عليه لتضيق الخناق على إيمانه، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني بنثر الشبهات والأوهام. فضلاً عن أنه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة الكفر. لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة في كل يوم.''[3]

ومما ركزت عليه رسائل النور -تفعيلاً للإيمان- النظر إلى الإنسان باعتباره كينونة متكاملة، ومن ثمّ لم تعزل وتفصل الرسائل في خطابها إلى الإنسان بين عقله وقلبه وروحه، بل مزجت بين كل ذلك مزجاً يفعّل كل هذه اللطائف ويجعلها متعاونة متساندة في أداء مهامها الجليلة، وليست متعاندة أو متدابرة أو حتى متنافسة في ذلك. وأنت حين تنظر إلى الرسائل تجدها تمزج بين العقل الخالص (الفلسفة) و (علم الكلام) وبين الروح (التصوف) وبين القلب الوجداني في آن واحد، لأن عقل الإنسان واقعاً ليس معزولاً عن قلبه وروحه، وبهذه المنهجية قد أفادت الرسائل من علم الكلام والفلسفة والتصوف حين جمعت بينها ومزجت ولم تفصل الفصل الذي جعل من الإنسان (إما أو) أعني: إما متكلماً متفلسفاً أو متصوفاً. والحق أنه ينبغي أن يكون متكلماً متفلسفاً متصوفاً معاً حتى يستوعب حقائق الإيمان ويتذوقها ويتأثر وينفعل ويتحرك بها.

وما يفعّل الإيمان كذلك النظر إلى الأسماء الإلهية وتدبر تجلياتها في الوجود (في الآفاق وفي الأنفس) وهنا نجد صاحب الرسائل قد ابتعد عن الصراع حول الصفات الإلهية بين علماء السلف والخلف،[4] ونراه الشيخ قد نحا نحواً إيجابياً مثمراً تمثل في النظر إلى تجليات الأسماء الإلهية في الوجود كله من ذراته إلى مجراته وإرشاد الناس إلى ذلك.

ويمكننا القول بأن الرسائل قد نهجت ذلك النهج القرآني القويم في التدبر في الكون وتجليات أسماء الله الحسنى فيه، وهذه هي الصبغة الغالبة عليها بحيث يصعب

تقديم نماذج لأنها جميعها من أولها إلى آخرها تسير على هذا الصراط السوي، وهو الجمع بين تدبر الوحي المسطور (آياتالقرآن) والوحي المنظور (آيات الكون) معاً، وهو من أعظم ما يشعل جذوة الإيمان في القلوب والأرواح ولنقدم على ذلك نماذج من حديث الأستاذ عن ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وما التمع في قلبه من إشارات وما ورد على قلبه من أنوار، وقد تصور الأستاذ تجليات اسم الله (الفرد) في صورة أختام وبصمات دالة على التوحيد في الكون كله وأنواعه وأفراده.

قال الأستاذ: الختم الأول: إن التجلي الأعظم للفردية قد طبع على وجه ''الكون'' كله طابعاً مميزاً للتوحيد، وختماً واضحاً للوحدانية وضوحاً حوّل الكون كلَّه بحكم ''الكل'' الذي لا يقبل التجزئة مطلقاً بحيث: إن مَن لا يقْدِر على أن يتصرف في الكون كلِّه لا يمكن أن يكون مالكاً مُلكاً حقيقياً لأي جزء منه.

نفهم من هذا أن الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود، إن لم يكن زمام جميع العناصر بيده لا يستطيع أن يسيطر على ذلك العنصر الواحد أيضاً.

اذاً؛ ''التعاون'' و ''التساند'' و ''التجاوب'' و ''التعانق'' الواضح على وجه الكون، إنما هي أختام كبرى وبصمات ساطعة للتوحيد.

الختم الثاني: إن التجلي الباهر لاسم الله ''الفرد'' يجعلنا نُشاهد -على وجه الأرض ولا سيما في الربيع- ختماً لامعاً للأحدية، وآية جلية للوحدانية بحيث: إن من لايدير جميع الأحياء على وجه الارض كلها بأفرادها وأحوالها وشؤونها كافة، والذي لايرى ولايخلق ولايعلم جميعها معاً، لا يمكن أن يكون له تدخل في أيشئ من حيث الإيجاد.

لذا فإن هذا ''التدبير والإدارة'' المشاهَد في هذا الأمر الدائب على وجه الارض وباطنها إنما هو آيةٌ ساطعة للأحدية، وختمٌ واضح للوحدانية، بحيث: إن مَن لم يكن خالقاً لجميع تلك الموجودات من العدم، ومدبّراً لجميع شؤونها في آن واحد، لا يقدر على التدخل -من حيث الربوبية والإيجاد- في شئ منها، لأنه لو تدخل لأفسد تلك الإدارة المتوازنة الواسعة. إلاّ ما يؤديه الإنسان من وظيفة ظاهرية -بإذن إلهي ايضاً- لكشف تلك القوانين الربانية وحُسن سيرها.

الختم الثالث: في وجه الإنسان: إن شعار التوحيد وختمه واضح وضوحاً بيناً لكل مَن يتأمل وجه أي أنسان كان، وذلك: إن لكل انسان علامة فارقة في وجهه تُميّزه عن غيره. فالذي لايستطيع أن يضع تلك العلامات في كل وجه، ولا يكون مطّلعاً على جميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، لا يمكنه أن يمد يده من

حيث الخلق والإيجاد ليضع تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير لإنسان واحد.

نعم، إنّ الذي وضع في وجه الإنسان ذلك الطابع المميز وتلك الآية الجلية بتلك العلامات الفارقة، لابد أن أفراد البشر كافة هم تحت نظره وشهوده، وضمن دائرة علمه حتى يضع ذلك الختم للتوحيد في ذلك الوجه. بحيث إنه مع التشابه الظاهر بين الأعضاء الأساس -كالعيون والأنوف وغيرها من الأعضاء- لا تتشابه تشابهاً تاماً، بسبب علامات فارقة في كلٍ منها.

وكما أن تشابه الأعضاء -من عيون وأنوف- في وجوه البشر كافة دليل قاطع على وحدانية خالق البشر سبحانه وتعالى، كذلك فإن العلامات الفارقة الموضوعة على كل وجه - لصيانة حقوق كل فرد في المجتمع، ولمنع الالتباس، وللتمييز، ولِحِكَم أخرى كثيرة - هي الأخرى دليل واضح على الإرادة المطلقة والمشيئة الكاملة لذلك الخالق الواحد سبحانه وتعالى، وآية بديعة جلية ايضاً للأحدية، بحيث: إن الذي لا يَقدر على خلق جميع البشروالحيوانات والنباتات بل جميع الكون لا يمكنه أن يضع تلك السمة المميزة في أحد.

ومن ''الإشارات'' التي فاضت على قلب الأستاذ حين تدبر قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، ونظر في كون الله تعالى:

١- إن عوالم الكائنات المختلفة وأنواعها المتنوعة وعناصرها المتباينة قد اندمجت اندماجاً كلياً وتداخل بعضُها مع البعض الآخر، بحيث: إن مَن لم يكن مالكاً لجميع الكون لا يمكنه أن يتصرف بنوعٍ منه أو عنصر فيه تصرفاً حقيقياً، لأن تجلي نور التوحيد لاسم الله ''الفرد'' قد أضاء ارجاء الكون كله، فضمّ أجزاءها كافة في وحدة متحدة، وجعل كل جزء منه يعلن تلك الوحدانية.

ففي ضوء هذا وقياساً عليه نرى أن تداخل الأنواع المختلفة للكائنات واندماجها الشديد ببعضها قد جعل مجموعَها بمثابة ''كلٍ'' واحد لا يقبل التجزئة قطعاً من حيث الإيجاد. فالذي لا يستطيع أن يُنفِّذ حكمَه على جميع الكون لا يمكنه -من حيث الخلق والربوبية- أن يُخضِع لربوبيته أي شئ فيه، حتى لو كان ذلك الشئ ذرة أو أصغر منها.

٢- لقد تحول الكون كله -بالتجلي الأعظم لاسم الله ''الفرد''- إلى ما يشبه رسائل صمدانية ومكاتيب ربانية متداخلة بعضها في البعض الآخر، تزخر كلُ رسالة منها بآيات الوحدانية وأختام التوحيد، وتحمل كل رسالة بصمات الأحدية بعدد كلماتها، بل

إن كل كلمة فيها تُفصح عن وحدانية كاتبها؛ إذ كما يدل الختمُ أو التوقيع في الرسالة على كاتبها، فإن كل زهرة وكل ثمرة، وكل عشب، وكل حيوان، وكل شجر، إنما يمثل ختم الأحدية وطغراء الصمدانية وكأنها أختام لمواضعها التي تتخذ هيئة الرسائل فتبين كاتبها. أي أن كل شئ يُسند جميع الاشياء إلى خالقها ويشير إلى تجلٍ باهر عظيم لوحدانيته سبحانه.

٣- إن الأمر يسهل بالوحدة ويصعب بالكثرة هكذا، كذلك إذا أسنِد الخلقُ والايجادُ إلى ''الفرد الأحد'' جل وعلا، فإن خلقَ افرادٍ غير محدودة لنوعٍ واحد يكون سهلاً كخلق فرد واحد، بينما لو أُسنِد إلى الأسباب، فإن خلقَ كلِّ فردٍ يكون مُعضلاً وصعباً كخلق النوع الواسع الكثير.

أجل! إن الوحدانية والتفرد تجعل كل شئ منتسباً ومستنداً إلى الذات الإلهية الواحدة، ويصبح هذا الانتساب والاستناد قوة لاحدّ لها لذلك الشئ، حتى يمكنه أن يُنجز من الأعمال الجسيمة، ويولّد من النتائج العظيمة ما يفوق قوته الذاتية الوفَ المرات معتمداً على سر ذلك الاستناد والانتساب.

أما الذي لا يستند ولا ينتسب إلى صاحب تلك القوة العظمى ومالكها ''الفرد الأحد'' فسينجز من الأعمال ما تتحملهقوتُه الذاتية المحدودة جداً، وتنحسر نتائجُها تبعاً لذلك.

٤- وهكذا يستند كلُّ شئ إلى قوة عظيمة هائلة تملك مقاليد الكون بأسره.. وهكذا يستمد كل شئ في الوجود قوته من تلك القوة الإلهية العظيمة المطلقة... من ذلك ''الفرد الأحد'' جلّ وعلا.

فلولا الفردية.. لفقَد كل شئ هذه القوة الجبارة، ولسقط إلى العدم وتلاشت نتائجه.

فما تراه من ظهور نتائج عظيمة هائلة من أشياء بسيطة تافهة، ترشدنا بالبداهة إلى ''الفردية'' و ''الأحدية''. ولولاها لبقيت نتائج كل شئ وثماره منحصرة في قوته ومادته الضئيلة، وتصغر عندئذٍ النتائج بل تزول.[5]

ومما يجعل الإيمان حياً فاعلاً، المداومة على ذكر الله تعالى ورسائل النور تركز على هذه الآلية لما لها من نجاعة لتحقيق ذلك، ويمكن مراجعة كتابات الشيخ سعيد للتعرف على كيفية الذكر والتدبر في ألفاظه وما تحمل من ظلال وأنوار، ولنأخذ على سبيل المثال تدبره في (يا باقي أنت الباقي)[6] لنتعرف على حقيقة أمر الذكر ودوره في إيقاظ القلب وتشغيل الإيمان.

المبحث الثاني: جدوى الإيمان الحي وآثاره الفاعلة للفرد والمجتمع

يكتسب الإنسان -حين يُفعل إيمانه- إيجابية عظيمة واهتماما كبيرا بالمشاركة الفاعلة في الشأن العام. كما يصحو ضميره أو نفسه اللوامة وإدارة المحاسبة الذاتية فيه. وتزدهر أخلاقه الحميدة، ويمتلئ بكل معاني السكينة والاستبشار والتفاؤل والطمأنينة القلبية، ويتحقق له التوازن النفسي والعقلي، كما يشرق عقله ويَصِح فكره، وتنشط همته وعزيمته للإحسان والرحمة والخير والصلاح والإصلاح.

ويدرك أن حقائق إيمانه تفرض عليه التضلع من العلم والبحث، والانهماك في العمل النافع المنتج، وبهذا يتخلص الإنسان من الفقر والعوز والتخلف والانحطاط. كما يدرك أن من قيم الإيمان أن يعزز مُثل الحرية والشورى والديموقراطية والعدالة والمساواة والتسامح، وكل ذلك يعالج ضنك الاستبداد والإرهاب والشقاق، وبذلك يحيا الإنسان إنساناً، ويستمتع بحياة طيبة هانئة، تحقيقاً لوعد الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾،[النحل:٩٧] وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[يونس:٩]

وهذه سنة إلهية ماضية، وإن رسائل النور درس عبقري في تفعيل الإيمان وتحقيقه لكي يَمنح إنسان العصر ثماره وأزهاره وبهذا يحقق الإيمان للإنسانية مستقبلاً أفضل.

ويمكننا تصنيف ما يجنيه المؤمن من ثمرات وآثار إيجابية إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ثمرة علمية معرفية

إذا كان الإنسان يحتاج إلى العقيدة الدينية لإشباع حاجته إلى التدين وتلبية نداء الفطرة في داخله، فإنه يشعر بالرغبة الملحة في التحصيل العلمي والإدراك المعرفي، والبحث عن إجابات شافية لكثير من الأسئلة المطروحة على عقله، حول الوجود والحياة والمبدأ والمصير والحكمة والغاية من الخلق، وانطلاقاً من شعور الإنسان بالعجز عن الوصول لتلك الإجابات وإدراكه أن خالق هذا الوجود ومدبره هو العالم به، والمحيط بتفاصيله ودقائقه ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾،[الأنعام:٥٩] ومن ثم لا يجد الإنسان وسيلة للتعرف على رب هذا الوجود، سوى أن يتوجه إليه طالباً العلم، باحثاً عن إدراك المعرفة، لأنه عز وجل وسع كل شيء علماً، وما علم الناس جميعاً إلا فيض علمه ﴿فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيم﴾،[يوسف:٧٦] ومن ثم استقر في نفوس المؤمنين أن أصول علومهم ترجع إلى مصدر

الإلهام والتعليم وهو الله تبارك وتعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾.[البقرة:٣١] ومن أهم المجالات التي يشعر الإنسان بالحاجة إلى ارتيادها والوقوف على حقيقتها في باب العلم والمعرفة، الوصول إلى ردود واضحة حول التساؤلات الكبرى التي يطرحها الإنسان قديماً وحديثاً وهي: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟ وإلى أين المصير؟ ومن ثم تقوم العقيدة الدينية بدور كبير في تحقيق اليقين عندما تجيب عن تلك الأسئلة التي ظلت الإجابة عنها حائرة تتخبط، حينما تنكبت طريق الدين وذهبت تبحث عن تفسير في الفلسفة أو العلم التجريبي أو المذاهب الأرضية، وبهذا تقدم العقيدة للمؤمن تصوراً متوازناً منضبطاً ينجي المؤمن من عذاب الحيرة والشك، بينما يظل الجاحدون بالله الشاكون في لقائه يوم الحساب يحيون حياة لا معنى لها، ولا هدف من ورائها، لا يدرون لماذا هم في هذا الوجود! إن المؤمن من خلال إيمانه العميق الذي جاء به الوحي، وأيده العقل، ينجو من مهاوي الشك والاضطراب، ويستريح من أزمات البلبلة والحيرة الذهنية والنفسية التي يتجرع غصصها الجاحدون والمرتابون. من خلال هذا الإيمان الواضح القريب من العقل والوجدان والفطرة، يحل المؤمن ألغاز الوجود الكبرى حين يعرف عن طريقه مبدأه ومصيره وغايته وهدفه، بل ويعرف مبدأ الكون كله ومنتهاه، فتنحل عقد الشك من نفسه، وتزول علامات الاستفهام الكبرى من حياته.

إن الإجابات الفلسفية والعلمية التي يصل إليها الإنسان بعد عناء وجهد كبيرين، تظل -وإن صحت أحياناً- تفتقر إلى برد اليقين، وتبقى حبيسة النظر العقلي المجرد أو الاحتمال العلمي غير المؤكد، وشتان بين علم يقيني جاء به الوحي ووافقه عليه العقل،وشهدت له الفطرة، وعلم هو محل الظن أو الفرض العلمي.

الصنف الثاني: ثمرة نفسية وجدانية

إن السعادة إحساس داخلي وشيء معنوي لا يرى بالعين،ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه خزائن، ولا يشترى بالمال، لا وجود للسعادة إلا بين جوانح الإنسان فهي صفاء النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير، وبرد اليقين، وهذه المعاني لا يملكها بشر فيعطيها ولا سلطة فتمنعها. يقول أحد المؤمنين السعداء بإيمانهم: ''إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف''، ويقول آخر وهو ثمل بتلك اللذة الروحية التي تغمره: ''إنه لتمر علي ساعات أقول فيها لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذن في عيش طيب''. إن الذين رزقزا هذه النعمة ليرون حوادث الدهر وتقلبات الزمان بعين أخرى، فيسخرون منها وإن أبرقت وأرعدت ويبتسمون لها وإن كشرت عن نابها، يفلسفون المحن فتستحيل عندهم إلى

منح تستوجب شكر الله على حين هي عند غيرهم مصائب تستوجب الصراخ والشكوى والحزن.

إن حاجة الإنسان إلى سكينة النفس وطمأنينة الفلب وراحة الضمير، من ألزم الحاجات النفسية والروحية التي نبحث عنها جميعاً ونسعى إلى تحقيقها في حاضرنا ومستقبلنا.

وما سكينة النفس وطمأنينة القلب إلا ثمرة من ثمرات الإيمان العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده ريب ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾الفتح:٤ وسكينة الإيمان هي ألزم ما يحتاج إليه المؤمن في وقت الشدة.

ثم إن العقيدة الدينية الحقة تمنح صاحبها من المعاني النفسية والقوى الروحية، ما يقوى به في مجالدة الصعاب ومواجهة الشدائد والمحن، فهي تعطيه العزة والكرامة والحرية والسيادة، يقول عمر الفاروق ﷺ: ''لقد كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام''.

والعقيدة فضلا عن ذلك كله تحقق للمؤمن لوناً من ألوان التوازن النفسي في مواجهة تقلبات الحياة وصروف الدهر، فهو بين الخوف والرجاء راغباً راهباً، وهو بين الصبر والشكر راضياً حامداً، كما هو بين الاستغناء عن الناس والافتقار إلى الله قانعاً مطمئناً: ''عجبنا لحال المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن''.[7]

وعلى الجهة الأخرى من أهل الإيمان، نجد أن أكثر الناس قلقاً وضيقاً واضطراباً وشعوراً بالتفاهة والضياع هم أولئك المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، فحياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات، وذلك لأنهم لا يدركون لها معنى ولا يعرفون لها هدفاً ولا يفهمون لها سرأ، فكيف يظفرون مع ذلك بالراحة والسكينة واليقين.

إن غير المؤمن بائس محروم حقاً. يقال دائما عمن فاته شيء منهم من مسرات الحياة الدنيا: لقد فاته نصف عمره، فكيف بمن فاته روح الحياة وحياة الروح!؟ كيف بمن حرم قلبه بشاشة الإيمان ونور اليقين؟ لقد خسر هذا المسكين نفسه، خسر وجوده، خسر الحياة وما بعدها، خسر الوجود وكل شيء لأنه خسر الإيمان، فما أصدق ما جاءت به النصوص الدينية القديمة من أن الله يقول لعبده: ''عبدي اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء'' ورحم الله من قال:

''إلهي ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً، وخسر من بغى عنك حولاً''.

ثم إن الإيمان والاعتقاد الحق هما الوسيلة الناجحة لتخليص النفس الإنسانية مما يعتريها من علل القلق والحيرة والتعاسة، ومن أمراض الاكتئاب والاضطراب النفسي التي قد تودي بحياة الإنسان هماً وكمداً ويأساً وقنوطاً، وخير ما يثبت ذلك ويؤكده ما نجده من شدة الطلب في عصرنا الحديث على عيادات ومصحات الطب النفسي النفسي التي يعاني روادها من أزمات نفسية طاحنة نتيجة البعد عن الإيمان والتخلي عن الدين.[8]

الصنف الثالث: ثمرة خلقية سلوكية:

هنالك آيات قرآنية عديدة تؤكد على الصلة القوية بين العقيدة والأخلاق كقوله تعالى في وصف المكذبين يوم الدين: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾المدثر:٤٣-٤٥ وقوله أيضا: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾،الماعون:١-٢ ومن ذلك أقوال النبي ﷺ في أحاديث كثيرة تنفي كمال الإيمان على من اختلت أخلاقه ولم يحسن إلى الناس، ومن ذلك قوله: ''لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه''.[9] وقوله ''والله لا يؤمن (ثلاثاً)، قالوا من؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه''... وقوله كذلك: ''لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له''،[10] وقوله: ''المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده'' و ''آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان''.[11]

وأما عن الارتباط بين العبادة والأخلاق، فيكفي أن نعلم أن الإسلام جعل الخلق القويم والسلوك المستقيم ثمرة للعبادة الصحيحة المؤسسة على الإيمان العميق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصلاةَ تَنْهى عن الفَحشاءَ والمنْكَرِ﴾العنكبوت:٤٥ وقال أيضاً: ﴿يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمنِّ والأَذَى﴾...البقرة:٢٦٤ ومن ثم كان الإيمان بدون أخلاق ناقصاً ''أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً''[12]

وهذا الاهتمام من الإسلام بتأسيس القيم الخلقية على أصول الإيمان يعكس عناية الرسالة الخاتمة بإقامة مجتمعات مدنية صالحة، إذ القيم الخلقية هي القاعدة الصلبة التي تقوم عليها الأمم وتستند عليها الحضارات.

وغني عن البيان أن الحياة الاجتماعية لا قيام لها إلا من خلال رباط اجتماعي وعقد تعاوني بين أعضاء جماعاتها، وهو ما لا يتم إلا بقانون ينظم العلاقات ويحدد الحقوق والواجبات، ثم إن هذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع يكفل مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته، وليس هناك قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في

كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه.[13]

إن قوانين المجتمعات وسلطان الحكومات لا تكفي لإقامة مدينة فاضلة، تحترم فيها الحقوق وتؤدى فيها الواجبات على الوجه الأكمل، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط، أو خوفاً من السجن، أو هرباً من العقوبة المالية لا يستمر في ذلك طويلاً متى أمن واطمأن.

إن الإيمان والعقيدة الدينية تكسب القانون سلطاناً أدبياً به يأمر وينهى، كما تلهب المشاعر بالحياء من الله والمحبة له والخشية منه، ولا ريب فيأن هذا الإيمان هو الأقوى تأثيراً في النفس الإنسانية والأشد مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواصف، والأسرع نفاداً في قلوب الخاصة والعامة.

الخاتمة

تبين لنا مما سبق أن إشعال جذوة الإيمان في القلوب كفيل بمساعدة الإنسانية المعذبة على حل مشاكلها وتزويدها بالسكينة والطمأنينة نتيجة وصلها بحبل الله المتين.

* * *

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. كتب السنة المطهرة.

٣. الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي: كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، نشرة سوزلر بالقاهرة، ١٩٩٢

٤. د. محمد عبدالله دراز: الدين، نشرة دار الفكر العربي بالقاهرة.

٥. د. يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، نشر وهبة بالقاهرة.

٦. د. محمد عبدالله الشرقاوي: الإيمان، نشر دار الجيل بيروت.

٧. منهج القرضاوي في دراسة العقيدة، الدوحة قطر.

٨. مجلة النور، العدد الأول، تركيا.

* * *

الهوامش

[1] أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان، ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

[2] (ثورة الإيمان، مجلة النور، العدد ١، يناير ٢٠١٠)

[3] بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور: المكتوبات، ص٤٢٧ إلى ٤٢٨، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار نشر سوزلر، القاهرة، ١٩٩٢

[4] استمر هذا الخلاف العقيم بين علماء السلف والخلف زمناً طويلاً واستنفذ طاقات علمية شغلت العلماء عن البحث في موضوعات ملحة ومزّق هذا الصراع وحدة الأمة ومزّقها... وهو صراع في مسألة من مسائل فروع العقيدة وليس أصولها. (انظر كتابنا: الإيمان، أصوله وفروعه، نشره دار الجيل، بيروت).

[5] الشيخ سعيد النورسي: كليات رسائل النور؛ اللمعات من صـ ٥٣٩ إلى ٥٤٦، (مواضع متفرقة بشيء من التصرف)

[6] المرجع السابق، من صـ ٢١ إلى ٢٧

[7] صحيح مسلم كتاب الزهد، باب ٦٤

[8] الشيخ يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، (مواضع متفرقة بتصرف)، نشر وهبة بالقاهرة. وقارن بحثنا عن: منهج الشيخ القرضاوي في دراسة العقيدة، ضمن الكتاب التذكاري المهدى إليه، نشرة الدوحة، دولة قطر، ٢٠٠٦.

[9] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٧١.

[10] مسند أحمد، ١٣٥/٣

[11] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق.

[12] رواه الترمذي فس سننه: كتاب السنة، باب ١٤.

[13] انظر د. محمد عبدالله دراز: الدين، ص٩٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

عنوان التوزيع

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

عبد الكريم بايبارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

Contents

Editorial

• Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

• Dr. Anas Mohammed Riza Qahwaji: Nursi's Views and Interpretation of Hadiths Concerning the Mahdi 7

• Dr. Abdul Aziz Inmirat: The Place of Sincerity in the Qur'an-Based Views of Said Nursi 39

• Prof. Ben Sakhri Zubair: The Ottoman Muslim as the Other in the Writings of Louis Bernard 51

Dossier: Method and Its Reflections and Functions

• Prof. Dr. Emad Eddin Khalil: How Should We Understand the Institution of Prophethood? 71

• Prof. Dr. Ashrati Sulaiman: Inference and Induction in the Risale-i Nur: The Main Features of Its Method 95

• Dr. Arduan Mustafa Ismail Mazouri: The Aims of the Holy Qur'an and their Role in Building Civilization and Realizing Development According to Nursi. An Analytical Study and Assessment 125

• Dr. Arif al-Zoghoul / Dr. Abdul Karim Ali Jaradat: A Comparative Study of the Methods of Rumi and Nursi in Da'wa and Establishing Peace with the Other 161

• Prof. Dr. Mohammed Abdullah al-Sharqawi: Putting Belief into Action: A Solution to the Human Crisis 179

• Information on Publishing Papers in *al-Nur* 192

• Contents / Annual Subscriptions 193

Only papers conforming to academic standards will be considered for publication